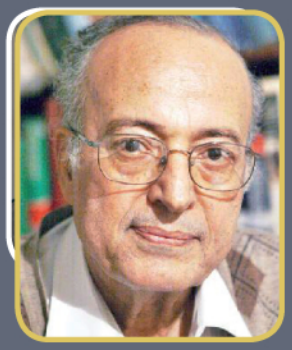
أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة



د. عبد الوهاب المسيري..
العقل الموسوعي الإسلامي

العدد (٥٤٢) شوال ١٤٣١هـ ـ سبتمبر- أكتوبر ٢٠١٠م

بين التربية والتعليم



منارات.. المدرسة التنكزية

رثاء الشيخ عبدالله الدحيان في الشعر النبطي الكويتي

مفهوم القديم والجديد عند الإمام الشافعي


الوعي الإسلامي
كل عام وانتم بخير
أسرة التحرير تهنئكم بحلول عيد الفطر السعيد

الافتتاحية

من يكفر ولا يشعر

إن الله سبحانه وتعالى كلف خلقه، وألزمهم مفترضاته، وبعث إليهم رسله، وشرع لهم دينه، لغير حاجة دعته إلى تكليفهم، ولا من ضرورة قادته إلى تعبدهم، وإنما قصد نفعهم، وجعل ما تبعدهم به مأخوذًا من عقل متبوع، وشرع مسموع، لأن الشرع لا يرد بما يمنع العقل، والعقل لا يتبع فيما يمنع منه الشرع، له الحكمة البالغة فيما كلف به الإنسان، وجعل أفرض الفرائض التوحيد والإيمان، بعث الله رسوله بالهدى، وأذهب بأنواره ظلمات الجاهلية الجهلاء، وعصبيتها وفخرها بالآباء، واستقسامها بالأزلام، وتشاؤمها بالأيام والأنواء، وفِعْلَ بعض الوسائل غير المشروعة لرفع البلاء، من سوء الظن بالله سبحانه، وأن ما أصابه لم يكن بقدر وحكمة، فقنط من رحمته، وأيس من روحه، وأنه لا يجمع عبيده للثواب والعقاب، واستهزأ بالآيات واستخف بالربوبية والرسالات، وبالعلم وأهله، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء، وزعم «إنما كنا نخوض ونلعب»، وطلب البركة والرجاء- واعتقادها في تلك الأشياء، وفعل بعض العزائم والشعوذات، ما يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويؤثر، فهو يكفر ولا يشعر، فقد أمرنا الله بالعدل والإحسان، وكتب في قلوب عباده التوحيد وحبب إليهم الإيمان، وكرّه إليهم الكفر والعصيان، ومن لم يترفع بالإحسان انخفض عند وضع الميزان، فمالنا أضللنا القلوب فلا دليل عليها مرشد، وأهملنا النفوس فكل إلى عَطَبه مُخْلِد، وأثقلنا الظهور بما ليس لنا على حمله مُسْعِد، وقد سمعنا ما كرر الله علينا في قصص أنباء القرى، وما وعظنا به من مصارع من سلف في الورى، فما للعيون ناظرة لا تبصر؟ وما للقلوب قاسية لا تفكر؟ وما للنفوس ناسية لا تذكر؟ وما للعقول طائشة تكفر ولا تشعر؟

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٤٢
العام السابع والأربعون
شوال ١٤٣١ هـ
سبتمبر - أكتوبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.



د. عبدالوهاب المسيري العقل الموسوعي ٦



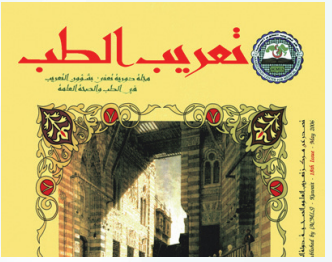
حوار مع الباحثة الأميركية عائشة هنري ١٠



الجامعات العربية ومكانتنا المستقبلية ٢٤



مفهوم القديم والجديد عند الإمام الشافعي ٣٨



لماذا نخاف من تعريب الطب؟ ٦١



كيف نتعامل مع أسئلة الطفل الجنسية؟ ٧٢

التوزيع
وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
- اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/ ١٨٤
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

كلمات خالدة

إن المجلات في الدنيا بلا عدد
وفخرها كلها في الوعي الإسلامي
إن كنت تبغي العلا فالزم قراءتها
فنطقها دائمًا في الوعي الإسلامي
والمسلم الفذ لا يرضى الخمول ولا
يرضى الحياة بغير الوعي الإسلامي

العلامة محمد الوشلي/اليمن

موضوع الغلاف

مدارسنا وجامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية ومراكز البحوث والدراسات أساس نهضتنا الشاملة إن نحن صوَّبنا ورشدنا سياساتنا التعليمية بعيدًا عن التبعية والتكديس والاستيراد والارتهان.



داخل العدد

التربية بالجمال ١٢
آداب مزاولة مهنة الطب ٣٤
سلبيات فصل العلوم من أصلها القرآني ٤٤
حواشي منهجية على مصطلحات علوم القرآن ٦٤

كلمة العدد

كل عام وانتم بخير

نضع هذا العدد بين أيديكم مع شروق أول أيام عيد الفطر السعيد، أعاده الله عليكم وعلينا وعلى المسلمين جميعًا باليُمن والخير والبركات، وقد تحققت أمانيهم واستعادوا أمجادهم ودورهم الإيجابي الرائد في سلم الحضارة الإنسانية، وبهذه المناسبة الطيبة نود الإشارة إلى أن الأعياد في الإسلام تختلف كليًا عن الأعياد عند غير المسلمين فهي أعياد بريئة خالية من المعاصي وكل ما يغضب الله، وهي تجيء بعد أداء عبادة أو نسك، فتفرح الأمة بإنجاز هذه الطاعة وتعقد العزم على مواصلة الدرب الذي يوصلها ويقربها إلى الله.

ففرحة العيد في الإسلام فرحة الشكر لله على ما أنعم.. فرحة انتصار على النفس في المعركة الدائرة بين الخير والشر منذ خلق الله الإنسان على وجه هذه البسيطة وحتى يرث الأرض وما عليها، فهل يتمثل المسلمون في أعيادهم هذه المعاني والغايات الحقيقية؟ هذا ما نأمله، والله الهادي إلى سواء السبيل.

«الوعي الإسلامي»

الأسعار والاشتراكات

الأسعار

الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

عبدالوهاب المسيري.. العقل الموسوعي الإسلامي في بحثه عن الإنسان

د. هبة رؤوف عزت

يستوقف المتجول في عالم عبدالوهاب المسيري الأوجه المختلفة لهذا المفكر، فمن كتاباته في الأدب الإنجليزي، لسيرته الذاتية التي هي مسيرته الفكرية، إلى نقد ونقض الفكر الصهيوني والتأريخ للجماعات اليهودية، إلى قصص الأطفال التي نال عنها جوائز عديدة، إلى كتاباته الصحفية التي تبسط للقارئ المفاهيم الكبرى وتربطها بالظواهر التي يعيشها في ظل العولمة.. لكن يظل هناك منطق متصل وروح متجانسة في كل ما كتب عبدالوهاب المسيري، وهو أنه كان مفكرًا إنسانيًا.

يمكن اعتبار الخيط الناظم في فكر المسيري هو تقديم الرؤية الإنسانية التي تميز المنظور التوحيدي الإسلامي حتى وإن لم يستخدم المفاهيم المألوفة أو يفرط في الاستشهاد بالآيات والأحاديث، فقد نفذ المسيري إلى قلب المنظومة المقاصدية وفهم أن المقصد الأعلى هو تأكيد إنسانية الإنسان من خلال تأكيد تنزه الله الذي ليس كمثله شيء، والتمييز بين الإنساني والطبيعي والغيبي وإدراك الفارق بين هذه المستويات التي حاولت المنظومة العلمانية اختزالها في مركزية الإنسان ومساواته بالطبيعة، وإقصاء سؤال الألوهية والربوبية من التفكير.

لذا فقد صاغ المسيري هذه الفكرة بلغة يفهمها السياق الثقافي وأسهم في جدل نقد الحداثة الذي مر في فترة الثمانينيات بجدل الدولة الدينية في مواجهة العلمانية وشهد مناظرات بين العلماء ورموز العلمانية الثقافية والفلسفية لم تثمر عن الشيء الكثير، ولابد من الاعتراف أن المسيري قد نقل هذا الجدل نقلة نوعية بتحليل العلمانية في منظورها الفلسفي وتقديم خطاب إسلامي جديد يعيد الاعتبار للإنسان ودوره سيرًا على نهج مفكرين من أمثال مالك بن نبي وعلي شريعتي.

مدرس العلوم السياسية جامعة القاهرة



الإنسان والطبيعة

لقد أكد المسيري في كتابيه «العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة» و«دفاعًا عن الإنسان» على أسبقية الإنساني على الطبيعي، لأن الإنسان قادر على تجاوز النظام الطبيعي المادي وعلى تجاوز ذاته الطبيعية المادية، ولأن فيه بعدا غيبيا يستعصي على الاختزال والتشييء.

إذا مُحيَ هذا الفارق، حينئذ تسري على الإنسان القوانين المادية الحتمية التي تسري على الطبيعة والمادة، مما يعني تقويض الإنسان وتفكيكه ورده إلى ما هو دونه، أي المادة.

فالأساس الفلسفي للإنسانية الإلحادية أساس واهٍ، فمع غياب الشعور بوجود الله أو تهميش هذا الشعور يتحرك الإنسان داخل السقف المادي وحده، لا يمكنه الفكاك منه ويتحول إلى كائن طبيعي (مادي) فيفقد ما يميزه كإنسان (حرية الاختيار- المقدرة على التجاوز...إلخ).

لا يحفظ للإنسان إنسانيته سوى الإله سبحانه وتعالى، فوجوده هو ضمان إنسانية الإنسان. فالإيمان بإله متجاوز مفارق للمادة يعني أنه يوجد داخل الإنسان ما يميزه عن الكائنات الطبيعية المادية الأخرى.

من هنا فإن سمات الإنسانية الإسلامية هي تأكيد الفارق بين الإنسان والطبيعة ورفض النموذج المادي باعتباره النموذج الذي يودي بالإنسان، فمشروع الحداثة هو مشروع تأسيسي يعيد تركيب المجتمع على أساس أنه غابة يتصارع فيها الإنسان مع الحيوان، والإنسان مع الإنسان، والإنسان مع الطبيعة، فهي الحرب للجميع ضد الجميع، وهذا ما أفرز في النهاية ما نسميه الحداثة الداروينية.

الفكر والسياسة

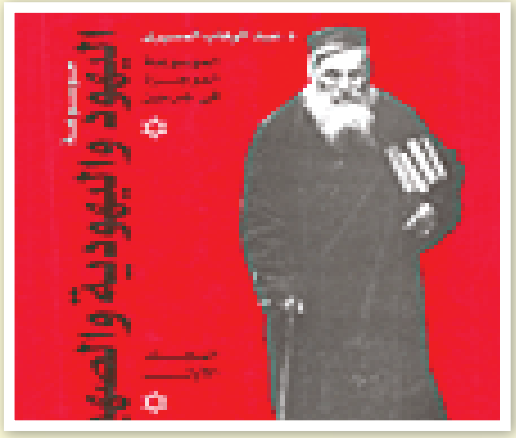
وقد ربط المسيري بين الفلسفي الفكري والتحليل السياسي، فقد رأى كيف ساعد هذا النموذج الفكري على الهيمنة على العالم وأدى لتزايد نفوذ الدولة القومية ذات السلطة المطلقة كما صورها هيجل، وانتشار النظريات السياسية التي ظهرت لتبرير هذا الوضع، واتساع نطاق القطاع الاقتصادي التجاري، وشيوع النظريات العقلانية المتطرفة

والنفعية. وجوهر كل هذه النظريات مادي آلي، فهي تجعل هدف الوجود غاية مجردة إنسانية مثل الدولة (في المجال السياسي) أو القانون العام (في المجال العلمي والتحليلي بشكل عام) أو الربح ومراكمة الثروة (في المجال الاقتصادي) والمنفعة الشخصية (في المجال الأخلاقي).

وقد تابع المسيري التيارات الإنسانية في الغرب التي تراجع مسلمات الحداثة وتبحث عن استعادة إنسانية الإنسان واعتبرها جزءًا من جبهة الدفاع عن الإنسان وجزءًا من هذا التوجه الذي يحتل فيه الإسلام موقعًا فريدا، وبذا منح الرؤية الإسلامية أفقًا جديدًا يستعيد فكرة حلف الفضول، فهؤلاء يدركون أن الانتصارات التي تحققها حضارتهم باسم الإنسان الطبيعي/ المادي تؤدي إلى وأد شيء مهم جدًا في الإنسان، شيء لصيق بإنسانيته، نسميه «القبس الإلهي»، ولكنهم لا يسمونه.. وإنما يدورون حوله، ويتجلى بشكل خفي في كتاباتهم، ولذا، فإن المسيري قد نعته بأنه «الإله الخفي» في الكتابات النقدية الغربية.

وما الحديث عن «حتمية الميتافيزيقا» إلا حديث عن الإله الخفي. فقد لوحظ أن الإنسان مهما بلغ من مادية فإنه لا يقبل المادة المتغيرة إطارا مرجعيا، وإنما يبحث عن مركز للعالم، وعن إطار، وعن أرض ثابتة يقف عليها وعن كليات تتجاوز الأجزاء.

وقد أدرك نيتشه أن هذا تعبير عن الإله الخفي، واختار مصطلح «ظلال الإله» ليشير إليه. وقد أدرك فلاسفة ما بعد الحداثة ذلك، ولذا فإن مشروعهم لا يتلخص في الهجوم على الميتافيزيقا الدينية أو المثالية وحسب، وإنما في تحطيم فكرة الحقيقة نفسها، حتى تتم إزالة «ظلال الإله» وتحطيم الميتافيزيقا بلا رجعة. وكان حلمهم المقترح هو التخلص من ثنائية المطلق/ النسبي



لصالح مطلق نسبي (ثابت متغير).

فتظل هناك ثنائيات الخير والشر، والمقدس والمدنس، والمطلق والنسبي النابعة من إدراكهم الفطري لثنائية الإنساني والطبيعي/ المادي. ولذ ا تؤكد

استطاع تأسيس خطاب اسلامي جديد يتجدد وفق حاجات الأمة وضروراتها

العلاقات الإنسانية الفطرية نفسها بطريقة تتحدى النموذج المادي الفعال وبطريقة غير مباشرة كان يفترض التخلي عنها بحيث تخضع مثل هذه العلاقات للتفاوض وبحيث يحل محلها علاقات تعاقدية عقلانية صلبة. ولكن العلاقات الإنسانية الفطرية، مع هذا، تستمر وتؤكد نفسها. وهو تأكيد يبين أن العنصر الرباني في الإنسان لا يمكن محوه.

ومن الممكن القول بأن هذا العنصر الرباني اللصيق بإنسانية الإنسان وفطرته، وهو عنصر يأخذ شكل الإله الخفي -هو ما يمنع النموذج الطبيعي/ المادي من التحقق الكامل، ومن الوصول إلى اللحظة النماذجية الكاملة ونقطة الصفر المادية.

الروح الإسلامية

كانت الروح الإسلامية إذًا عند المسيري لا تنفصل عن الرؤية الإنسانية وعندما وصل إلى مرحلة تحوله للمنظومة الفكرية الإسلامية كان ذلك على طريق اهتمامه المبكر بالبحث عن كينونة الإنسان في المذاهب والمعارف الفكرية المختلفة، فصادف الماركسية وأعجبه جنوحها للعدالة والمساواة، لكن شعر بالغربة في ماديتها المفرطة، حتى تمكن من التعرف على المنظور المعرفي التوحيدي الإسلامي، ومن هذا المدخل رفض مادية المعرفة الغربية وأشار إلى ضرورة تأسيس فقه للتحيز، وأسس جهدًا بنائيًا من خلال نقد ونقض بعض المصطلحات الفكرية والمعرفية والمنهجية والبحثية، ثم دعوته لمراجعة مسلمات العلوم التي انبنت على فلسفة الحداثة..واستعادة الإنسان في رؤيتها.

وقد استطاع من خلال الناظم الإسلامي الإنساني أن يؤسس لمعالم خطاب إسلامي جديد يتجدد وفق حاجات الأمة وضروراتها وفقه النهوض الذي يتعلق بكيانها في صراعها الفكري من أجل تحرير الإنسان وليس من أجل تأسيس دولة فقط كما ذهبت تيارات الإسلام السياسية.

ومن هنا فقد تكون لديه معجمه المفاهيمي، وواجه المصطلحات التي تفت في عضد الأمة وحذر من مصطلحات العدو وتسربها، ونبه إلى وحدات تحليل جديدة، وربط النماذج المعرفية بالتعامل المنهجي، وانتقد ما يمكن تسميته بالسببية الصلبة وتحدث بصفة دائمة عن النسق المفتوح والرؤية الواسعة واستهدف جوهر الإنسان الذي يخرج المعاني التي تتعلق بالثقافة والحضارة على شاكلته (النظام المعرفي، الخرائط الإدراكية، الخرائط المعرفية، المفاهيم التفسيرية.. .الخ)، كما قدم المسيري نماذج وأدوات تفسيرية غاية في الأهمية ومقولات لتفسير الواقع وتقويمه بل

وتغييره، وكانت له أجندة بحثية شاملة وعامرة فهو دائم الحديث عن مشروعاته العلمية المنفتحة والمفتوحة، وركز على أهمية الخريطة الإدراكية والنماذج الفكرية والمعرفية، مؤكدًا أن المعركة الحقيقية الآن هي معركة المعاني؛ حيث يتم تكوين الصورة الإدراكية أو الخريطة المعرفية وعمليات إبقاء بعض عناصر الواقع وتضخيمها ومنحها مركزية واستبعاد أو تهميش البعض الآخر حسب معايير النموذج الداخلية وبعده المعرفي الكلي والنهائي، فصياغة النموذج، عملية مركبة وإبداعية، تتضمن عمليات عقلية عديدة متنوعة، وظل يكتب حتى فارق الحياة راضيًا مرضيًا في علمه وفي عمله دون أن يهمل الوظيفة الكفاحية للعالم بنزوله الشارع السياسي ضد الاستبداد بالسلطة ودفاعًا عن المشاركة الشعبية في صنع السياسة.

ولم يكن دورانه مع مقصد الإنسانية يماثل الميل الليبرالي إلى الفردية، فالمجتمع عنده كيان مركب متماسك يتسم بقدر من الوعي وله أسبقية على الفرد مهما بلغت درجة إبداع هذا الفرد، فالفرد ينتمي إلى المجتمع وليس المجتمع هو الذي ينتمي إلى الفرد، إلا إذا كان مجتمعًا شموليًا، والمنظومة العلمانية الشاملة ليست مقصورة على العالم الغربي فهي رؤية للكون اكتسحت العالم بأسره وحولته إلى مادة استعمالية بحيث تصبح كل الأمور متساوية، كل الأمور نسبية، إلا أن الرؤية للعالم وتميزها هو الذي يخرج المعرفة ويشكل الثقافات ويؤسس الحضارات، ومن هنا اهتم المسيري بالنماذج المعرفية والبناء الحضاري من مثل: المنهج. المفاهيم. الخرائط (الإدراكية - المعرفية - الذهنية - الفكرية).

من هنا فإن الخطاب الإنساني الذي قدمه المسيري هو خطاب إسلامي

أكد على إنسانية الإسلام وعالميته .. ورحلته الفكرية والمعرفية محاولة للبحث عن الحقيقة

بامتياز، فقد عرَّف الدكتور المسيري الخطاب الإسلامي بأنه ليس كلام الله الذي يسمو على الزمان والمكان، وإنما هو اجتهادات عقول المسلمين داخل الزمان والمكان. ومن ثم فهو - أيضًا- متعدد ومتنوع، وتاريخ الحضارة التي بناها المسلمون هو تعبير عن هذه الكثرة والتعددية، وتحدث كذلك عن مستويات لهذا الخطاب:

الخطاب الإسلامي

- خطاب إسلامي ظهر مع دخول الاستعمار العالم الإسلامي، وحاول أن يقدم استجابة إسلامية لظاهرتي التحديث والاستعمار، وقد ظل هو الخطاب المهيمن حتى منتصف الستينيات، وهو ما نشير إليه بالخطاب الإسلامي القديم، والذي يعادي الغرب دون أن يفهم منطقه الفلسفي، بل يكتفي بمقاومة تجليه الاستعماري.

- خطاب آخر كان هامشيًا، ولكن معالمه بدأت تتضح تدريجيًا في منتصف الستينيات، وهو ما نشير إليه بالخطاب الإسلامي الجديد. ونقطة الاختلاف بين الخطابين هي الموقف من الحداثة الغربية لا باعتبارها ضد الشعوب المستعمرة بل باعتبارها ضد الإنسان في جوهره (وهو ما يؤدي لحروب الإبادة بأشكالها)

كما يصنف الخطاب من حيث الجمهور إلى الخطاب الجماهيري (أو الاستغاثي أو الشعبي): وهو خطاب القاعدة العريضة من الجماهير الإسلامية التي شعرت بفطرتها أن عمليات التحديث والعلمنة والعولمة لم يكن فيها خير ولا صلاح لها، كما لاحظت أن هذه العمليات هي في جوهرها عمليات تغريب سلبتها موروثها الديني والثقافي، ولم تعطها شيئًا في المقابل، لكنها لا تصوغ رؤى فكرية.

- الخطاب السياسي: وهو خطاب بعض أعضاء الطبقة المتوسطة ممن شعروا- أيضًا- بالحاجة إلى عمل إسلامي يحمي هذه الأمة، وقد رأوا أن العمل السياسي هو السبيل إلى هذا، فقاموا بتنظيم أنفسهم على هيئة تنظيمات سياسية لا تلجأ للعنف، تتبعها تنظيمات شبابية ومؤسسات تربوية، واهتمام حملة هذا الخطاب يكاد ينحصر في المجال السياسي والتربوي.

- الخطاب الفكري: هو الخطاب الذي يتعامل أساسًا مع الجانب التنظيري الفكري داخل الصحوة الإسلامية.

وتحدث عن استجابات الخطاب الإسلامي لتحدي الحداثة الغربية مفرقًا في ذلك بين موقف الخطابين القديم والجديد في ذلك الأمر، وأن كلا الجيلين -القديم والجديد- لم يؤسسا منظومتهما الفكرية انطلاقًا من المنظومة الإسلامية فحسب، وإنما نتيجة تفاعلهما مع الحضارة الغربية في الوقت ذاته، وهذا أمر طبيعي؛ فهي الحضارة التي فرضت سيطرتها على العالم في تلك اللحظة التاريخية، واكتسبت مركزية بحكم الانتصارات العسكرية التي حققتها، وطرحت رؤيتها في كل المجتمعات، وفرضت نفسها باعتبارها مستقبل البشرية جمعاء. وألقت بالتحدي الذي كان على الجميع الاستجابة له، وباختلاف نوع التحدي وحدَّته اختلفت الاستجابة، وقد وجد المصلحون الأوائل جوانب إيجابية كثيرة في هذه الحضارة الغربية، بل إنهم انبهروا بها، وهذا ما عبر عنه الشيخ رفاعة الطهطاوي والشيخ محمد عبده ولذا كانت استجابة الجيل الأول للتحدي الغربي هي: كيف يمكن أن نلحق بالغرب؟

لكن ظهر بعد ذلك نقد إسلامي للحداثة، وهذا النقد الإسلامي للحداثة يختلف عن أشكال نقد الحداثة في بقية



العالم، إذ أنه يدرك مدى ارتباط منظومة الحداثة الغربية بالإمبريالية الغربية، ويدرك صعوبة فصل الواحد عن الآخر (والإمبريالية كانت هي أول تجربة لنا مع الحداثة، والاستعمار الاستيطاني الصهيوني هو آخرها ولا ينفك عنها).

كما أن النقد الإسلامي للحداثة يتسم بأنه متفائل لأنه يطرح حلولاً على عكس النقد الغربي للحداثة فهو متشائم عدمي، يطرح الشروط الأساسية لتطوير المشروع الحداثي الإنساني العربي، فضلا عن المنطلقات الأساسية البنائية لهذا المشروع.

وتحدث المسيري عن سمات الخطاب الإسلامي الجديد الذي تحتاجه الأمة اليوم للنهضة، ومعالمه هي:

- رفض فكرة المركزية الغربية.
- الرؤية المتكاملة والانفتاح والنقد.
- خطاب جذري توليدي استكشافي.
- يصدر عن رؤية معرفية شاملة.
- القدرة على الاستفادة من الحداثة الغربية.
- القدرة على إدراك أبعاد إنسانية جديدة.
- القدرة على اكتشاف الإمكانات الخلاقة للمنظومة الإسلامية.
- تأسيس معجم حضاري متكامل ومستقل.
- إدراك المكون والبعد الحضاري للظواهر والأشياء المستحدثة.
- تأسيس رؤية إسلامية مستقلة في التنمية.
- الإيمان بالحركة والتدافع كأساس للحياة.
- إدراك مشكلات ما بعد الحداثة.
- تجاوز الإطلاقات المتناقضة والسماح بالتعددية.
- القدرة على الرؤية المتكاملة للشريعة ومقاصدها وإنزالها على الواقع المعاصر.
- القدرة على صياغة نموذج معرفي إسلامي والاحتكام إليه.
- الاهتمام بالأمة كياناً يتجاوز الدولة المركزية.
- محاولة تطوير رؤية شاملة للفنون الإسلامية.
- تجاوز المنظور الغربي في قراءة التاريخ.

وفي مجمل أعماله يدعو المسيري إلى إقامة نسق فكري عربي إسلامي يقوم على الثنائية والتجاور والإنسان الروحاني الديني الرباني مقابل الإرث الغربي المادي الطبيعي الجسدي.

إن الخطاب الإسلامي عند المسيري كان لابد أن يكون إنسانيًا، والمسلم المرتبط بالفطرة يجب أن يكون ربانيًا وعالميًا، ذلك هو المنطلق الذي آمن به الدكتور المسيرى، حينما أكد على إنسانية الإسلام وعالميته، ورحلته الفكرية والمعرفية كانت محاولة للبحث عن الإنسان، ذلك أن الوصف الأدق لرحلته هو وصف «رحلة البحث عن الحقيقة»، فرغم التحولات التي مر بها، فإن مكونات رؤيته وعناصرها الأساسية لم تتغير، رغم تغير بعض الأسس الفلسفية، ورغم تغير المنهج، حتى ذهب البعض إلى أن العامل الإنساني أو «المشترك الإنساني» هو مفتاح العالم النقدي للمسيري وهو الذي منح رؤيته الإسلامية سمتها الأصيل في نقدها للغرب وكشفها للمشروع الصهيوني واحتفائها باللغة والمجاز وإعادة صياغتها لرؤى الأطفال في قصصه البسيطة وحفاوته بالمقاومة التي تتحدى حسابات الهيمنة والقوة الغاشمة، وسيره في مظاهرات الديمقراطية يواجه خوذات الأمن وهراوات الشرطة.

حياة ثرية ودروس كبرى وعالم من المفاهيم والقضايا يحتاج إمعان نظر، وميراث من الحكمة يحتاج ورثة يبنون على ما قدم، وشخصية فريدة تعلمنا منها التواضع والصبر والتسليم للقدر والعزة بالله والشموخ في أزمنة الانكسار. يرحمه الله.

الكاتبة والباحثة الأميركية عائشة هنري لـ«الوعي الإسلامي»:

الإسلام ينتشر في الغرب بقوة مذهلة

حوار: هبة أبوالفتوح

أكدت الباحثة والكاتبة الأميركية الدكتورة عائشة (فرجينيا) جراي هنري أن الإسلام ينتشر في الغرب بقوة مذهلة أمام كل المخططات الرامية لاحتوائه ومنعه من الانتشار، وذلك لأن الإسلام يملك قوة روحية دافعة لكل مقومات الحضارة والتقدم، وأشارت إلى أن بذور النهضة والتقدم العلمي والحضاري الذي ينعم به الغرب ترجع في الأساس إلى المنهج العلمي التجريبي الذي يرجع الفضل في اكتشافه إلى علماء الحضارة الإسلامية، وقالت الدكتورة عائشة جراي لـ«الوعي الإسلامي»: على هامش زيارتها للقاهرة إن الغرب عندما خرج من ظلمات القرون الوسطى ونهض من تخلفه الرهيب تنكر لذلك وقام بغزوات استعمارية للعالم الإسلامي بدلا من رد الجميل، ووصفت الحملة التي يتعرض لها الإسلام في الغرب بأنها مخطط غربي لعرقلة انتشار الإسلام في الأوساط الغربية والأميركية بسرعة مذهلة، نظرا للفراغ الروحي الذي يعانيه الإنسان في ظل الحضارة الغربية وما أبدعته تلك الحضارة المادية من أشياء ساهمت في تدهور الجانب الروحي في حياة الإنسان، وأضافت أن الإسلام يملك قوة روحية دافعة لكل مقومات الحضارة والتقدم، وأن كل من يعرف حقيقة الإسلام من غير المسلمين في الغرب والولايات المتحدة الأميركية ينجذب إليه بقوة واقتناع، خاصة أن الدين الإسلامي جاء برسالة عالمية خاتمة لكل الأديان السماوية، وجاء بتشريعات تتلاءم مع الفطرة الإنسانية ومع الواقع المعاصر، كما تحدثت الدكتورة عائشة عن حوار الأديان وغير ذلك من الموضوعات التي تطرق إليها هذا الحوار، وإليكم نص الحوار:

■ ما تفسيرك للحملة الشعواء التي تشنها بعض وسائل الإعلام في معظم بلدان الغرب وفي الولايات المتحدة الأميركية ضد الاسلام؟

– نعم بصفتي مسلمة أميركية اعتنقت الإسلام منذ أكثر من ثلاثين عاما كنت في المرحلة التي سبقت اعتناقي للإسلام وحتى بعد اعتناقي للإسلام أقرأ وأسمع من حين لآخر عن الإسلام، بأنه دين يدعو أتباعه إلى العنف والتأخر وإلى الكسل والحياة البدائية والجري وراء إشباع الملذات والشهوات من النساء وغير ذلك من الأوصاف المنفرة، فضلا عن إرجاع السلبيات التي يرتكبها بعض المسلمين في أي مكان في العالم إلى الدين الاسلامي والعمل على تعميم هذه السيئات وتضخيمها أحيانا، نكاية في الإسلام والمسلمين، وبعد أن هداني الله عز وجل إلى الإسلام تعرفت على السبب الرئيسي الذي جعل مؤسسات ومنظمات معينة في الغرب تسعى لإعطاء فكرة سيئة عن الإسلام وتتعمد تشويه صورته النقية عن طريق إبداع مخططات لعرقلة انتشار الإسلام في الأوساط الغربية والأميركية، حيث أخذ في الانتشار بسرعة مذهلة، نظرا للفراغ الروحي الذي يعانيه الإنسان في ظل الحضارة الغربية وما أبدعته تلك الحضارة المادية من أشياء ساهمت في تدهور الجانب الروحي والخلقي في حياة الإنسان، فحرم الإنسان الغربي نعمة الإيمان والاطمئنان النفسي والاستقرار في حياته، وبالتالي فإن معظم الناس في الغرب وفي بلادي الولايات المتحدة الأميركية يتطلعون إلى الإيمان والحاجة إلى الأمان النفسي، وهذا لا يوجد إلا في الإسلام، فضلا عن أن بذور النهضة والتقدم العلمي والحضاري الذي ينعم به الغرب الآن ترجع بشكل أساسي إلى المنهج العلمي التجريبي الذي يرجع الفضل في اكتشافه إلى علماء الحضارة الإسلامية الذين استلهموه من القران الكريم، لكن للأسف فإن الغرب عندما خرج من ظلمات القرون الوسطى تنكر لذلك وقام بشن حملات استعمارية ضد العالم الاسلامي بدلا من رد الجميل والاعتراف بالفضل للإسلام والمسلمين.

■ كيف يمكن من وجهة نظرك تصحيح الصورة السلبية التي



مستقبل الإسلام في الغرب يبشر بالخير رغم التحديات والصعوبات

يحاول الإعلام الغربي ترسيخها في أذهان الغربيين؟

– عن طريق إبراز الصورة الصحيحة بالحوار، وكذلك إبراز القيم النافعة التي جاء بها الإسلام للإنسانية جمعاء، كالرحمة والكرم وعدم التفرقة بين إنسان وإنسان بغض النظر عن لونه وجنسه وعقيدته، ويجب على المسلمين عرض الإسلام وشرح مفاهيمه بطريقة صحيحة، وأن يعقدوا حوارات ولقاءات مع غير المسلمين لبيان حقيقة الإسلام بشرط ألا يكون الحوار في العقائد أو مقارنة عقيدة بعقيدة أخرى، لكن يجب أن ينصب موضوع الحوار على القيم المشتركة التي جاءت من أجلها الأديان السماوية والتي تدعو إلى التعايش بين الناس بسلام، ويجب ألا يتطرق المتحاورون في حوار الأديان إلى ما يقوله تراث كل عقيدة عن المعتقد في الله، ولكن المهم في هذا الأمر ما يقوله هذا الدين أو ذاك من تعليمات لإصلاح الإنسان وضمان حياة كريمة له، أيضا يجب على المسلمين لتصحيح صورة الإسلام أن يقدموا المعاني المستبطنة التي جاء بها الإسلام والتي يمكن أن ينجذب الناس من خلالها إلى الإسلام مثل المعاملة الطيبة وحسن الخلق وكل سلوك حسن يمثل الإسلام قولا وفعلا، فيجب ألا نقول إن الكتاب والسنة فقط هما المرجعية التي يجب أن نتمسك بهما، فحسن المعاملة والأدب مع الناس الذي علمنا النبي صلى الله عليه وسلم إياه ضروريان، أيضا يجب أن نتكلم اللغة التي يفهمها الآخرون، وألا نصدمهم برؤانا فقط.

■ ما هو توقعك لمستقبل الإسلام في أميركا والغرب خلال السنوات القادمة؟

– مستقبل الإسلام سواء في الغرب أو أي بلد آخر في العالم يبشر بالخير، ذلك لأن الإسلام يتميز بخاصية هامة لا تتوافر في أي ديانة أخرى، وهي صفة العالمية وصلاحيته لكل زمان ومكان، والإسلام يملك منهجا متكاملا للحياة، فيجب ألا نخشى على الإسلام، ولكن المطلوب منا نحن المسلمين أن نعمل لخدمة ديننا بإخلاص وتفان وأن نقدم النماذج الطيبة التي تصور للناس الإسلام الصحيح، وذلك من خلال الدعاة المهرة الذين يجيدون فن الدعوة إلى الله بيسر وسهولة والذين يبشرون بسماحة الإسلام ولا ينفرون.

■ ما هو دورك كامرأة مسلمة في تبليغ كلمة الإسلام إلى غير المسلمين في مجتمعك الأميركي؟

– أي مسلم، سواء كان رجلا أو امرأة، يجب أن يعلم انه مطالب بنصرة دينه والدفاع عنه، خاصة في الوقت الحالي الذي يتعرض فيه الإسلام لهجوم عنيف، فمثلا قمت منذ أن أسلمت بتأسيس جمعية في الولايات الأميركية تحت اسم «جمعية النصوص الإسلامية»، وهي تابعة لدار نشر خاصة بي اسمها الكوثر، وفي جمعية النصوص الأميركية نترجم ونطبع بعض كتب الفقه، خاصة الفقه على المذاهب الأربعة، وكتب ابن عطاء الله السكندري، وغير ذلك من المؤلفات وكتب التراث التي تعنى بتنمية الجانب الروحي في الإنسان، وقمنا بنشر هذه الكتب وتوزيعها على السجون والمصحات النفسية، وكانت لها رد فعل ايجابي.

■ ما تعليقك على الهجمات الوحشية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني في قطاع غزة على أيدي جيش الاحتلال الاسرائيلي؟

– هذا العدوان البشع يتنافى مع كل الأعراف الإنسانية وما جاءت به الشرائع السماوية من قيم إنسانية، وهذا يتطلب من العالم الإسلامي التكاتف والتضامن لإنقاذ المسلمين من هذا العدوان الذي تحاول وسائل الإعلام الصهيونية في أميركا والغرب تصويره بأنه دفاع عن النفس والمقاومة الفلسطينية إرهاب.

التربية بالجمال

م .محمد إلهامي

لا يكاد يحب العربية أحد ولا يحفظ شيئا من أشعار امرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة وبشار بن برد وأبي نواس وأمثالهما من «الماجنين»، كما لا يكاد يحب العربية أحد من طائفة المصلحين والعلماء والدعاة ولا يحفظ شيئا من أشعار المتنبي مثلا، والمتنبي لا يُنسب إلى صلاح ولا تعرف به التقوى! فلم بقيت أشعار هؤلاء، وإن كانت ماجنة، واختفت كثير من أشعار الصالحين؟ إنه.. الجمال، سحر البيان، وهذا وصف نبينا ﷺ إذ قال «إن من البيان لسحرا» (البخاري)، بهذا السحر وحده خلدت هذه الأسماء ثم خلدت بها سيرتها وأثرها، ولا أظننا في حاجة لإثبات أن الشعراء المجيدين أقرب إلى الخلود والأثر من عامة ذوي العقول والنظر.

نحاول في تلك السطور القادمة أن نطرق بابا، هو على حد علمي، لم يطرق إلى الآن بما يكفي على مستوى التنظير، وأشد منه ألما ومرارة حاله على مستوى التطبيق.

الحق وحده لا يكفي

ربما لا يلتفت كثير من العلماء وأهل التربية والدعوة إلى أن القرآن لم يكن حقا فحسب، وإنما كان حقا جميلا، بل معجزا في جماله.

وبهذا الجمال تحدى.. تحدى العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه، وما استطاعوا.

وبهذا الإعجاز في الجمال أثبت أنه كتاب الله لا كتاب البشر، وأنه وحي الله لا وحي البشر ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣)، وقف قليلا عند قوله ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فهنا جملة الرد، وهنا موضع التحدي.

ولأنهم يعلمون أنه لسان عربي مبين ومعجز، قالوا ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ﴾ (فصلت:٢٦) فكأنهم أقروا أن سامعه لا يقاوم هذا الجمال إلا أن يؤمن به.

وحين ذهب عتبة بن ربيعة، وهو الخبير بالشعر، يفاوض النبي ﷺ فسمع منه القرآن عاد إلى قريش وقد سلبه جمال القرآن عقله حتى إنه لم يتذكر منه شيئا، ثم قال «والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى وإنه ليحطم ما تحته» (١)

ولا حاجة بنا للإطالة في هذا، فنحن نخاطب أهل التربية والدعوة، وإنما الغرض أن نقول إن القرآن لم يكن حقا فقط، بل كان حقا جميلا باهرا إلى حد الإعجاز والتحدي، ولو كان الإنسان عقلا فقط فلربما كان الأوفق له أن يكون كتاب حقائق علمية، ولكن فطرة الله في الإنسان أنه يتذوق الجمال، فوق كونه يعقل المنطق.

ونحن حين ندرك هذا، ندرك معه أنه لا ينفع الناس أن نعظهم بمجرد الحقائق، بل بلطائف الجمال كذلك، وهذا يشمل كل الناس من الطفل إلى الشيخ، ومن الجاهل حتى العالم، ومن لا يشعر بالجمال ولا يتأثر به فلربما شككنا في سلامة فطرته.

وسنرى كذلك أن النبي ﷺ لم يكن داعية حق محض فحسب، بل هو من الجمال بمكان، لقد هيأه الله للرسالة فكان أجمل الناس خُلُقا ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤) ولكن ينبغي أن نتذكر كذلك أنه كان أجمل الناس خَلْقا، روى البراء بن عازب فقال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير» (متفق عليه)، ولما سئل البراء أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال: لا.. بل مثل القمر» (متفق عليه).

ولقد أوتي القرآن ومثله معه (٢) كذلك، انتبه: إنه لم يؤت القرآن فقط، بل أوتي السنة وقد وصفها بكونها «مثل القرآن» فهي مثله في الحكمة، ومثله في البلاغة والجمال والإعجاز كذلك، وذكر النبي ﷺ فضله على الأنبياء فكان مما قال «أعطيت جوامع الكلم» (مسلم).

وإننا نجد سيدنا موسى حين كُلِّف بدعوة فرعون، أدرك أهمية حسن البيان فدعا الله فقال ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾(القصص:٣٤).

ولا يحسن أن ننسى أبدا حال المنافقين، وهل في خصال البشر أسوأ من النفاق والانطواء على السوء؟ إن هذا الباطل المحض والسوء المنفر حين كُسِيَ بالجمال صار أهلا لأن يحذر الله منهم نبيه وعباده المؤمنين، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ (المنافقون:٤) قال ابن كثير: «كانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة، إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم» (٣).

خَلْقُ الله: وظيفة وجمال

نرى الإشارة إلى الجمال صفة ثابتة في منهج القرآن الكريم في مواطن التذكير بالنعم، وهذه الإشارة هي فاتحة المسار نحو تأمل هذه الطبيعة المضطردة في خلق الله تبارك وتعالى عبر الكون «كتاب الله المنظور».

لقد امتن الله على عباده بالجبال التي تثبت الأرض وتحفظها، فهي الأوتاد وهي الرواسي، ولكن تلك الجبال التي تقوم بمهمتها خير قيام

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية وصاحب مدونة المؤرخ

الدخول إلى النفس من باب الجمال منهج قرآني ونبوي والأفضل للداعية أن يتحدث عن جمال الإسلام بدل الحديث عن تكاليفه



كانت أيضا ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر:٢٧) فكان «جمال» الجبال واختلاف ألوانها من نعم الله، ومن الأدلة عليه.

وذكر الله كذلك نعمته على عباده بما سخر لهم من دواب، تلك الدواب التي تنجز لهم أعمالهم وتحمل أثقالهم وتقطع بهم المسافات كانت كذلك من الجمال، اسمع قوله تعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل:٥- ٨)

بل قد يذكر الله الجمال أولا وقبل الوظيفة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ (الملك:٥)، فهنا كانت المصابيح زينة السماء قبل أن تكون رجوم الشياطين.

بل وربما ذكر الجمال فحسب، فتكون منة الله على عباده الجمال وحده ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (النحل:١٣)، ففي «اختلاف الألوان» تكمن الآية، ومثل هذا أن يلفت الله النظر في ذات الشيء إلى الجمال وحده، إننا نجد الله حين قرر حق الفقراء في ثمار الأغنياء قال ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأنعام:١٤١) ولكنه وفي آية أخرى في نفس السياق تحدث عن جمال الثمار فحسب فقال ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (الأنعام:٩٩) فهنا حديث عن الجمال الذي تراه العين وأمر بالتأمل فيه.

إن هذا المنهج القرآني حري أن نتوقف عنده طويلا، ونتعلم.. نتعلم كيف نعرض الحقائق في الثوب الجميل، باللفظ الجميل، بالعبارة الجميلة، فلقد خلق الله الإنسان ولكنه أنزل إليه لباسا وريشا.

ولقد أبدع في وصف هذا المنهج الأستاذ محمد قطب فقال في كتابه قبسات من الرسول ﷺ: الجمال فطرة الطبيعة، فطرة الحياة التي خلقها الله، والحياة لا تكتفي بقضاء الضرورة، ولكنها تهدف دائما إلى الإحسان في الأداء.

أرأيت هذه الزهرة الجميلة الفياحة الشذى المتناسقة الألوان؟ أتظن ذلك «ضرورة»؟ قالوا: لتجتذب إليها النحل فينتج منها العسل غذاء وشفاء للناس! وتساعد كذلك في تلقيح النباتات!

فهل تظن ذلك؟

هل من «الضرورة» بالقياس إلى النحل أن يكون في الزهرة كل هذا الجمال؟

كلا والله! فالنحل خلق متواضع! وإنه ليحط على الزهرة الرائعة التناسق كما يحط على الزهرة العادية الجمال.

ثم يزيد هذا الأمر توضيحا في كتابه (منهج التربية الإسلامية) فيقول: «إن الجبال لا تكتفي بأن تكون جبالا.. ولكنها تكون جميلة ورائعة مكسوة بالثلوج، أو مكسوة بالغابات!

إن السحاب لا يكتفي بأن يكون سحابا يحمل الماء.. ولكنه كذلك يكون جميلا بأشكاله وألوانه، ثم ينتشر عليه في بعض الأحيان، طيف الشمس (قوس قزح) في منظر رائع جميل!

إن النبات لا يكتفي بأن يكون نباتا، ولكنه يُورق ويزهر، ويستمتع منه الإنسان بزهره الأريج وشكله البهيج!

إن الطير لا يكتفي بأن يكون طيرا، ولكنه يسقسق ويغرد ويلعب ويقفز، وتزهو منه الألوان!

إن الحيوان لا يكتفي بأن يكون حيوانا، ولكنه يقفز ويمرح، و «يتخابث» في لطف ويُستأنف للإنسان (٥)

الدعوة بالجمال

حين خاطب الله تعالى الناس ليؤمنوا، والمؤمنين ليثبتوا ويزدادوا إيمانا، كان الخطاب القرآني فوق بلاغته يشير إلى الجمال المنثور في الكون، وبهذا الجمال وإتقان الصنعة كان القرآن يقول للناس آمنوا بالله.

فالله هو الذي خلق لكم، وأنزل لكم، وسخر لكم، وإن جعل عليكم النهار سرمدا فلن يأتيكم أحد بليل، ولو جعل عليكم الليل سرمدا فلن يأتيكم أحد بنهار، وآيات القرآن في هذا الشأن يمتزج فيها إتقان الخلق، بجمال الخلق.

وقس على هذا كثير، ونحن هنا في مقام الإشارة، ثم نحن نخاطب أهل التربية وهم في هذا المقام أفذاذ ألمعيون.

وبمثل هذا النهج كان حرص النبي ﷺ على الدعوة بالجمال، وقد سبق أن قلنا إن الله حسَّن خلْقَه، ولكنه ﷺ وكما روى جرير بن عبد الله قال «ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في

وجهي» (متفق عليه).

وكان ﷺ محتفيا بالجمال إلى الحد الذي يقرر فيه أن «الطهور شطر الإيمان» (البخاري).

وقال «لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس، لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة» (أحمد و النسائي).

ولقد أعلن النبي ﷺ أنه يحب الطيب فقال: «حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» (البخاري)، وكان من عادته ﷺ إذا أتي بطيب لم يرده (النسائي) ، بل وأوصى ﷺ فقال: «من عرض عليه ريحان فلا يرده، فإنه طيب الرايح خفيف المحمل» (مسلم).

وعندما صنعت لرسول الله ﷺ بردة سوداء ولبسها فلما عرق فيها وجد ريح الصوف فقذفها(أبوداود).

ولهذا كان من وصف خادم النبي ﷺ أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: «ولا مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ (مسلم).

وتعددت وصايا النبي ﷺ في هذا الشأن، يروي: أبوالأحوص عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ في ثوب دون، فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قال قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق، قال فإذا آتاك الله مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته (أبوداود والترمذي والنسائي).

وأوصى فقال ﷺ «ما على أحدكم إن وَجَدَ- أو ما على أحدكم إن وجدتم- أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثَوْبَيْ مِهْنَتِه؟!» (أبوداود وابن ماجة).

وخلاصة المنهج الإسلامي مع الجمال تكمن في قوله ﷺ «إن الله جميل يحب الجمال» (مسلم).

وبالجملة فإن المصطفى ﷺ «لم يتسخ له ثوب قط قيل لأنه لا يبدو منه إلا طيب».

كما كان ﷺ صاحب ذوق رفيع، وهو نوع آخر من الجمال كذلك، فعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ «كان إذا صافح رجلا لم يترك يده حتى يكون هو التارك ليد رسول الله ﷺ» (السلسلة الصحيحة للألباني).

ونهى ﷺ أن يجلس الرجل بين الرجلين إلا بإذنهما (السلسة الصحيحة للألباني).

وقال ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه» (متفق عليه).

وقال ﷺ «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» (البيهقي وحسنه الألباني).

حتى في مناداة العبد والخادم أوصى النبي ﷺ «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: فتاي وفتاتي» (مسلم).

هذا المنهج تعلمه صحابة النبي ﷺ فعرفوا أن للجمال أثرا في الدعوة، وأي أثر! فحين ذهب ابن عباس رضي الله عنه كرسول من علي بن أبي طالب لمحاورة الخوارج الحرورية وإقناعهم بالحق، إنه لجدير أن نقف عنده وهو يختار أن يلبس لهذه المهمة أفضل ما لديه من ثياب، روى أبوداود عنه أنه قال لما خرجت الحرورية أتيت عليا رضي الله عنه فقال: ائت هؤلاء القوم فلبست أحسن ما يكون من حلل اليمن قال أبوزميل وكان ابن عباس رجلا جميلا جهيرا، قال ابن عباس فأتيتهم فقالوا مرحبا بك يا ابن عباس ما هذه الحلة؟ قال ما تعيبون علي لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل (أبوداود).

وأثر الجمال في النفوس فهمه أيضا سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، حتى يحكي الإمام المناوي قائلا «وقد كانت ثياب شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف في غاية النقاء والنظافة والبياض إلى حد لا يبلغه ثياب الملوك في عصره كأنه مع ثيابه قطعة نور» (ثم يضيف المناوي) والنظافة مما تزيد في العين مهابة، وفي القلب جلالة (٦) وفي هذا المقام نرجو من إخواننا وشيوخنا الدعاة والمربين مراجعة سيرة الإمام الليث بن سعد.

العزة بالجمال

ذلك ما فهمه معاوية بن سفيان رضي الله عنه حين كان في ولاية الشام على عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فحين خرج عمر بن الخطاب إلى الشام فرأى معاوية في موكب يتلقاه وراح إليه في موكب فقال له عمر: يا معاوية تروح في موكب وتغدو في مثله وبلغني أنك تصبح في منزلك وذوو الحاجات ببابك، قال: يا أمير المؤمنين إن العدو بها قريب منا ولهم عيون وجواسيس فأردت يا أمير المؤمنين أن يروا للإسلام عزا فقال له عمر: إن هذا لكيد رجل لبيب أو خدعة رجل أريب (٧)

ويروي المقري عن العصر الذهبي للأندلس زيارة ملك الجلالقة أردون (أوردونيو) ودخوله إلى قصر الزهراء بين يدي الحكم المستنصر (حكم منذ ٣٥٠ هـ إلى ٣٦٦ هـ) فما كاد الملك يتماسك مما رآه من أبهة وجمال، حتى إنه سجد بين يدي الخليفة مرارا وظل لوقت ساكتا من الجلال: «فلما قابل السرير (كرسي الخليفة) خر ساجدا سويعة، ثم استوى قائما، ثم نهض خطوات، وعاد إلى السجود، ووالى ذلك مرارا إلى أن قدم بين يدي الخليفة وأهوى إلى يده فناوله إياها وكر راكعا مقهقرا على عقبه إلى وساد ديباج مثقل بالذهب، جعل له هنالك ووضع على قدر عشرة أذرع من السرير (كرسي الخليفة) فجلس عليه والبَهْرُ قد علاه.. فأطرق الحكم عن تكليم الملك أردون إثر قعوده أمامه وقتا كيما يُفْرِخ روعه، فلما رأى أن قد خُفِّض عليه افتتح تكليمه.. تطلق وجه أردون وانحط عن مرتبته فقبل البساط وقال أنا عبد أمير المؤمنين.. فكرر أردون الخضوع وأسهب في الشكر وقام للانصراف مقهقرا لا يولي الخليفة ظهره وقد تكنفه الفتيان فأخرجوه إلى المجلس الغربي في السطح وقد علاه البهر وأذهله الروع من هول ما باشره وجلالة ما عاينه من فخامة الخليفة وبهاء العزة، فلما أن دخل المجلس ووقعت

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية وصاحب مدونة المؤرخ

عينه على مقعد أمير المؤمنين خاليا منه انحط ساجدا إعظاما له (وأمر له الخليفة بخلعة) كانت دراعة منسوجة بالذهب وبرنسا مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت ملأت عين العلج تجلة فخر ساجدا وأعلن بالدعاء.

واستشعر الناس من مسرة هذا اليوم وعزة الإسلام فيه ما أفاضوا في التبجح به والتحدث عنه أياما، فمن ذلك قول عبدالملك بن سعيد المرادي:

مُلك الخليفة آية الإقبال
وسُعوده موصولة بتوالي
والمسلمون بعزة وبرفعة
والمشركون بذلة وسفال» (٨)

وإن نظرة إلى قصر الحمراء في غرناطة لتملأ النفس الإنسانية إعجابا وانبهارا، وتملأ نفوس المسلمين خصوصا فوق الإعجاب حسرة وحزنا وشوقا وفخرا.

ولا أحسب أحدا يجادل في أن جماهير من تغربوا أو انخدعوا بالغرب بهرهم جماله وتفوقه لا فلسفته وثقافته.

الخلاصة

أن الدخول إلى النفس من باب الجمال، هو منهج قرآني ونبوي، وهو قرين الدخول إلى الإنسان من باب العقل والإقناع، بل ربما أحيانا يسبقه، والعبرة في هذا بطائفة المخاطَبين أو الطلاب والتلاميذ، وكلما كان المخاطَب طفلا أو غلاما كلما ازدادت الحاجة إلى الجمال أكثر من الإقناع.

وإنه ليحسن للداعية أن يتحدث عن «جمال الإسلام» بدل أن يتحدث عن «قيود الإسلام» أو «تكاليف الإسلام» والمعنى في الحالين واحد ولكن المدخل في الأولى ألطف وأقرب وأحب إلى النفس.

ولاشك عندي في أن نفس الداعية مستحضرة للحق متحيزة له، ولكن الأمر لا يتطلب كثير وقت لتحسين المداخل وتجويد العبارة.

وليتذكر أن الخلود مشروط بالجمال، طالما كان الموضوع في ميدان النفس ولم يكن في ميدان العلوم البحتة، ولعله حين يشرد مفكرا في الجمال سيجد في رأسه بيتا للمتنبي أو أبي نواس، فيعلم أن فطرة النفوس وإن رفضت المعنى فقد قبلت الثياب ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف:٢٦).

الهوامش

١- انظر: الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى. ص١٥٨، ١٦٠. وإبراهيم العلي: صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، عمان، الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م. ص٥٨

٢- حديث «ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه» أخرجه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٦٤٣.

٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م ١٢٦/٨

٤- محمد قطب: قبسات من الرسول ص١٠٥: ١٠٧.

٥- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية ص١٥٠.

٦- المناوي: فيض القدير دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م (٢٨٥/٢).

٧- لطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٦٥/٣.

٨- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م. ٣٨٨/١: ٣٩٣ باختصار.

الشيخ عبدالملك الشافعي في ذمة الله



توفي في الكويت يوم الأحد ٢٠١٠/٧/١١ الشيخ عبدالملك الشافعي الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية منذ أكثر من خمس وثلاثين سنة بعدما هاجر من موطنه الأصلي مصر في أوائل السبعينيات، حيث كان مسجده يغص بالمصلين في صلاة التراويح لعذوبة صوته.

وقد عمل الشيخ الشافعي مدرساً للتجويد في دور القرآن في الكويت لسنوات عدة، وتتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم.

كان الشيخ يلقب بكروان القرآن لعذوبة صوته، وكان عند اقتراب موعد الصلاة دائمًا ما يذكرنا فعله بحديث رسول الله ﷺ «أرحنا بها يا بلال»، فكان يروح ويجيء ذهابًا وإيابًا متعجلًا الذهاب، ثم يقصد المسجد قبل الصلاة بما يزيد على الساعة، وكان وقورًا له سمت العلماء لا يتحدث إلا فيما يعلم، قليل الكلام ولا يذكر أحدًا بسوء، فكان كلما جاءت أخبار الظلمة والظالمين لا يرد إلا بقول واحد «والله من ورائهم محيط» مكررًا إياها أكثر من مرة، كان شبابه جهادًا في سبيل الله، حيث جاهد ضد الإستعمار الإنجليزي والإحتلال الصهيوني، وسطر مع إخوانه أروع الملاحم التي أغفلها الظالمون، وكانت حياته كلها في خدمة القرآن، ومتعته في دراسته، وكان دائم قيام الليل حتى في شيخوخته، وكان شهمًا مخلصًا إذا طلبت منه خدمة لوجه الله تعالى لباها في التو واللحظة، حتى تسأل نفسك أكانت الخدمة له أم لغيره من فرط حرصه على أدائها مهما كانت ظروفه.

رحم الله شيخنا الجليل ورزقه الفردوس الأعلى، اللهم وسع مدخله، وأكرم نزله، وزد في إحسانه، وتجاوز عن سيئاته، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الذنوب والخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره، واحشرنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الشمول الإسلامي.. حقائقه وآفاقه

أ.د.عبدالستار فتح الله



لقد أحكم الله الدين قبل نشأة الأمم، أو قيام الحضارات البشرية، وعلّمه للإنسان منذ أول الطريق، حين أُهبط على الأرض؛ لأنه أساس هدايته، وضرورة معاشه ومعاده، كما قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤)، وهذا خبر الحق والصدق الذي لا يتخلف أبدًا: بأن شريعة الله لعباده هي الهداية الخالصة التي تعصمهم من الضلال والضياع في كل شؤون الحياة، والتي تفضي بهم إلى سعادة الأبد في الآخرة. ثم هذا نذير قاطع بأن الإعراض عنها يؤدي إلى ضنك الحياة، وشقاء العيش، وعماية النهاية، ضرورة أن الإنسان لا يعيش في فراغ، فمن أعرض عن الحق لابد أن يقع في الأباطيل، وأن يتمرغ في أوحالها وأهوالها، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ﴾ (يونس: ٣٢)، وهذا تقرير واضح بشمول الهدي الإلهي لكل ما يحتاجه الإنسان في معاشه ومعاده، حتى يتأكد الاتباع، ولا يضطر الإنسان إلى الإعراض في شيء من جوانب الحياة البشرية المتلاطمة.

الشريعة الدائمة العادلة

وعلى هذا الهدي تتابعت الرسل- عليهم السلام- بدين الله الجامع الشامل، وجاءوا بمنهج واحد مؤتلف غير مختلف، كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى: ١٣)، ذلك لأن الشارع الموحي واحد لا شريك له.

والرسالة عبر أولي العزم جميعًا رسالة صادقة هادية، من فجر التاريخ النبوي الشريف إلى ختامه بمحمد ﷺ ثم امتداده إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)، وهذه آية جامعة لخصائص الرسالة الإلهية، وأنها تقصد قصدًا إلى تحقيق العدل، وإقامة القسط بين الناس، خاصة إذا تنازعوا واختلفوا، كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣).

الرسالة الخاتمة

وكان كل رسول يُبعث إلى قومه بالشريعة الإلهية الجامعة، وتعادلت كثرة الرسل- عليهم السلام- مع تعدُّد الأقوام والأمم، إلى أن بعث الله- تعالى- محمدًا ﷺ بالرسالة الخاتمة، فقام بعموم رسالته مقام الكثرة السابقة، واجتمع له ﷺ الشمول من أطرافه جميعًا، خاصة بالمعجزة الخاتمة (معجزة القرآن الكريم) أو الفرقان الذي فرّق الله به بين الحق والباطل، وجعله تعالى حجته الدائمة على جميع البشر جميعًا، وصوت النبوة الممدودة إلى آخر الدهر.

وفي هذه الرسالة الخاتمة اتسعت جوانب الشمول الإسلامي، وامتدت طولًا وعرضًا وعمقًا حتى استوعبت جميع الأفراد والأمم، وقررت كلّ طيّب من المبادئ والنُّظم، وتوجهت بالخطاب الأعلى لكل الأزمنة

أستاذ العقيدة في جامعة الأزهر سابقاً

والأمكنة، مع غاية التبيان في الخطاب، وقوة الحجة، وصحة الدليل والبرهان.

هذا الإجمال يحتاج إلى تفصيل وبيان واستدلال من صريح الوحي الإلهي الجليل، المحفوظ بأصليه الجامعَين (القرآن الكريم، والسُّنة المطهرة) كما قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١) وكما قال تعالى، مخاطبًا رسولَه الأمين، ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٣).

آفاقُ الشمول الإسلامي

تعددت جوانب الشمول الإسلامي، واتسعت آفاقه في هذه الرسالة الخاتمة، التي أراد الله- تعالى- لها أن تكون خطابه الدائم إلى يوم القيامة، وحجته الممدوة في حياة الرسول الخاتم ﷺ وبعد وفاته عليه السلام. ويتمثل ذلك في ثلاثة أقسام:

الشمول الظرفي

ونعني به أن الإسلام خطاب إلهي موجّه لكل البقاع في الأرض، ولكل الأزمنة منذ بُعث رسول الله ﷺ إلى أن ينفخ إسرافيل في الصور إيذانًا بتصدع الكون، وانتهاء مرحلة التكليف والاختبار في حياة الإنسان؛ ولذلك كان خطابًا لأهل مكة الذين بدأ بهم رسول الله ﷺ كما أمره تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤).

الشمول الشخصي

ونعني به استيعاب جميع الأشخاص العقلاء البالغين في توجيه الخطاب الإسلامي إليهم، سواء كانوا أفرادًا أو جماعات محدودة كالأسرة أو القبيلة، أو كانوا شعوبًا وأممًا تحكمهم الأعراف والتقاليد في البوادي، أو تحكمهم حكومات في دولة منظمة ذات قوانين.

إن كل من يدرج على أرض الله مخاطَب بهذه الرسالة، ومكلّف بها في أي مكان درج، وفي أي زمان وُجد، كما قال تعالى في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله- عز وجل-: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ (الأنعام: ١٩)، فقوله تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ خطاب لأهل مكة أو العرب

الإسلام خطاب إلهي موجه لكل البقاع في الأرض ولكل الأزمنة منذ البعثة المحمدية إلى يوم القيامة

عامة برسالة القرآن، وقوله تعالى: ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ أي إنه خطاب لكل من بلغه القرآن، أو لكل من بلغ سن التكليف، واللفظ عام في العرب وغيرهم في معنييه:

- الأول، من البلاغ بمعنى العلم به على وجه صحيح.
- الثاني، من البلوغ وهو حد التكليف الملزم بالخطاب الإلهي.

الشمول التشريعي

وهو الأساس الثابت في الدين الإلهي للناس، على ألسنة الرسل- عليهم السلام- في كل العصور، مع مراعاة بعض الفروق والتفاوتات المناسبة للأزمنة أو الأمكنة أو الأقوام، حسبما تقتضيه الحكمة الإلهية المبنية على العلم المحيط.

والأصل في هذا هو قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...﴾ (الشورى: ١٣).

وفي الرسالة الخاتمة بالذات أكثَرَ القرآن من تقرير الشمول الجامع، بصيغ عديدة غاية في الصراحة والوضوح، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

والتبيان أبلغ من البيان، والشمول مأخوذ نصًّا من قوله تعالى ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ مما يحتاجه الناس في شؤون حياتهم إيمانًا وأخلاقًا وعبادات ومعاملات.

وقال تعالى في ختام العهد المكي: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، والآية الكريمة نزلت في حجة الوداع في يوم عرفة من السنة العاشرة للهجرة.

والإكمال يرجع إلى معاني الجودة في الصفات (الكيف)، والإتمام يرجع إلى معاني الشمول في الأعداد (الكم).

فتعين من هذا أن الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده مستجمع لكل الصفات الجيدة، ولأعداد الأحكام في كل جوانب الحياة، لأن الله تعالى هو الذي يشرّع لعباده، ولا يعطيهم دينًا ناقصًا أبدًا، كما قال تعالى ذلك من قبل في العهد المكي: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦١- ١٦٣).

إن الإسلام شامل لكل شؤون الحياة الخاصة والعامة، والفردية والجماعية، وجامع لكل ما يحتاجه الناس في الأصول والفروع، والمبادئ والأحكام، سواء أُريد بالعدد المذكور معنى التحديد الذي تضم فيه كل شعبة قضايا ومسائل متكاثرة لا تكاد تُحصر أيضًا، وبذلك يتفق الأمران في النتيجة الواحدة، المثبتة لمعنى الشمول.

ولعلماء الإسلام بحوث مستفيضة في شرح هذه الشعب الكثيرة، كما فعل الإمام البيهقي في كتابه الكبير «شُعب الإيمان».

وكما فعل الحافظ ابن حجر في كتابه «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، حيث استوعب بهذه الشعب أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن، وما يتعلق بالفرد، والجماعة، والدولة، في تفصيل نفيس، وبيان جامع نافع، وعد للمبادئ والأحكام التي تغطي جميع جوانب الحياة البشرية، من خلال هذه الشعب التي جاءت في الحديث النبوي على هذا الضرب من الإيجاز والإعجاز. (انظر فتح الباري، ج١، ص٥٢،- ٥٣).

وبذلك يتقرر الشمول الإسلامي في كل جوانب الحياة، على وصفه النبوي، وعلى وصفة القرآن من حيث الإكمال والإتمام، ولذلك كان خليقًا بأن يتوج بأعظم شهادة في الوجود: ﴿ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ (المائدة: ٣)، وكفى بذلك تشريفًا وتمجيدًا.. وكفى بالله شهيدًا.

بين التربية والتعليم

ارتبط العلم بالإسلام منذ نزول الوحي على الرسول ﷺ عندما كان في غار حراء ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق:١-٥).

ثم توالى نزول الآيات التي تحض على طلب العلم لأن الإنسان المستخلف لا يمكن أن يؤدي مهام الاستخلاف ويحقق غاياته إلا إذا أتقن العملية التعليمية، وهضم العلوم والمعارف، وجعل العلم مفتاح الاستخلاف، ويوم أقبلت أمتنا على العلم وبنت مؤسساته على قواعد متينة من الكتاب والسنة امتلكت دفة الريادة وبوصلتها في الأرض، وبنت حضارة امتدت قرونًا عديدة.

إن فجوة التخلف العلمي التي تعانيها أمتنا اليوم لا يمكن تجاوزها إلا إذا قمنا بعملية مراجعة شاملة لمؤسساتنا التعليمية وربطها بعملية التنمية المجتمعية.

يقول أحد المفكرين مشخصًا وضع التعليم في عالمنا العربي والإسلامي: «إن الإشكالية ليست في عدد الجامعات ولا عدد الرسائل الجامعية، ولا قلة الخريجين، ولا عدد المجلات المحكمة، ولا عدد كليات التربية، وإعداد المعلمين، كما أنها ليست في كمية الإنفاق الحكومي وإنما الإشكالية في حقيقتها يمكن أن توصف بأنها أزمة ذاتية أو علة ذاتية في التعليم ذاته، وهي في الذهنية والمنهجية والنوعية».

إن عملية النهوض الحضاري لابد أن تبدأ بالعلم والتعليم، كما بدأت أول مرة من خلال رسالة «اقرأ»، وعملية التعليم لابد أن تبنى على استراتيجية علمية واضحة المعالم والرؤى والأهداف، حتى نحول التخلف إلى أداة لإيقاظ الأمة من سباتها وإخراجها من كبوتها التي طال عليها الأمد.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

«الوعي الإسلامي»

إسلامية التربية

أ.د. سعيد إسماعيل علي

لا يسع الإنسان المنتمي لعقيدة دينية إلا أن يقر منذ اللحظة الأولى أن مقصد العقيدة لا يمكن أن يقف عند حد الإيمان بما تتضمنه هذه العقيدة من معارف، مهما وصل الإيمان بها إلى حد اليقين المطلق، مثلما يؤمن المسلم بإله واحد وأن محمدا رسول الله، وبما سبق أن أرسلهم المولى سبحانه وتعالى من رسل وأنبياء، وما جاء على أيديهم من كتب، ومابشروا به من بعث لحياة آخرة تتم فيها المحاسبة: إما إلى نار جهنم أو إلى جنة عرضها السموات والأرض، وإنما جوهر الإيمان الحقيقي، يتبدى- بالإضافة إلى العقيدة- فيما يسلكه المؤمن تجاه نفسه وتجاه غيره، ومن قبل ومن بعد، تجاه الخالق عز وجل.

بناء على هذه الحقيقة، فإن العروة لابد أن تكون وثقى بين التربية وبين الدين، إلى الحد الذي يمكن أن نؤكد معه أن دينا مثل الإسلام بصفة خاصة ذو طابع تربوي أصيل.

وإذا كنا نتيقن من الطابع التربوي للإسلام، فلابد من التوقف بعض الشيء أمام الجانب الآخر، وهو إمكان أن تكون التربية «إسلامية»، حيث يستنكر البعض هذا، مثلما يستنكرونه في مجالات أخرى، فلا سياسة في الدين، ولا دين في السياسة، والأمر كذلك بالنسبة للاقتصاد وغيره.

فقبل أن تشن الحملة الضارية على معظم ما ينطلق منطلقا وإسلاميا، والتي فاقت كل الحدود والتوقعات بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م في نيويورك، كانت قد ارتفعت دعوة إلى ما عرف بأسلمة المعرفة أو إسلاميتها، والتي قوبلت برد فعل مضاد ساخر مستنكر، وكان من المعتاد أن يضرب مثل من العلوم الطبيعية والك ونية بصفة خاصة لتأكيد الاستنكار والسخرية، بأنه ليست هناك كيمياء إسلامية وأخرى غير إسلامية، وليست هناك فيزياء إسلامية وفيزياء غير إسلامية، وقياسا على هذا فليست هناك تربية إسلامية وتربية غير إسلامية، فالتربية هي التربية في كل مكان.

كانت مثل هذه الأمثلة مدعاة لأن يبدو هذا الإنكار وقد حمل قدرا كبيرًا من المصداقية، ذلك أن موضوعات مثل هذه العلوم تتعلق بالمادة، والمادة لا علاقة لها بالعقيدة والفلسفة والتوجه، فتكون الكيمياء في روسيا هي نفسها الكيمياء في أميركا، وهي نفسها في البرازيل أو في مصر وسوريا... وهكذا.

لكن الأمر لم يكن كذلك في حقيقة الأمر، فالذين أطلقوا دعوة إسلامية المعرفة، كانوا يقصدون

أستاذ أصول التربية بكلية التربية في جامعة عين شمس

بصفة خاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وإلى حد ما بعض الجوانب في غيرها من العلوم، وكان أبرز ما حظي بالجهد العلمي الكبير والمتواصل هو ما أصبح معروفا باسم الاقتصاد الإسلامي.

وإذا كانت جهود إسلامية الاقتصاد لم تعرف طريقها إلى الظهور إلا منذ السبعينيات على وجه التقريب، فإن من الغريب أن تكون جهود التربية الإسلامية، قد عرفت طريقها قبيل ذلك بكثير، في الأربعينيات على وجه التقريب، عندما أنجز د. أحمد فؤاد الأهواني رسالته للدكتوراه في آداب القاهرة، في أوائل الأربعينيات عن التعليم في رأي القابسي.

والفكرة هنا أنه ما من علم إلا ويقوم على عدد من المنطلقات والمسلمات والأطر الفكرية التي يكون لها دورها الفاعل في تحديد الأهداف، وتشكيل المسارات، وفتح الآفاق، وفضلا عن هذا وذاك، ترتبط به منظومة من القيم الأخلاقية التي يلتزم بها العاملون في هذا القطاع أو ذاك، مما يجيز لنا وسم هذا النسق أو ذاك بصفة الإسلامية.

والغريب حقا أننا عرفنا قبل هذا، ومنذ عقود عدة، ما أصبح معروفا بالعمارة الإسلامية، حيث الموضوع هنا موضوع «حجر» لا بشر، فكيف يمكن وسم الدراسات المتصلة بالحجارة بسمة عقيدة بعينها؟ لقد كان مقبولا أن نقول: عمارة فرعونية وأخرى بيزنطية، مثلا، حيث تكون

التربية.. عملية تنفيذية في بناء الإنسان وتحتاج إلى تصميم عدد المسارات والاتجاهات

الغلبة هنا لبيئة معينة، ومكان بالذات، أما أن يكون الدافع للتسمية هو العقيدة فهذا ما يستدعي وقفة، ربما تساعدنا على فهم الدعوة إلى إسلامية التربية، والتي نشارك كثيرين في الدعوة إليها.

الحق أنني لا أزعم معرفة بالعمارة الإسلامية، وإنما هي صفحات قليلة للغاية، ومناقشات كانت تجري بيني وبين ابنتي التي تخصصت في العمارة منذ الثمانينيات، حيث لاحظت بالفعل سمات بعينها تخص هذا النوع من العمارة.

فهناك مثلا الجدر السميكة التي، فضلا عن فعلها في عزل الداخل عن حرارة الجو خارجه، لها دورها الثقافي والاجتماعي من حيث الحفاظ على سرية ما يتم من أحاديث داخل المكان، فلا يسمع الأولاد ما يدور بين الأب والأم مما هو جائز وما هو غير جائز، وكذلك لا يتاح هذا أيضا للجيران، بينما سمك جدار اليوم لا يراعى ذلك أبدا.

إن مثل هذا الشأن يعكس وجها من أوجه المنظومة القيمية في الإسلام من حيث «الحرمة»، فالعلاقات بين الرجل والمرأة ليس من المسموح أن تنكشف للآخرين.

وفي ظل هذا النسق المعماري، كانت هناك «المشربية» التي تتيح لأهل الدار أن ينظروا إلى خارج السكن، دون أن «ينكشفوا» على الآخرين.

وكانت الأبواب والنوافذ مستطيلة، لها جزء بأعلاها ينفتح مستقلا، متيحا الفرصة لدخول الهواء، ومن ثم حيث يتيح الفرصة أيضا لمن هم بالداخل أن ينكشفوا، ويتعروا أحيانا دون اضطرار للإغلاق، حيث حرارة الجو، وقبل ظهور أجهزة التكييف.

وفي المساجد والمدارس التي عرفت بالإسلامية



من حيث طرازها المعمارى، كانت القاعدة عند التصميم الهندسي أن تحدد جهات المبنى بناء على تحديد «جدار القبلة»، فإذا كانت الصلاة واجبة بالضرورة في المسجد، فإن المدرسة اقتدت به، فضلا عما كان من تصميم يقوم على التعامد بين الجهات الأربعة، حيث كانت كثير من المدارس مفتوحة للجميع من أبناء المسلمين، وفقا للمذاهب الأربعة، التي كانت ركنا أساسيا في التمييز بين الناس، فهذا فلان الحنبلي، وذاك المالكي، والآخر هو الشافعي والرابع هو الحنفي.

وبينما كانت تزين الجدران في الكثرة الغالبة من المباني، كان من المستحيل أن نجد رسوما لأشخاص، حيث شاع تحريم التصوير لكل ذي روح، فكان أن تفنن الفنانون المسلمون في كتابة اللغة العربية بأشكال وأحجام وأوضاع جعلت منها منبعا مذهلا للأشكال الفنية البديعة، وخاصة كتابة آيات القرآن الكريم.

كذلك وجدنا الفنان المسلم يلجأ إلى تكرر وحدة الموضوع بطول الجدر.

وارتبطت المآذن والمنابر أيضا بأشكال متعددة من الفنون الزخرفية والتشكيلية، مما أدرجها بدورها تحت مظلة العمارة الإسلامية والفن الإسلامي.

فكيف تأتي لنا أن نصف كل هذا وذاك، مما يرتبط بجوامد، بالعقيدة؟

لقد مثلت العقيدة منظومة من الأفكار والقيم والتوجهات

والمفاهيم شكلت بنية أساسية للمعماري المسلم والفنان المسلم.

هكذا يصبح من الجائز إلى أقصى حد أن نتصور وجود تربية تقوم على منظومة القيم والأفكار والمنطلقات والمفاهيم المستمدة من العقيدة الإسلامية، خاصة ونحن هنا نكون إزاء بناء «إنسان» ذي وجدان ومشاعر وإرادة وعقل وتفكير وقلب.

إننا نردد دائما مقولة مؤداها أن عملية التربية هي عملية «تنفيذية» في بناء الإنسان، وهي بهذا الاعتبار تكون بحاجة ماسة إلى «تصميم»، مثل كل عملية بناء، يحدد المسارات والاتجاهات والوظائف والأهداف. إن الذي يبني «فيلا»، غير الذي يبني «قصرا» غير الذي يبني «جسرا»، غير الذي يبني منشأة حكومية... وهكذا، هناك وظائف، وهناك أهداف لكل «بناء» يحدد المصمم ما يرسمه بناء عليها، وبناء على شخصية من يريد هذا البناء أو ذاك، وقدراته المالية والعقلية والاجتماعية.

هكذا الأمر بالنسبة لبناء إنسان مسلم، هو يشترك بالتأكيد في الكثير من الجوانب مع غيره من أبناء الأمم والشعوب، وخاصة فيما هو متصل اتصالا وثيقا بالفطرة، لكن هناك «منظومة قيم» وهناك «منظومة ثقافة» لابد أن تكون لهما السيطرة على التشكيل والبناء. إن مادة الأكل التي تدخل جوف الإنسان تكاد تتشابه مع آلاف الملايين من الناس، لكن.. لكل شعب مذاقه وأساليبه وعاداته وتقاليده المتصلة بهذه الحاجة الفطرية، حتى أصبح مقبولا أن نقول بأن هذا مطعم صيني، وذاك سوري، وذاك إيطالي... وهكذا، فما بالنا ببناء إنسان، ليس مجرد جسم، بل جسم يتصل بحواس ومشاعر وعقل وعواطف وقلب وتاريخ وثقافة ووجهة نظر، وما على هذا وذاك مما هو إنساني؟ أليس هو الأجدر بأن تتطبع عملية هذا البناء البشري بالمرجعية الإسلامية التي أرسى قواعدها خالق كل شيء؟ ليست المسألة تعصبا دينيا بقدر ما هو انحياز كذلك إلى منطق العقل وأصول التربية.

لقد عرفنا لعقود طويلة ما كان يسمى بالتربية الماركسية والتربية الاشتراكية، بغض النظر عن رأينا في كل منهما، ولم يستنكر أحد تلك التسمية، لأنها تربية كانت تعكس فلسفة وإطارا فكريا بعينه.

وأمكن لنا أن نقول بتربية «مثالية»، وأخرى «واقعية»، وثالثة «طبيعية»، ورابعة «براجماتية»، وخامسة «نقدية»... وهكذا، وهذا الاختلاف والتعدد في التسمية يعكس «الأسس الفلسفية» و«الأطر المرجعية» التي تقوم عليها كل تربية من هذه التربيات.

وقد يقول قائل إن التربية بطبيعتها عملية متغيرة، تخضع لمتغيرات الزمان والمكان، فكيف يمكن ربطها بعقيدة تقول إنها خاتمة العقائد، ولا تقبل التغيير والتطوير؟

الحق أن هذه القضية ربما تحتاج إلى مبحث مستقل، لكننا نختزل ما يمكن قوله، في أن العقيدة مثلها مثل الإنسان، فكل منا له هيئته الجسمية وجملة ما تقوم عليه شخصيته، مما يجعل من فلان هو نفسه فلان، عبر سنوات عمره التي قد تمتد عدة عقود، ولا يخطئ أحد في تسميته وتحديده، ولا يكون ذلك إلا لأن هناك معالم عامة وأصولا كلية خاصة بهذا الإنسان دون كثيرين، لكن ذلك لا يمنع أنه يتغير في كثير من الجوانب.

كذلك، فللعقيدة ما عرف باسم الأصول وما عرف باسم الفروع، فليس هناك مجال لأن يختصر أحد عدد مرات الصلوات الخمس لتصبح أقل من ذلك أو أزيد، أو أن يغير صوم رمضان، أو يغير في فريضة الزكاة وهكذا، لكن، هناك الكثير مما يتضمن مساحات شاسعة من الاجتهاد البشري، وإلا فما تفسير وجود الشيعة والسنة؟ وما تفسير وجود مذاهب أربعة داخل السنة، ومذاهب متعددة داخل الشيعة؟

وهل يمكن أن نتغافل عما قال به رسول الله ﷺ من أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها؟

ومن حسن الحظ أن المسائل التربوية، في كثير منها، مما يدخل في ساحة الاختلاف والتباين والتعدد، وفقا لتغير المكان والزمان، شريطة استمرار الالتزام بما هو من الأصول والثوابت مما أشرنا إلى أمثلة لها.

وفضلا عن ذلك فإن مما لا سبيل إلى جحده أن الإنسان وهو يقرأ النصوص القرآنية والنبوية، إنما يقرأها من خلال عقل بشري، يتأثر من غير شك بظروف الزمان والمكان في فهمه وتأويله وبحث سبل التطبيق والتنفيذ، لكن مثل هذا إنما لابد له من ضوابط وقواعد، حتى لا ينفلت الأمر فيأتي هذا وذاك ليزعم أنه هكذا فهم وفقا لزمانه وسياقه الثقافي، ومن هنا فإن للاجتهاد، كما هو معروف، شروطا لا بأس من التدقيق بل والتشدد فيها.

ولقد وردت آيات عديدة في الكثير من سور القرآن الكريم، نتبين من خلالها أن الله عز وجل قد نزّل هذا الكتاب لنتلوه ونذكره ونتفهمه ونعمل به وننصت إلى من يقرأه ويتدبر ما فيه من الآيات، وأن نعكف عليها متأملين متفكرين، وأن هذا القرآن «مبين» بمعنى أنه يبين لنا الصحيح من غيره، وما بين الحق والباطل من فروق، ويبين لنا كيف نسلك السلوك السليم، وكيف نستقيم على الطريق، وها هي أمثلة من بعض آيات القرآن الكريم:

ففي سورة النساء ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ...﴾ (٨٢).

وفي سورة الإسراء ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (٩).

وفي سورة الزمر ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ

مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧).

وفي سورة القمر ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (١٧).

ومصطلح الكتاب الذي يرد في آيات كثيرة، ينصرف في بعض الآيات إلى القرآن الكريم، حيث نجد أيضا حثا على القراءة والتدبر والتفكر والتلاوة والذكر، فمن ذلك:

في سورة البقرة، يقول تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ.الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ. أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.﴾، فهاهنا قطع وتأكيد بأن القرآن الكريم يهدي الإنسان للتي هي أقوم، والهدى هنا صفة مطلقة تشير إلى الحصول على أروع وأفعل ثمرات السلوك المستقيم، لا بمجرد قراءة القرآن، وإنما بتمثله تفكيرا وسلوكا وعملا ونهجا.

وفي سورة البقرة أيضا نقرأ قوله سبحانه ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ (الآية: ١٢١)، فالنص على ﴿حق تلاوته﴾ أي التلاوة الصحيحة، التي تلتزم بأصول وقواعد قراءة القرآن، ثم تتعدى ذلك لتتمثله فكرا وعملا، لأن القراءة في حد ذاتها لا تضيف جديدا بالمعنى الحقيقي، وإنما ما تؤدي إليه القراءة من تغيير في حياة الناس، هو الذي يؤكد على القراءة الحقيقية.

وفي سورة آل عمران، إذ

المسلم مطالب بأن يجعل القرآن نهجه والرسول قدوته لضبط طريق الحياة البشرية

يقول سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (١٨٧)، نجد أنه يشدد على ضرورة القيام بمهمة تعليم الناس ما في الكتب السماوية من مفاهيم وقيم ونظم وتوجهات، وأن الذين لم يمتثلوا لهذا الأمر الإلهي، استحقوا غضبه ولعنته.

وفي سورة إبراهيم ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١)، فعملية دراسة القرآن وفهمه واستيعابه وتطبيقه هي بمنزلة إخراج للناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والتحلل والتخبط والانحراف إلى نور الإيمان والاستقامة والهداية.

أما بالنسبة لطاعة رسول الله ﷺ، والتي تتم من خلال اتباع سنته القولية والعملية والتقريرية، فهي ركن أساسي في صحيح الإيمان، وفي ذلك جاءت آيات قرآنية متعددة، مثل:

في سورة آل عمران، يقول عز وجل ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾ (٣٢)، فطاعة الرسول قرينة طاعة الله، ولا تتم طاعته ﷺ إلا بمعرفة ما قال وما فعل وما أقر من أفعال.

وفي سورة النساء ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩)، حيث نلاحظ هنا تكرارا للأمر بالطاعة، فلم يقل، كما قال في آيات أخرى أن نطيع الله ورسوله، بل خص رسوله بفعل الطاعة مثلما خص ذاته العلية به، تقديرا لأهمية هذه الطاعة لرسول الله، وأنها ركن أساسي من أركان الإسلام لا يصح إسلام المرء إلا به.



ويجيء النص صريحا بغير غموض، في سورة النساء ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ (٨٠) فيذكر الأمر بطاعة رسول الله، باعتبار أن ذلك من طاعة الله، وذلك لعلة منطقية، فما يجيء به الرسول إنما هو ما أوحى الله إليه به، ومن هنا جاء قوله سبحانه في سورة الرعد ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾ (٣٨).

فهذه الآيات القرآنية، وهناك الكثير غيرها مما سار على نفس الدرب، واتجه نفس الاتجاه، تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن كل مسلم ملزم بأن يجعل القرآن نهجه، والرسول قدوته، وفي هذا وذاك ما يجعل التربية التي ننهج فيها هذا النهج تربية إسلامية بالفعل، تستلهم الأصول الربانية والنبوية، وتتجه إلى الحياة البشرية، تُقَوّم معوجها وتضبط قبلتها وتسدد على طريق الحق خطاها.

ومن هذا المنطلق، فإنه لما يثلج الصدر حقا أن تتوافر لدينا في العدد الحالي من المجلة مجموعة من الدراسات التي بذل أصحابها في سبيل إتمامها جهدا علميا متميزا، يضيفون به لبنات جديدة إلى بناء البحث التربوي الإسلامي، مما يجعلنا نرحب بهذه الدراسات، ونقبل عليها قارئين ومتفهمين ومفكرين.

قراءة في كتاب

الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية

د. علي عفيفي علي غازي

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء النسيج الاجتماعي، والأسرة قديمة قدم الخليقة، ولذا فقد استوعبت عبر تاريخها الطويل ذلك الركام الهائل من الثقافة الإنسانية، الذي يعكس كل التغيرات الاجتماعية والثقافية التي شهدتها المجتمعات، ولهذا كونت النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، فهي الوسط الطبيعي الاجتماعي الذي يترعرع فيه الفرد، ويبذل الأبوان الغالي والنفيس من أجل تربية أبنائهم وتنشئتهم وتعليمهم، فالأبناء أمانة في أعناق آبائهم، يولدون بقلوبهم الطاهرة الخالية من كل نقش وصورة، قابلين لكل ما ينقش عليها، ففي كثير من الأحيان يجد الفرد داخل إطار أسرته المناخ المناسب للإبداع الأدبي أو العلمي، فالأسرة هي المنشأ الذي تتفتح عليه عيون الفرد، ومن خلالها يتهيأ للتعامل مع مجتمعه الأكبر أو وطنه المحيط به، فإذا ما نبت في أسرة علمية فإن ميوله- في الأغلب الأعم- ستكون ميولًا علمية، ويأتي ذلك من عامل الوراثة الذي يعني انتقال صفات الأفراد من جيل إلى آخر؛ فالطفل يرث من أبويه الصفات الجسمانية، كما يرث أيضًا القدرات العقلية، وأبرز هذه القدرات التي تورث هي الذكاء.

الأسرة هي مدرسةُ أفرادِها، التي تقوم بتنشئتهم اجتماعيًا، كما أنها تعمل على نقل الاهتمامات والميول من جيل إلى جيل، وتعودهم على التقاليد، وخاصة الآداب العامة والسلوك والدين والعلوم، ومن ثم فإن وظيفتها هي إعداد الفرد ليصبح نواة في المجتمع وأساسًا من أسس تكوينه، الأمر الذي يساعد على تقويمه وتقويته، وهذه العوامل الوراثية ليست بالعامل الهين، وليست بالعامل الوحيد، ولكنها تؤثر تأثيرًا إيجابيًا مهمًا في توريث ميول واهتمامات الآباء لأبنائهم، الأمر الذي يميز أسرًا بعينها؛ ينبغ أفرادها في مجالات علمية واحدة، هذا ما يقدمه د.خالد حربي من خلال تساؤله الذي يطرحه: هل شهد تاريخ علوم الحضارة الإسلامية وجود أسر علمية تربطها علاقات دم أو قرابة؟ سؤال مهم يحاول أن يجيب عنه في كتابه «الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية»، الذي صدر في مصر أخيرًا عن المكتب الجامعي الحديث بالإسكندرية، ليؤكد على أن عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، الذي عاشه العالم الإسلامي قد شهد نبوغ أسر أو عائلات اشتغلت بالعلم، وكانت تربطها علاقات دم أو قرابة، عملت وفق أطر معينة ومنهج محدد من أجل ازدهار وتقدم العلوم التي احتوتها حركة النهضة العلمية.

ومؤلف الكتاب د.خالد حربي أستاذٌ وخبيرُ المخطوطات بجامعة الإسكندرية ومن المهتمين بالتراث الإسلامي، وله أكثر من أربعين مؤلفًا، تهتم بالتراث العلمي الإسلامي، وله مسيرة علمية حافلة، توجها أخيرًا بحصوله على جائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث وفق أصول فن التحقيق، والتي تعد من أرقى الجوائز العربية والعالمية، وجائزة الكويت للتقدم العلمي.

يؤكد من خلال مؤلفه هذا على أن تاريخ علوم الحضارة الإسلامية قد شهد العديد من الأسر العلمية التي يربط أفرادها قبل الاشتغال بالعلم علاقات دم أو قرابة، وربما كانت هذه العلاقات أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدت على نبوغ تلك الأسر في المجال العلمي، وتعد مثل هذه الأسر ظاهرة فريدة تنفرد بها الحضارة العربية الإسلامية عن سائر الحضارات، هذه الأسر قامت بينها علاقات تعاون وتنافس وصراع، ومن أمثلة هذه الأسر أسرة بختشيوع، التي نبغ أفرادها في علم الطب إلى درجة أنهم خدموا الخلفاء ابتداءً من الجد الأكبر ومرورًا ببعض الأبناء والأحفاد، فضلًا عن إسهاماتها في حركة النقل والترجمة، وأسرة حنين بن إسحق التي اشتهرت في مجال الترجمة، وأسرة ثابت بن قرة، وأسرة موسى بن شاكر، التي نبغت في الفلك والهندسة والميكانيكا والمساحة والفيزياء، وأسرة بني زُهر في المجال الطبي، الأمر الذي يؤكد أن تاريخ العالم العربي الإسلامي قد شهد أسرًا علمية نبغت في مجالات علمية واحدة، ويحاول المؤلف أن يؤكد على أن النماذج التي قدمها للأسر العلمية التي شهدها التاريخ العلمي الإسلامي ليست كل الأسر بل هي عبارة عن نماذج تحاول أن تجيب عن التساؤل الذي طرحته الدراسة (ص٦).

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى مقدمة وبابين، اشتمل كل باب على فصلين، ثم اختتم بفصل أخير عن نتائج الدراسة.

في الباب الأول عرف بأسر حركة الترجمة والنقل، وهي أسر بني حنين بن إسحق، وبني قرة، وبني بختشيوع، وفي الباب الثاني عرض لأسر العلوم البحتة، وهي أسر بني موسى بن شاكر، وبني زُهر، وخلص الباحث في النهاية إلى أن النهضة العلمية التي عاشها العالم الإسلامي كان من أبرز سماتها وجود أسر علمية نشطة تعمل وفق منهج محدد من أجل ازدهار العلوم، ولعبت دورًا بارزًا في حركة تقدم العلوم.

ومن تحليله لهذه الأسر العلمية وتتبعها اتضح مدى التواصل العلمي بين أفراد الأسر والجماعات العلمية المختلفة، رغبة في العلم الذي خلع على أهله في ذلك العصر إجلالًا وتوقيرًا من العامة والخاصة.

* دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

وقد ساد بين هذه الأسر نُظُمٌ من العلاقات قائمة على التعاون والمحبة تربط بعضهم ببعض من أجل تحقيق أهداف الأسرة ككل.

كما اتضح من خلال البحث أن النشاط العلمي لمعظم الأسر العلمية التي تناولها المؤلف لم يقتصر على أفراد الأسرة ذات النسب القائم على قربى الدم؛ بل إن الأسرة الواحدة ضمت في بنيتها العلمية أفرادًا لا تربطهم بالأسرة صلات دم أو قرابة.

وفي الفصل الأول قدم المؤلف نموذجًا لأسرة نبغت في مجال حركة الترجمة والنقل في العلوم الطبية، وهي أسرة حنين بن إسحق، وذلك بترجمة مؤسسها وخصائص عمله العلمي من إرساء قواعد علمية ثابتة، واتساع مجال نشاط الأسرة إلى تحقيق النصوص الإغريقية، وترجمة الكتب من علوم الحضارات الأخرى إلى اللغة العربية، ثم عرف بإسحق بن حنين الذي تفرد عن أبيه وأستاذه بميزة مهمة في تقاليد الأسرة، وهي تنوع التخصصات في ممارسة العلم، فإذا كانت مدرسة حنين بن إسحق تخصصت في ترجمة ونقل الكتب الطبية؛ فإن إسحق بن حنين ترجم كتبًا في الفلسفة والمنطق لأشهر الفلاسفة اليونانيين كأرسطو، كما ضمت الأسرة حبيش بن الأعسم ابن أخت مؤسسها، وكان أقرب تلاميذه إليه وأكثرهم قربًا وملازمةً له، الأمر الذي يجعله أحد دعائم الأسرة الرئيسة التي ارتكزت عليها مدرسة حنين بن إسحق في الترجمة.

وفي الفصل الثاني تناول د.حربي أسرتين برزتا كذلك في مجال الترجمة هما: بنو قرة، وبنو بختشيوع. ضمت الأولى ثابت بن قرة الذي انصب جهده على ترجمة ونقل المؤلفات الطبية، فضلًا عن بعض الترجمات الفلسفية، وابنه سنان، وحفيده ثابت بن سنان، وضمت هذه الأسرة أفرادًا لا ترتبط بهم بصلات دم أو قرابة، كعيسى بن أُسيد؛ الذي تتلمذ على يد مؤسس الأسرة، وأظهر نبوغًا، واستحق تقديم ثابت بن قرة له، للدرجة التي سمح له بمناظرته، وهو تقليد علمي لا يوجد إلا في المجتمعات العلمية المتقدمة الراقية في العلم. وأسرة بختشيوع التي قدمت إلى بغداد ونبغت في الترجمات الطبية دون غيرها، واختصت كذلك بالتعليم الطبي، وأول من وفد منها إلى بغداد جورجيس بن بختشيوع الذي استقدمه الخليفة العباسي المنصور، وصار طبيبه الخاص إلى أن توفي في خلافته، ثم استقدم المهدي من جنديسابور ولده بختشيوع ليحل محل والده جورجيس، فظل في خدمته وخدمة الهادي والرشيد طبيبًا حاذقًا، وبعد وفاته استقدم الرشيد ابنه جبرائيل وصار طبيبه الخاص وجعله رئيسًا للأطباء، وظل كذلك زمن الأمين والمأمون حتى توفي في خلافة الأخير.

وفي الفصل الثالث توقف الباحث أمام نقد وتقييم أسر الترجمة والنقل، وإلى أي مدى ينطبق عليها مفهوم الأسرة العلمية، ودورها في النهوض بالحضارة الإسلامية، ليؤكد على أن المجتمع العلمي الإسلامي قد شهد إبان عصر الترجمة وجود أسرٍ علمية، شهدت تعاونًا، وتنافسًا، انعكس أثره على نهضة الحضارة الإسلامية.

الأسرة مدرسة تقوم بتنشئة أفرادها اجتماعياً وأدبياً وسلوكياً

وفي الفصل الرابع عرض لأسرة نبغت في العلوم البحتة كالفلك والهندسة والميكانيكا والمساحة والفيزياء، وهي أسرة بني موسى بن شاكر التي ضمت الأبناء الثلاثة (محمد وأحمد والحسن) لموسى بن شاكر، الذي لم يُقدر له أن يعمل في تلك الجماعة العلمية لأنه توفي وهم أطفال صغار، فكون هؤلاء الأخوة الثلاثة جماعةً علميةً متآزرة قدمت أعمالًا جليلةً، وازدادت حصيلتهم العلمية، وتطورت أساليبهم التطبيقية إلى الدرجة التي مكنتهم من القيام بأول وأهم وأخطر عمل، وهو قياس محيط الأرض، الأمر الذي مكن هذه الأسرة من أن تلعب دورًا في تاريخ العلم وتشكل مكانًا رئيسًا في تاريخ التكنولوجيا بصفة خاصة، وقد تناول هذه الأسرة من خلال توضيح تكوينها العلمي وكيفية عملها، ومنهجها العلمي والتطبيقي، وأهم إنجازاتها العلمية، وأثرها في النهضة الإسلامية، للدرجة التي جعلت مؤرخي العلم يجمعون على أن أعمال هذه الأسرة تدل على عبقرية وذهن متوقد مبدع.

أما الفصل الخامس، فكان لأسرة بني زُهر التي ظهرت في الأندلس، ونبغت في مجال العلوم الطبية، وشكلت مكانًا رئيسًا في الطب العربي والعالمي، فرأينا رأس هذه العائلة أبا مروان يتقن صناعة الطب حتى صار خبيرًا بأعمالها، ومشهورًا بالحذق فيها إلى الدرجة التي انتشرت معها أخباره في مختلف أقطار الأندلس، ثم حرص على نقل خبرته إلى ابنه أبي العلاء الذي أظهر نبوغًا مبكرًا واستمرارًا للتواصل العلمي بين أفراد الأسرة، وقد لحق أبومروان بن أبي العلاء بأبيه في صناعة الطب درسًا وممارسة؛ حتى أصبح لا يوجد من يماثله في إدراكه لأعمال الطب، ثم برز الحفيد أبوبكر محمد بن أبي مروان لتتأكد به وتستمر التقاليد العلمية في أسرة بني زُهر لتتواصل إنجازات الأسرة العلمية التي عملت على تطور وتقدم علم الطب في العصور اللاحقة بما قدمته من إنجازات طبية أفادت منها البشرية كلها.

وفي نهاية الكتاب خلص د.حربي إلى نتيجة نهائية مهمة تدعو الباحثين إلى الاهتمام بدراسة الأسر العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية، بالبحث والتنقيب عن مؤلفاتهم التي لا تزال تهجع بسلام على أرفف المكتبات مخطوطة، وذلك بتحقيقها ونشرها لتفيد منها الإنسانية في مختلف فروع العلوم، وتؤرخ لدور العرب والمسلمين في تاريخ العلم العالمي لنتعرف على الأوجه المشرقة في التاريخ العربي والإسلامي.

ومن الجدير بالذكر أن النتائج التي توصل إليها الباحث تعد إضافة لحقل تاريخ العلوم عند العرب، وفلسفة العلوم والحضارة الإسلامية، كما أنه اعتمد في إعداد الكتاب على مصادر أصلية، واعتمد أيضًا على مراجع علمية رصينة، كما التزم بالموضوعية والحيدة، الأمر الذي يجعل كتابه إضافة لحقل العلوم الإنسانية.

الجامعات العربية.. ومكانتنا المستقبلية

أ.د.ناصر أحمد سنه

تدرك الدول المتقدمة أهمية دور الجامعات العلمي والتعليمي والبحثي المتعاظم، ودورها في صناعة المستقبل وتبوء المكانة اللائقة فيه، فنراها قد سخرت إمكاناتها البشرية والمادية والمعنوية لدعمها، وفتحت كل القنوات لتسويق منتجاتها العلمية والمعرفية والتقنية، مما أوجد لها مردودًا إنتاجيًا استثماريًا، بينما مازالت جامعات عربية تسعى من أجل «زيادة الرواتب»، فمتى نسعى سعيهم، وننهج نهجهم؟ وذلك ضمن رؤية ترى العلم والتعلم والتعليم عمومًا والجامعي خصوصًا قضية «أمن قومي عربي»، و«ضرورة مستقبلية» تحسم الصراع في منطقة الشرق الأوسط. وفي سبيل سبر أغوار تلك القضية تحاول هذه السطور الإجابة عن الأسئلة التالية: ما الذي أصاب الجامعات العربية؟ وما أسباب الداء وأعراضه؟ وما الدواء؟



في بلد اعتمد على حكوماته المتعاقبة في إنشاء المشاريع الكبيرة، لكن مع آمال كبيرة في اضطلاعها بدور حضاري منشود، تم القفز إلى إنشاء الجامعة الأهلية المصرية (جامعة القاهرة حاليًا) في شهر ديسمبر عام ١٩٠٨م، بإرادة شعبية (أبرزت الدور الكبير لما يسمى الآن بالمجتمع المدني) فقد قامت حملة اكتتاب شعبي واسعة وفرت الأموال اللازمة للمشروع، فتم جمع ٢٣,٦٥٣ جنيهًا و٦٥٧ مليمًا (مبلغ ضخم بمقياس عصره).

فلقد أوقف العديد من الأثرياء والأعيان والوجهاء الكثير من أملاكهم لأجلها، وتبرعوا من أموالهم لإنشائها، وبرز موقف الأميرة «فاطمة» بنت الخديو «إسماعيل» عام ١٩١٣م، وتبرعها السخي مما أعطى دعمًا قويًا لاستمرار المشروع، وكانت قد أوقفت ٦٦١ فدانًا من أجود ما تملك من الأراضي بمديرية الدقهلية، فضلا عن ستين فدانا من أملاكها ببولاق الدكرور، منها ستة أفدنة تبرعت بها نهائيا لإقامة مباني الجامعة المصرية، كما تبرعت بمجموعة من مجوهراتها الشخصية الثمينة بيعت بأغلى الأثمان، كما أوقف الأمير «يوسف كمال» ١٢٥ فدانًا من أطيانه بمحافظة القليوبية، وهو نفسه الذي أتحف الجمعية الجغرافية المصرية (أقدم جمعية علمية عربية.. أنشأت بمرسوم من الخديو إسماعيل في ١٨٧٥/٥/١٩م) بأطلس يضم خرائط قديمة نادرة لبلدان قارة إفريقيا وغيرها من بلدان العالم. كما أوقف كلا من: الست «أشنديل» هانم ٩٠ فدانًا بأسيوط، و«عوض عريان» أفندي من أعيان بني سويف ٧٣ فدانًا يتبعها عزبة وحديقة، وإقرار بمآل هذه الأرض وما يتبعها للجامعة بعد وفاته، و«حسن بك زايد» من أعيان المنوفية ٥٠ فدانا وقيراطين و١٨ سهمًا، و«مصطفى كامل الغمراوي» ستة أفدنة بقيمة لا تقل عن ٩٠٠جنيه مصري)(١).

من أجل تدبير المزيد من الأموال، وإثبات جدية الطلاب في الدراسة، فرضت الجامعة على طلابها من خريجي المدارس العليا رسومًا قدرها مائة قرش سنويًا، أما خريجي باقي المعاهد الأخرى الملتحقين بالجامعة فيدفعون أربعين قرشًا سنويًا، نظير الدراسة التي كانت في بدايتها مسائية (٥- ٨ مساء)، واقتصرت علي أربعة دروس: تاريخ الحضارة القديمة في الشرق (٣٦٠ طالب)، تاريخ الحضارة الإسلامية (٤٠٤ طالب)، تاريخ الآداب العربية (٣٢٦ طالب)، وتاريخ الآداب الفرنسية (٢٨٨ طالب) والإنجليزية (٢٧٥طالب)، على أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية، مع السماح للأساتذة الأجانب بإلقاء دروسهم بالفرنسية والإنجليزية(٢).

لكن مع غياب «البعد الاقتصادي» للجامعة، ساءت أحوالها المالية، ومع نية الحكومة المصرية إنشاء جامعة حكومية أخرى، آلت الجامعة التي أقامها المصريون بأموالهم، إلى الحكومة (جامعة فؤاد الأول، ثم جامعة القاهرة) بمرسوم ملكي عام ١٩٢٥م. كان من ضمن بنود الاتفاق الذي وقعه رئيسها «حسن رشدي باشا» والقاضي بتسليم الجامعة للحكومة في ديسمبر ١٩٢٣م: «أن تحترم الحكومة التزامات الجامعة الأهلية المصرية نحو الأساتذة والموظفين الموجودين فيها، وأن

كاتب وأكاديمي من مصر

يتم استغلال المبالغ الموجودة في ميزانية الجامعة لإقامة مبان لها احترامًا لأصحاب الوقف».

مشكلات وصعوبات وتحديات

بمآل الجامعة الأهلية المصرية إلى الحكومة دخلت الجامعات المصرية، ومثيلاتها العربية (ما يزيد على ٢٠٠ جامعة) «شباك البيروقراطية»، و«الجب الحكومي»، وأصاب الترهل بنيتها المؤسسية والهيكلية والإدارية، وشاع أسلوب «التحكم والتدخل السياسي الحكومي في شؤونها، وتعيين كافة قياداتها»، وفشا الترويج للمنجزات، دون مناقشة السلبيات، مع «الافتقار إلى فلسفة تعليمية وبحثية واضحة ذات أولويات مجتمعية وصناعية»(٣). وبدا واضحًا فقدان «درة التاج الجامعي» ألا وهي «الاستقلال والحرية الأكاديمية والطلابية» وفق قاعدة: «من يدفع فله حق التقرير والتوجيه والتحكم».

ومن المشكلات الجامعية عدم توافر الفرص الكافية لتنمية القدرات التعليمية والبحثية لأعضاء هيئات تدريسها، وتباين نصاب ساعاتهم التعليمية مع تفرغهم للبحث العلمي .

وتتبنى فلسفة التعليم الجامعي في مجملها «النظرة القديمة» التي تركز على التكرار والسلبية ورد الفعل، والتي تقوم على «التلقين والحفظ والاستظهار»، ورفض كل تفكير مجدد ناقد مبدع متطور نشط، وتكرس «الحشد» الطلابي العددي الكمي وليس الكيفي، مما باعد المسافة (عزلة حقيقية بين الطلاب وأساتذتهم) تمثلت في غياب التفاعل الإنساني والإرشاد الأكاديمي والنفسي الحقيقي بينهما. كما لم تستجب تلك الفلسفة لمقاييس الجودة المتعلقة بكفاءات ومهارات ومؤهلات الخريجين التي تلبي احتياجات المجتمع، وأسواق العمل.

تم «تقديس الكتاب الجامعي» كمقرر أساس ووحيد للمعرفة، ونما «غول الامتحانات، والدروس الخصوصية» بغية الحصول على «شهادات» دون تحقيق كفاءات، وقل الاحتكاك العلمي الدوري بالمراكز والجامعات المتقدمة، حيث إن ٩٥٪ من العلوم الحديثة توجد في مجتمعات تشكل ٢٠٪ من سكان العالم. ومن المعلوم أن تطور كفاءة الجامعات رهن بقدرتها على إقامة شبكة علاقات علمية تبادلية، وصقل الخبرات مع الجامعات الدولية (ترتبط الجامعات ومراكز البحوث الإسرائيلية بالشبكة الوطنية الأميركية للمعلومات NATIS، والتي تضم أهم المعلومات العلمية الأميركية وأكثرها حساسية)(٤).

إن المؤسسات البحثية العربية الرئيسية مؤسسات مركزية تناط بها أهداف عامة وأغراض واسعة النطاق، وغالبًا

غياب الحلول الإستراتيجية المبنية على العلوم والتقنية جعل التنمية العربية غير متوازنة

ما يعاني القائمون عليها من قصور التمويل والتعاون مع باقي القطاعات الإنتاجية والصناعية، حيث إن هناك ارتباطًا طرديًا بين نسبة تمويل الشركات المنتجة والصناديق الخاصة وبين التقدم العلمي والتكنولوجي، ففي اليابان توجد أعلى نسبة تمويل (٨١٪)، السويد(٦٢,٩٪)، سنغافورة (٦٢,٥٪)، الهند (١٦,٤٪)، هونج كونج (٢,٨٪)، بينما يكاد ينعدم تمويل الشركات المنتجة وصناديق التمويل الخاصة لنشاطات البحث العلمي في مصر(٥).

إن غياب الحلول الإستراتيجية المبنية على العلوم والتقنية، جعل التنمية العربية غير متوازنة، ومعتمدة على «نقل» التقنيات الأجنبية دون تطويرها وتوطينها وتطويرها محليًا، كما أن الاعتماد على «الاقتصاد الريعي من المواد الخام وبعض الصناعات المرتبطة بها» أدى إلى ضعف إنتاج وتصدير السلع ذات الكثافة التقنية المتوسطة والمتقدمة، وكرس «توزيع مناطق المواد الخام والأسواق ومراكز الإنتاج المتقدم والمتطور عالميًا»، مما انعكس على الدخل القومي الإجمالي العربي (لم يتجاوز ٣٨١ بليون دولار لأهم ١١ دولة عربية، عدد سكانها ٢٢٤ مليون نسمة في عام ١٩٩٩م، وهو أقل من كوريا الجنوبية التي كان دخلها القومي ٣٩٨ بليون دولار، وعدد سكانها ٤٧ مليون نسمة للعام ذاته).



ما العمل لبلوغ المراتب الأولى؟

١- **إقامة العديد من الجامعات العربية الأهلية المستقلة (غير الربحية)**، وتلبية نفقاتها، ونفقات المشتغلين بها (شأن العديد من الجامعات الأهلية العالمية العريقة والمرموقة).. يحول دون انتهاك «براءة الجامعة» ومراكز البحث العلمي من أجل الحصول على دعم خارجي مقابل مطالب محددة يريدها «الممولون».

عبر تاريخ الحضارة العربية الإسلامية كان للوقف وأعماله دور فاعل في شتى جنبات الحياة، فحري به الاضطلاع بدوره في هذا المجال. ينبغي الإشارة إلى أن دولة الكويت تعد مثالا رائدا في مستويات دعم التعليم والبحث العلمي، كما توجد «طفرة علمية طبية وبحثية» في المملكة العربية السعودية، بينما تولي قطر أهمية كبرى للنهوض العلمي والتعليمي. كانت لفتة كريمة من سمو الشيخ د. سلطان القاسمي حاكم إمارة الشارقة بإقامته مشكورًا مكتبة تكلف إنشائها ١٣ مليون جنيه في كلية الزراعة جامعة القاهرة (وفاءً للكلية التي تخرج فيها)، كما أنشأ معملًا نوعيًا تكلف ١٥ مليون جنيه.

٢- **تبلغ الجامعات العربية مراتبها المرجوة بتقوية هياكلها التنظيمية والإدارية والمؤسسية والرقابية والمالية**، وبحسن إدارة

المتاح من التمويل، وعبر السعي لتفعيل المشاركة المجتمعية، وتنمية التعاون بين الأطراف المستفيدة من الاستثمار في التعليم الجامعي كمؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات الأهلية، وجمعيات الخريجين، والمؤسسات الإنتاجية والصناعية والخدمية، وتوفير التمويل الإضافي من القادرين والأثرياء.

٣- تعظيم مبدأ استقلال الجامعات العربية، وعدم فرض توجهات سياسية وإدارية على مؤسساتها، وإجراء تعديلات تشريعية لقوانين عملها يحقق استقلاليتها المالية والمعنوية، وإجراء تكامل وتناغم بين شتى الأنظمة لإيجاد هيئة سليمة تعين وفق الإنجازات والسمعة الأكاديمية، وتشرف على «حرم» جامعي و«حياة جامعية منشودة»، تعبر عن حرياتها الأكاديمية والطلابية المسؤولة، وترفع من «المواطنية الأكاديمية»، يقول «باولو فريري»: «إننا نتعلم قراءة الكلمة لكي نتمكن من تعلم قراءة العالم».

٤- تطبيق مفاهيم الجودة Quality وآلياتها التي تسعى للحفاظ على القدرة التنافسية لمخرجات التعليم الجامعي العربي، ويتحقق معها التواجد على خريطة الجامعات المتميزة الإقليمية والدولية، وذلك عبر الاستجابة المرنة للتحسين المستمر، والوصول للمستوى المطلوب من قطاعات الإنتاج والمجتمع، وعلى هدى مبادئ الفعالية، ونظم التقييم، وتحقيق الكفاءة الاستثمارية في استخدام الموارد والوقت (٦).

٥- بلوغ المراتب المتقدمة والمكانة المستقبلية يتأتى بتبني فلسفة ومناهج صالحة ومناسبة ومتناسقة مع تكوين المجتمع السليم، وطرائق تدريس تحقق التنوع والابتكار والإبداع والمبادرة، وتحول التعليم الجامعي إلى تعلم مستمر مدى الحياة، معتمد على الذات، ميزته الإتقان والجودة، يهدف إلى إنتاج المعرفة وإدارتها.

٦- التأكيد على التنمية البشرية، ورفع كفاءة أداء أعضاء هيئة التدريس العرب ومعاونيهم، وإيجاد سبل تقويم مهنية وبحثية وتخصصية تحقق تنمية مهنية ومادية ومعنوية مستمرة من حيث المهارات الحديثة المطلوبة، كما تمكن من إطلاق الطاقات الحضارية الإبداعية للجامعات بهيئات تدريسها وطلابها (معايير الجودة النوعية هي مقياس حصول الطلبة على الدرجة العلمية/ المؤهل الجامعي).

٧- الاتجاه نحو سياسة الجامعات العربية صغيرة الحجم، وتحسين بيئة العمل العلمي الجاذبة والدافعة إلى المبادرة والعطاء والتميز، وإشاعة «الديموقراطية الفكرية العلمية»، وزيادة التعبير الحر عن الحقيقة المجردة ونشرها.. تنويرًا للواقع واستشرافًا للمستقبل، مع المرونة العلمية التي تستوعب عوامل التغيير التي تحيط بالمجتمعات المحلية والإنسانية.

٨- في ظل «اقتصاد وإدارة المعرفة»، وكما لم يفعل من قبل يقود التعليم- عموما والجامعي خصوصًا- المستقبل، لذلك ينبغي تشكيل البيئة المعرفية الجديدة عبر تغيير شكل وجوهر العملية التعليمية والبحثية، والارتفاع بقواعد الإنجاز والنشر الأكاديمي الرفيع، والتفرغ للإبداع والابتكار والاختراع، وتكوين مدارس علمية ومؤسسات ومحاضن ترعى المواهب والكفاءات العربية، وتوجد أجيالاً بحثية ذات كفاءة ودربة.

٩- يمكن للجامعات العربية اختراق العولمة ومنافستها، من خلال إتاحة شبكات الاتصالات والمعلومات والحاسبات الآلية، ووجود معامل اللغات والمختبرات الحديثة، مما يستلزم إمكانيات مالية عالية، لتحقيق معايير الجودة النوعية، مع التمكين من اكتساب القدرة الفارزة لما تطرحه الشبكات الإلكترونية من فيض/ سيل المعلومات، والحكم على صدقيتها، وفرز ما بها من اتساق/ تناقض، صحة/ زيف، علم/ دعاية، أخلاق/ مفاسد.

١٠- وضوح الرؤية لأولويات البحث العلمي العربي، فالعلم المتطور وحلول المشكلات ليس نتاجًا للجامعات والمعاهد العليا فقط، (لا يمكن لأي جامعة أن تتميز في كل التخصصات كل الأوقات)، لكن من اللازم تفعيل مراكز البحوث المتخصصة التي تقوم بتوصيل نتائج البحوث وفق الحاجات المجتمعية المحلية والإقليمية.

١١- تبلغ الجامعات العربية مراتب أولى عند النظر إلى التعليم وما ينفق عليه ليس كبند استهلاكي ولكن كعمل إنتاجي واستثماري، فهو استثمار لأغلى مواردنا وهي الموارد البشرية.

صفوة القول: لاشك أن كل ما يتعلق بجامعاتنا ودورها الريادي المستقبلي أمر مهم، ومحور نقاش مستفيض. فالجامعات هي «دولة العقل»، و«قاطرة التقدم»، و«معمل» إعداد الأجيال المتعاقبة وتأهيلهم، و«منارة التنوير» التي تسعى لحراسة العلوم والثقافة والفنون، و«الدعامة الفكرية» التي تستشرف المستقبل، وتحل المشكلات. وهي «حرم» تُقدس في رحابه روح البحث والكشف، وبهجة الفكر والتجربة والتعلم والتأمل. وعلى كل المعنيين بشأنها المسارعة بعلاج كل مظاهر الضعف، وكلما ظهرت بوادره، كي لا يستشري فيها داء عضال، فتستسلم لهجمات أعداء الأمة.. الطامعين في خيراتها، والراغبين في تكريس تبعيتها، والحائلين دون نهضتها، وتبوء مكانتها المستقبلية.

تنفق الولايات المتحدة الأميركية واليابان والاتحاد الأوروبي ما يزيد عن ثلاثة أرباع إجمالي الإنفاق العالمي عام ١٩٩٦م على البحث والتطوير

الهوامش

١- سلسلة «أيام مصرية» ضمن مطبوعات جامعة القاهرة في الاحتفال بمئويتها ١٩٠٨- ٢٠٠٨م.

٢- المصدر السابق سلسلة «أيام مصرية».

٣- للمزيد انظر . د. ناصر أحمد سنه: «أمتنا وأزمة التعليم والبحث العلمي»، مجلة الوعي الإسلامي : ٤٦٥ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ - يونيو/ يوليو ٢٠٠٤م ص:٥٦ .٦١، الكويت.

٤- يوسف الحسن: اندماج دراسة العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل في ضوء اتفاقيات التعاون الإستراتيجي والتجارة الحرة بينهما، دار المستقبل العربي بيروت ١٩٨٦م، ص ١٦١. وأيضًا أ.د. ناصر أحمد سنه: التحدي العلمي والمعلوماتي والتقني الإسرائيلي: قراءة لاستنهاض الذات. مجلة الرابطة (رابطة العالم الإسلامي)، العدد: ٤٨٤ رمضان ١٤٢٧هـ - سبتمبر ٢٠٠٦م، السعودية، ص:٣٨-٤٣.

٥- المصدر السابق، وانظر أيضًا د.حسن كامل بهاء الدين: التعليم والمستقبل، دار المعارف، ١٩٩٧م.

٦- للمزيد يمكن الاطلاع على عدد من المواقع الإلكترونية على الشبكة الدولية للمعلومات تتناول موضوع معايير الجودة في مجال التعليم. وكذلك انظر د. عزيز حنا داود: مطالب العولمة من وعلى التعليم، جريدة الأهرام المصرية الصادرة في ٦/٢٥/ ١٩٩٩م.

دور المدرسة في تغيير سلوك الأبناء

أحمد إبراهيم برعي

أتيحت للإنسان بفضل التقدم في ميادين الطب والعلوم الاجتماعية والإنسانية فرص أفضل من ذي قبل لتوجيه ذاته، ورغم أنه مازال هناك كثير مما لا نعرفه، فإن الإنسان في الوقت الحالي وصل إلى معرفة كافية عن السلوك ووسائل تعديله، وكيفية نمو الأطفال وتطورهم، ويتفاوت المدرسون في مستوى معرفتهم لهذه المسائل، إلا أنه بقدر دراستهم للتلاميذ، يستطيعون أن ينموا من قدرتهم على استخدام هذه المعرفة، وقد كشفت بعض الدراسات أن التغيير الذي يطرأ على التلميذ يعتبر من أهم نتائج دراسة المدرس من خلال تعلمه، والعمل في الموقف التالي يوضح ذلك:

كان هناك تلميذ في الصف السادس يحدث اضطرابات شديدة في الفصل وخارجه، وبناء على اقتراح الإخصائي الاجتماعي دعي المدرس- الذي كان شديد الضيق بسلوك ذلك التلميذ- إلى الدراسة، وتضمنت تلك الدراسة شتى المعلومات المطلوبة عن ظروفه المنزلية، بما في ذلك علاقاته بأخواته وإخوانه، فضلا عن إعداد يوميات يسجل فيها سلوكه، وفي الاجتماع الأسبوعي لهيئة التدريس كانت هذه المعلومات توضع تحت المناقشة من دون أن يطرأ أي تغيير على البرنامج أو التلميذ في الفصل، إذ كان الغرض من هذه المناقشات مجرد الحصول على صورة مفصلة عن التلميذ كإنسان، وتفهم وجهة نظره. وبعد مرور أربعة أسابيع قال المدرس: «لا أعتقد أننا في حاجة إلى دراسة سلوك التلميذ أكثر من ذلك، إذ يبدو أنه قد تغير»، والواقع أن نقطة التحول في خبرة التلميذ بالمدرسة لا تحدث نتيجة مبادأته بتغير سلوكه، وإنما نتيجة لتغيير المدرسة نفسها فقد اكتسب هذا المدرس تجاوبا مع التلميذ خلال ملاحظته ومناقشته في أزماته، مما أدى إلى حدوث تغير عميق في اتجاهاته وسلوكه نحوه، وقد استجاب التلميذ لذلك مؤكدا الحقيقة المعروفة، وهي أن اتجاهات الناس نحو بعضهم تلعب دورا هائلا في تحديد سمات السلوك الإنساني.

لا يمكن الحديث عن المواقف والتجارب التعليمية بشكل واف، ولكن يمكن أن نشير إلى بعض المسائل الأساسية وهي:

- تجنب إصدار أحكام سطحية على التلاميذ وغالبا، إن لم يكن في جميع الأحوال، يكون السلوك المعوج من أغراض اضطراب نفسي عميق، ومن ثم، فإن الاهتمام بالأعراض يمنع المدرسين وغيرهم من تفهم أسباب السلوك. أو بعبارة أخرى يصبح من الواجب على الشخص المهني أن يدرك العلاقة الوثيقة بين السلوك والاحتياجات الداخلية للتلاميذ، حتى يمكن إحداث التغييرات الأساسية لهم، سواء عن طريق تعديل أوضاعهم البيئية أو بواسطة إعادة تربيتهم.

- من الواجهة المثالية كل ما يفعله التلميذ جدير بالملاحظة، مادام كل سلوك يقوم به ينم عن معنى لديه، ومهما يكن الأمر، فمادام هناك وقت محدد قد كرس للملاحظة، فيجب على المدرس أن يختار الخبرات الجديرة بالملاحظة، ولذلك ينبغي اختيار السلوك البارز والمواقف المهمة المختلفة قدر الإمكان.

- إن الملاحظة المنظمة للتلاميذ تؤدي الى فهم أفضل لهم، فعلى سبيل المثال: تلميذة كانت كلما دخلت حجرة الدراسة تتوجه دائما إلى المدرسة متذرعة بسبب أو بآخر، وقد كشفت التلميذة للمدرسة في أثناء زيارات قصيرة لمنزل التلميذة عن معلومات كثيرة عن أحداث في المنزل، فقد ذكرت ما كان يقوله والداها وما يقومان به معا، وما كان يعطيانها وما إلى ذلك.

وقد اتضح أن هناك ما يدل على أنها كانت تحظى باهتمام أكثر مما يجب في المنزل وقد توصلت المدرسة في استنتاجها إلى أن مشكلتها كانت تتضمن قدرا من العناية الزائدة عن الحد، وأنها كانت في حاجة إلى أن تساعد كي تصبح مستقلة معتمدة على نفسها وقد أدى ذلك في النهاية إلى أن تضع المدرسة في اعتبارها الوسيلة التي يتكون بها إدراك الذات.

لاحظت أن هناك تفاوتا في كفاءة المدرسين في بعض المدارس المصرية، ولكن مما لا شك فيه أن غالبية المدارس، من أكبرها إلى أصغرها بها مدرسون ذوو كفاءة مخلصون، ومدى استثمار إمكانات المدرس يعتمد كثيرا على كفاءة القيادة الإدارية في المدرسة، فحيثما تتوافر الثقة لدى القيادة المدرسية في قدرة ورغبة المدرسين في النمو، فإن ذلك يهيئ لكفاءتهم الفرص للكشف عن نفسها.. إن أي برنامج لدراسة سلوك التلاميذ ليس سوى مجهود منتظم يستهدف معرفة واستثمار ما يعرفه غالبية المدرسين فعلا، وتشير بعض الدراسات إلى أن المدرسين، سواء المدربون منهم تدريبا ممتازا ، ومن لم يحظ إلا بالقليل من هذا التدريب يستطيعون أن يعملوا وينتجوا عن طريق برامج جيدة التصميم لدراسة سلوك التلاميذ، ومن خلال الدراسة المستمرة لسلوك التلاميذ، تظل المبادئ التي تحدد السلوك الإنساني ثابتة في الذهن.

ومن الممكن تلخيص هذه المبادئ على النحو التالي:

لا يريد أي إنسان عن عمد أن يصبح غبيا أو مريضا أو معتلا، وعندما تحدد الأسباب وتزال العوائق ينطلق الأفراد صوب أهداف مقبولة.

وهيئة التدريس بدورها لديها التزامات نحو مدير المدرسة، وإذا كان المدير من واجباته أن يعمل على تحسين العلاقات المدرسية فهو يحمل كذلك عبئا ومسؤولية كبيرة، إذ يعمل تحت ضغوط عديدة من داخل المدرسة وخارجها، وغالبا ما تنتقد جهوده بدلا من أن تقدر، وقد لاحظت هذا في بعض المعاهد الأزهرية والمدارس المصرية التي قمت بزيارتها وإجراء لقاءات فيها.

كاتب موريتاني

المنهج الإسلامي في ولاية التعليم.. الأطوار والقواعد والشروط

- دراسة في التأصيل والتجديد من خلال هدايات الوحي وتجارب علماء المسلمين -

د. محمد الأنصاري

في هذا الموضوع يتم الحديث عن المنهج الإسلامي في ولاية التعليم من خلال هدايات الوحي وتجربة علماء المسلمين، وذلك ببيان أطواره وقواعده وشروطه المنهجية والعلمية والخلقية، المستمدة من هدايات الوحي قرآنا وسنة، والمستمدة من سيرة الرسول ﷺ، ثم من تجربة العلماء وخبرتهم في التربية والتعليم.

وقد اخترت الحديث عن الأطوار والقواعد والشروط لأهميتها، وحاجة الأمة إليها في بلورة رؤاها وتصوراتها ومناهجها، حول قضية التربية والتعليم، وخاصة في هذا العصر الذي حادت فيه أمة الإسلام عن هدي الوحي ونهج العلماء المجربين الوارثين للنبوة في أعظم ولاية شرعية وخطة دينية هي ولاية العلم والتربية والتعليم، وأصبحت تستورد رؤى ومناهج تعليمية وتربوية غريبة عن ثقافة الإسلام وتعاليمه، وعن تراث الأمة العلمي والمنهجي والتربوي وعن هويتها الحضارية.

إن الحديث عن المنهج في ولاية التعليم الإسلامية يحتاج إلى بحوث علمية رصينة في إطار جهود علمية متواصلة فردية وجماعية، ذلك لما للمنهج من أهمية خاصة، إذ بقدر الفقه في المنهج التعليمي في مؤسسات التربية والتعليم يكون مستوى انطلاق أمتنا العلمي والحضاري، ويكون مستوى التجديد والاجتهاد، ومن ثم مستوى الشهود الحضاري المنشود للأمة في عالم اليوم.

ومن هذا المنطلق كان الاهتداء في المنهج للتي هي أقوم من أوجب الواجبات الشرعية في هذا الزمان وفي كل زمان، قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء: ٩)، وقال سبحانه: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ (المائدة: ٤٨). ونظرا لهذه الأهمية التي يستمدها المنهج من الوحي فقد اخترت الحديث عن بعض قضاياه الأساسية، وذلك في مبحثين

أطوار المنهج الإسلامي في ولاية التعليم من خلال هدايات الوحي وتجارب علماء المسلمين

في هذا المطلب يتم بيان الأطوار التربوية التعليمية في المنهج الإسلامي في ولاية التعليم، فالدارس لمنظومة ولاية التعليم عند علماء المسلمين يرى أنها كانت تتكون من ثلاثة أطوار كبرى، يتم عرضها في ثلاثة مطالب

من الضرورة استثمار مرحلة الطفولة باعتبارها أفضل مراحل العمر للحفظ

المطلب الأول: الطور الأساسي

وهو الطور الأول من ولاية التعليم، وفيه يتلقى المتعلم المقدمات الأولى للعلم، فيتعلم خلالها مبادئ القراءة والكتابة، ويحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في مرحلة الصغر، ويلقن مبادئ الإسلام وقواعده الأولى، وبعض التعاليم والآداب الإسلامية الضرورية للطفل، حتى ينشأ على تعاليم الدين ومبادئه وقيمه وأخلاقه، فترسخ في عقله وسلوكه منذ صغره.

يقول ابن الجوزي في بيان المواد الأساسية التي ينبغي تعليمها للمتعلم في هذا الطور: «أول ما ينبغي تقديمه مقدمة في الاعتقاد، تشتمل على الدليل على معرفة الله سبحانه، ويذكر فيها ما لابد منه، ثم يعرف الواجبات، ثم حفظ القرآن، ثم سماع الحديث، ولابد من حفظ مقدمة في النحو يقوم بها اللسان». ويتضح من خلال نصوص العلماء، أن تلقي العلوم المقررة في هذا الطور، يتم بالتدرج عبر مراحل، تناسب عمر المتعلم ومستواه وفهمه، وتقوم على الأولوية بحسب الأهمية والأفضلية في كل علم، وبحسب اليسر والعسر في كل مادة تدرس، فيقدم الأسهل على الأصعب لأنه الأليق بفهم المبتدئ في التعلم، ومما يومئ إلى هذا المعنى قول الإمام الشاطبي: «ثم وضع الله فيهم العلم بذلك على التدرج والتربية، تارة بالإلهام كما يلهم العربي التقام الثدي ومصه، وتارة بالتعليم، فطلب الناس بالتعلم والتعليم لجميع ما يستجلب به من المصالح، وكافة ما تدرأ به المفاسد، إنهاضا لما جبل فيهم من تلك الغرائز الفطرية، والمطالب الإلهامية لأن ذلك كالأصل للقيام بتفاصيل المصالح، كان ذلك من قبيل الأفعال أو الأقوال أو العلوم والاعتقادات أو الآداب الشرعية أو العادية».

ويقوم المنهج التعليمي لهذا الطور على عدة اعتبارات منها:

أ- أن القرآن الكريم، كان عند المسلمين الأوائل منذ عصر الرسالة والخلافة إلى عصور لاحقة، يعتبر أهم شيء يتعلمه المسلم،لأن القرآن هو الروح التي بها يحيى الإنسان الفرد والإنسان المجتمع، والإنسان الأمة، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾ (الشورى: ٥٢)، فالقرآن « إذا حل في كيان

أستاذ التعليم العالي / تخصص الفقه والأصول في المغرب

فرد أو جماعة... حلولا حقيقيا نقل هذا الكائن من حال الموت إلى حال الحياة، قال الله تعالى: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ (الأنعام: ١٢٢)، وقال جل من قائل: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الأنفال:٢٤)، فلا حياة لابن آدم إلا بالوحي.

ولهذا فبمجرد دخول الطفل إلى مؤسسات ولاية التربية والتعليم، التي كان المسجد أحد أعظم مراكزها، كان يحفظ القرآن باعتباره أصل الأصول وإمام كل العلوم، وكل ما سيتعلمه لاحقا فهو خادم للقرآن ومتفرع عنه، حتى إذا توقف المتعلم عن التعلم لسبب أو لآخر عند هذا الطور، فإنه يكون قد حصل أهم شيء في العلوم، بحيث يمكنه أن يكمل تعليمه في أي فترة من فترات حياته، متى أراد ذلك دون عناء كبير.

ب- أن القرآن الكريم هو أغنى وأصح نص عربي على الإطلاق، فمن حفظه فقد امتلك أحسن ثروة لغوية، وأفضل ملكة عربية تفيد الطفل في مستقبله العلمي في تقويم لغته وفصاحة لسانه.

ج- أن اللسان العربي هو المدخل الأساس لمعرفة كتاب الله عز وجل والتحقق من أحكامه ومقاصده وتشريعاته، وفهم رسالته والمراد منه، واستخلاص هداياته المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير، ولن يتحقق ذلك إلا بتعلم لسان القرآن ولغته، لأنه نزل ﴿بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٥)، ولهذا كانت العناية باللسان العربي واللغة العربية منذ هذا الطور عناية كبيرة.

د- أن مرحلة الطفولة هي أفضل مراحل العمر للحفظ، إذ كلما تقدم العمر صعب الحفظ، فكان استثمار هذه المرحلة المتميزة من عمر الإنسان، في حفظ كتاب الله تعالى قبل غيره، وفي ترسيخ كليات الإيمان والعبادات والأخلاق التي ينبغي أن يتربى عليها المتعلم منذ الصغر.

وبهذا تتبين الدقة في الخطة التعليمية في ولاية التعليم على المستوى المنهجي والعلمي، قصد غرس كليات الدين وأموره



الأساسية في تربية الإنسان وتعليمه، حتى ينشأ على الإسلام جملة وتفصيلًا.

المطلب الثاني: الطور الإعدادي

وهو الطور الثاني من أطوار المنهاج التعليمي التي كان يمر بها المتعلم المسلم في ولاية التعليم، وفيه يتلقى الطالب علومًا أخرى بعضها خادم لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من حيث فهمهما واستنباط أحكامهما، وإدراك أسرارهما، كعلوم الآلة مثل اللغة العربية بشكل أدق وأعمق مما يتلقاه في الطور الأول، ويتعلم كل ما يتصل بها من نحو وبلاغة وغيرهما، ومثل علم أصول الفقه، فهذه العلوم تعتبر مقدمات ومفاتيح لدراسة القرآن والسنة وغيرهما من العلوم الشرعية المتصلة بهما.

ويدرس أيضا علم المنطق والحساب، وما يجري مجراهما من حيث كونها وسائل لعلوم أخرى.

ويهدف هذا الطور إلى إكساب الطالب المناهج العلمية الإسلامية التي تمكنه من القدرة على التعامل السليم والسديد مع الوحي قرآنا وسنة بفهمهما فهما صحيحا، وهذا الفهم يصطلح عليه بفقه الدين، ثم العلم بتنزيلهما على الواقع تنزيلا قويمًا وحكيمًا، وهو ما يسمى بفقه التنزيل أو سنة التنزيل.

وواضح أن هذا التعامل المنهجي العلمي يترتب عنه فقهان آخران: فقه الواقع، الذي يراد تنزيل أحكام الشرع المستنبطة من الوحي عليه، وفقه المقاصد الشرعية ومآلات أحكامها، وبه يتمكن العالم والمتعلم من معرفة علل الأحكام وأسرارها، وما تجلبه من مصالح وتدرؤه من مفاسد، فيكسب بذلك ملكة قوية على التعامل بمرونة في تطبيق الأحكام وفق ما تقتضيه مقاصدها ومآلاتها وحكمها.

وبهذا تتكون لديه عقلية إسلامية موزونة بميزان هدايات الوحي المنهاجية والمقاصدية، يقدر بها على معالجة المشكلات والحوادث المستجدة من أي نوع كانت في إطار قواعد الدين وأحكامه ومقاصده.

المطلب الثالث: الطور التأهيلي

وهو الطور الثالث من أطوار ولاية التعليم التي يمر بها الراغب في التعلم والتفقه في علوم الدين والدنيا، المادية والإنسانية والاجتماعية.

وهذا الطور هو طور التخصص العلمي إلى درجة النبوغ والاجتهاد في العلوم الشرعية والكونية.

وفيه يدخل الطالب مرحلة جديدة من مراحل التعليم والتربية، إذ يدرس فيه العلوم الكونية المادية كعلم الهندسة والزراعة والطب والفيزياء والكيمياء وغيرها دراسة عميقة.

ورغم كونها علوما غير شرعية، إلا أن دراستها تتم في إطار ميزان الإسلام

وتوجيهاته، حيث يعمل على جعلها تنحو في المنحى الذي يخدم الدين والدنيا معا، وأن يكون القصد من ذلك خدمة العباد بجلب الصلاح لهم ودرء الفساد عنهم، وأن يبتغي من وراء ذلك صاحبها وجه الله تعالى فيتعبد بها ربه.

ومن مميزات هذه المرحلة أن الطالب المتخصص في علم من العلوم السابقة، يكون قد حصل من العلوم الشرعية ما يحصنه ويمنعه من الزيغ والانحراف الفكري، ومن جملة ذلك اكتسابه الميزان الشرعي الذي يزن به كل شيء، فما كان موافقا أخذ به، وما كان مخالفا طرحه.

وفي هذا الطور أيضا ينتهض من الطلاب من يتخصص في العلوم الشرعية فينبغ فيها، ويرسخ إلى درجة تمكنه من الاجتهاد الشرعي في العلم الذي تخصص فيه.

وقد أشار إلى بعض ملامح هذا الطور والغرض منه الإمام الشاطبي فقال: «فعند ذلك ينتهض الطلب على كل مكلف في نفسه من تلك المطلوبات بما هو ناهض فيه، ويتعين على الناظرين فيهم الالتفات إلى تلك الجهات فيراعونهم بحسبها، ويراعونها إلى أن تخرج في أيديهم على السراط المستقيم، ويعينونهم على القيام بها، ويحرضونهم على الدوام فيها حتى يبرز كل واحد فيما غلب عليه ومال إليه من تلك الخطط، ثم يخلى بينهم وبين أهلها فيعاملونهم بما يليق بهم ليكونوا من أهلها إذا صارت لهم كالأوصاف الفطرية والمدركات الضرورية، فعند ذلك يحصل الانتفاع وتظهر نتيجة تلك التربية».

ويضيف قائلا مبرزًا أهمية التخصص العلمي والغرض منه في هذه المرحلة التعليمية: «فإذا انتهض عزمه إلى أن صار يحذق القرآن صار من رعيتهم وصاروا هم رعاة له كذلك، ومثله إن طلب الحديث والتفقه في الدين إلى سائر ما يتعلق بالشريعة من العلوم، وهكذا الترتيب فيمن ظهر عليه الإقدام والشجاعة وتدبير الأمور فيمال به نحو ذلك، ويعلم آدابه المشتركة، ثم يصار به إلى ما هو الأولى فالأولى من صنائع التدبير كالعرافة أو النقابة أو الجندية أو الهداية أو الإمامة أو غير ذلك مما يليق به وما ظهر له فيه نجابة ونهوض، وبذلك يتربى لكل فعل هو فرض كفاية قوم ينتهضون به، فيجتهدون في البحث والتعمق فيه إلى أن يصلوا إلى أقصى الغايات في الفروضات الكفائية، وفي التي يندر من يصل إليها كالاجتهاد في الشريعة والإمارة، وبهذا تستقيم أحوال الدنيا وأعمال الآخرة».

إن هذا النص الذهبي للإمام الشاطبي، يبرز العمق العلمي والمنهجي لدى علماء الإسلام في ولاية التعليم عبر أطوارها ومراحلها المبنية على قاعدة التدرج والأولوية، وعلى غيرها من القواعد المنهجية والعلمية والاعتبارات النفسية والزمنية.

وخلاصة الأمر.. فإن المنهج التعليمي خلال هذه الأطوار الثلاثة يعتمد برنامجا تعليميا وتربويا أركانه ثلاثة

- **الأول:** الوحي ونصوص الوحي، والمراد بذلك الوحي بشقيه القرآن والسنة البيان، فالمنهج التربوي في ولاية التعليم الإسلامية يعتمد الوحي ونصوص الوحي أساسا وقاعدة في التربية والتعليم أولا وأخيرا، بدءا وانتهاء، إذ لا يقدم على الوحي حفظا وفهما غير الوحي، لأن الوحي هو الأساس العلمي والمنهجي والتربوي للعلوم والمعارف كلها، وللمعلمين والمتعلمين جميعهم.

فالوحي بهذا الاعتبار المنهجي هو القاعدة والأساس الذي ينبغي أن يربى عليه الناس، وهو الميزان الذي توزن به الموزونات وفي ضوئه تعار الأمور، فلا يجوز أن يقدم الموزون على الميزان ولا المعار على المعيار، فالله تعالى بعث رسوله لهذا الغرض فقال: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (آل عمران: ١٦٤).

والتعامل مع الوحي هاهنا يتم بطريقتين اثنتين:

أ - طريقة الحفظ، وذلك بحفظ نصوصه تحققا، فحفظها حفظ للوحي، ونقلها إنما يتم بالتداول، وحفظ القيم والهدايات المنهاجية في التفكير والتعبير والتدبير في مجال التربية والتعليم وغيرها من المجالات الأخرى، وحفظ المبادئ والقواعد الحضارية للأمة الشاهدة على الأمم، إنما سبيله حفظ هذا الوحي، وحفظ الوحي حفظ لمراد الله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(الحجر:٩).

ب - حفظ الوحي بمعنى حفظ قيمه والعمل به وبمقتضياته والتخلق بأخلاقه، فيصير هذا الحفظ منهاج حياة للفرد والأسرة والمجتمع والأمة. وهذا الحفظ هو المراد بقول عائشة أم المؤمنين لما سئلت عن خلق الرسول ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» (الألباني)، وبهذا يتم الربط في المنهاج التربوي التعليمي بين العلم والعمل وبين التحقق والتخلق، فالعلم إمام والعمل تابعه.

والمطلوب في الحفظين معًا إتقان صناعتهما إتقانًا كافيًا يحقق مراد الله تعالى منهما، وهو المقصد الذي بعث الله تعالى لأجله خاتم رسله، قال تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة: ٢)، وأي تقصير فيهما أو في واحد منهما إخلال بالواجب الشرعي الذي يأثم عليه المخل معلما كان أو متعلما، فردا كان أو مؤسسة، مجتمعا أو دولة، كل بحسب مسؤوليته ودرجة إخلاله.

- **الثاني:** علوم الوحي، والمراد بها العلوم الشرعية المستخلصة من الوحي والمشتقة منه، وهي علوم خادمة للوحي، بها يتمكن المتعلم من فهمه والتعامل مع نصوصه ضبطًا وتوثيقًا، فهمًا واستيعابًا، عملًا وإعمالًا، وبها يتمكن الباحث من اكتساب ملكة الاستنباط والقدرة على المقارنة والترجيح، وبها يكتسب عقلية المقايسة وملكة الاجتهاد، وهذا أمر منهجي مهم في التعليم والعودة بالوحي وعلومه، وبطلبة العلم الشرعي والباحثين فيه إلى الرسوخ العلمي والمنهجي، ومن ثم الانتقال بالعلوم الشرعية من مرحلة الجمود والتقليد إلى مرحلة الاجتهاد والتجديد.

والمطلوب في تدريس العلوم الشرعية من قرآن وعلومه وحديث وعلومه وفقه وأصوله وشريعة ومقاصدها وعقيدة

ومقتضياتها وسيرة وتنزيلاتها ومكارم أخلاق وتزكية لأنفس أصحابها وغيرها، المطلوب في دراستها وتدريسها الاتجاه نحو التمكن من تقعيد هذه العلوم لما للتقعيد من أهمية كبيرة في ضبطها واستيعابها وكيفية تنزيلها واعتبار مآلاتها، فخلاصة العلوم كلها كما قال العلماء في قواعدها.

ثم الاتجاه نحو إيجاد الكتاب المدرسي لجميع الأطوار التعليمية عامة والتعليم العتيق خاصة في إطار هذه الرؤية العلمية والمنهجية المستلهمة من الوحي المعصوم، وتجربة الرسول المسدد بالوحي، واجتهادات علماء الأمة عبر تاريخها، وخاصة في الأعصر الذهبية التي كانت الهيمنة فيها للوحي وعلومه. فالكتاب المدرسي بهذا المعيار لجميع المستويات والأطوار هو الكفيل بتقريب التراث العلمي الشرعي من طلبته.

الثالث: اللسان العربي المبين، فاللسان العربي هو لسان الوحي وهو أداة فهمه وفهم علوم الشريعة واستيعابها، إذ لا سبيل إلى ذلك إلا به، ولا يتحقق ذلك إلا إذا عني بالعربية وعلومها عناية خاصة في المنهج التعليمي المنشود، كما عني بها أول الأمر في ولاية التعليم الإسلامية، إذ لا يجوز أن تنافس أو تزاحم بأي لغة أخرى، وخاصة في الأطوار التعليمية الأولى للمتعلمين حتى يتمكن الطلبة من العربية لسانًا ولغة.

وهنا لابد من التفريق بين اللغة واللسان، فاللغة إتقان القواعد واللسان التمكن من البيان، لذا فإن امتلاك اللغة واللسان لا يتم إلا بأمرين هما أ – تعلم اللغة بتعلم قواعد نحوها وصرفها ومعجمها وكل ما يتعلق بها وبعلومها.

ب – تعلم اللسان تعلمًا يمكن من البيان والقدرة على البلاغ المبين، ومما يمكن من ذلك قدرة التفاعل النفسي مع الوحي وعلومه، وذلك إنما يتم بالمعاناة وكثرة التعامل معه حفظًا وفهمًا، دراسة وتدارسًا.

القواعد المنهجية والعلمية والخلقية في ولاية التعليم الإسلامية

إن المراد بالقواعد المنهجية والعلمية والخلقية تلك القواعد التي يهدي إليها الوحي والسيرة في التعليم والتزكية أو قررها العلماء اجتهادا فأعملوها وحثوا على إعمالها في التدريس والتعليم.

وقد استخلصت منها الكثير، لذا سأعمل على اختصار الكلام في عدد منها، حرصا على الإجمال وعدم الاستطراد.

وفيما يأتي بيانها واحدة واحدة:

١- أن تكون القراءة والتعلم والتعليم باسم الله

فالقراءة بهذه الصفة شرط منهجي في ولاية التعليم، ذلك أن القراءة التي أمر بها القرآن في آياته الأولى ليست مجرد قراءة، إنما هي قراءة باسم الله الخالق، ومعنى أنها باسمه سبحانه: أي بإذنه وأمره، وأنها موجهة إليه، موصولة به، فليست باسم صنم يعبد، ولا طاغوت يطاع، ولا بشر يعظم من دون الله، فهي قراءة مؤمنة بالله، خالصة له، مقيدة بأحكامه، بها يقرأ الوحي وعلوم الشريعة كلها، وبها تقرأ العلوم الكونية المادية والإنسانية.

إن الانطلاق من هذه القاعدة المنهاجية أساس في بناء المناهج والبرامج التربوية والتعليمية، وأساس منهجي في بناء نظام تعليمي تربوي إسلامي يحقق مراد الله تعالى في تخريج الخريج المنشود الذي يطلبه الوحي ويحتاجه الواقع ويستوجبه العصر، الخريج الذي يحقق الشهود الحضاري للأمة الشاهدة، وينتقل بها بإذن الله تعالى من الواقع المشهود إلى الموقع المنشود.

إن الخريج المطلوب تخريجه اليوم من مؤسسات التربية والتعليم هو من جنس الخريج الذي اشتغل الرسول ﷺ طيلة حياته الدعوية والتربوية بتخريجه عملا بمقتضى قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة:٢).

لهذا الغرض كان الانطلاق مما انطلق منه القرآن شرطًا منهجيًا في بناء النظام التربوي: مقاصد ومناهج، برامج ووسائل، أطرًا ومؤسسات، وقاعدة أساس في الدراسة والتخطيط لواقع ومستقبل التربية والتعليم في مؤسسات التعليم العتيق خاصة ومؤسسات التربية والتعليم عامة.

إن هذا المنطلق المنهجي هو منطلق: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق:١)، يقول الدكتور الشاهد البوشيخي في هذا الأمر: «لا جرم أن سرًّا عظيمًا في استهلال التنزيل بهذا الأمر ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فالفرد يجب أن يبدأ من هاهنا السير، والأسرة يجب أن تبدأ من هاهنا السير، والجماعة يجب أن تبدأ من هاهنا السير، والدولة يجب أن تبدأ من هاهنا السير، متى أرادت أن تأخذ بيد الناس حقًّا إلى الخير».

٢- إحكام الأصول قبل الفروع

فالعلم بأسس العلم وقواعده وأصوله، هو سبيل ضبط الفروع وإحكامها، ولهذا كان إحكام الأصول أولا، هو المنهج السديد الذي سلكه العلماء في طلبهم للعلم، وينبغي أن يسلكه كل طالب، إذ به يتحقق المقصود من ولاية التعليم وأما بدونه فلا، وقد أحسن أبوالقاسم حيث قال: «إن من حق البحث والنظر، الإضراب عن الكلام في فروع لم تحكم أصولها والتماس ثمرة لم تغرس شجرتها، وطلب نتيجة لم تعرف مقدمتها».

إن المنهج القائم على العناية بالأصول التي هي منطلق العلوم كلها وأصلها، هو المنهج الذي سلكه علماء السلف في التعلم والتعليم، فسادوا وتعلموا ونبغوا في العلم والمعرفة، ولن يتحقق لطلاب العلم في زماننا ما تحقق لأسلافنا إلا بالعودة إلى هذا المنهج، والنهل من أصول الدين والشريعة، وقد قرر هذه الحقيقة ابن عبدالبر فقال: «فعليك يا أخي بحفظ الأصول والعناية بها، واعلم أن من عني بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن، ونظر في أقاويل الفقهاء فجعلها عونًا له على اجتهاده ومفتاحًا لطرائق النظر، ولم يقلد أحدًا منهم تقليد السنن التي يجب الانقياد لها على كل حال دون نظر... واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر... وحمدهم على صوابهم... فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح، وهو المصيب لحظه والمعاين لرشده، والمتبع لسنة نبيه ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم».

وقد أنكر ابن عبدالبر على أهل زمانه عدم عنايتهم بحفظ الأصول وضبطها، واهتمامهم بغيرها مما لا يغني عنها، ويجعل

طالب العلم واقفًا على غير أساس فقال: «ولو علموا أصول الدين وطريق الأحكام وحفظوا السنن كان ذلك قوة لهم على ما ينزل بهم، ولكنهم جهلوا ذلك فعادوه وعادوا صاحبه».

٣- البداية بأوائل العلم ومقدماته لينتهي إلى أواخره وحقائقه

يقول الماوردي في تقرير هذه القاعدة المنهجية في التعلم والتعليم: «واعلم أن للعلوم أوائل تؤدي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة، لأن البناء على غير أس لا يبنى، والثمر من غير غرس لا يجنى».

فهذه القاعدة تحدد للمتعلم منهج الأولويات في خطة التعلم فيهتدي بها إلى طلب الأولى فالأولى.

٤- الابتداء بالأسهل فالأسهل وصولا إلى الأصعب

فهذه قاعدة عظيمة في تلقي العلم وتلقينه، تستوجب على العلماء والمتعلمين الاهتداء بها، والعمل بمقتضاها وخاصة إذا كانت أصول علم من العلوم أسهل من فروعه، فإن الابتداء بها أجدى وأنفع، ثم ينتقل إلى التفصيلات الأصعب بعد ذلك.

وبدون هذا المنهج في طلب العلم وتعليمه يضيع العلم، ولا يتحقق مفهوم الربانية في ولاية التعليم، ولهذا فقد سمى بعض العلماء هذه القاعدة بقاعدة: «إعطاء المتعلم صغار العلم قبل كباره» أخذا من قوله تعالى: ﴿ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ (آل عمران: ٧٩)، فالرباني العالم الحكيم الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره، والمراد أنه يعلمهم ما وضح من مسائل العلم، قبل تعليمهم ما دق منها وصعب.

٥- تقديم الأهم فالأهم من العلوم دون إخلال بقاعدة الترتيب

فتعلم العلم وتعليمه يقتضي تقديم الأهم ثم الذي يليه في الأهمية، حيث ينبغي أن يتعلم المتعلم أولا العلم بالله تعالى وكل ما يتعلق بكليات الإيمان ومسائله، ثم بعد ذلك يتفقه في دينه بمعرفة ما يلزمه من عبادات



وأخلاق ومعاملات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى علم آخر أولى من غيره، وهكذا حتى يبلغ المراد فيكون بهذا المنهج قد جمع بين قاعدة: «العلم بالأصول أولا» وقاعدة: «الترتيب والأولوية في التعلم ثانيا»، يقول الراغب في بيان هذا المعنى: «ويجب أن يقدم الأهم فالأهم من غير إخلال بالترتيب، وكثير من الناس ثكلوا الوصول بتركهم الأصول، وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به إلى ما فوقه حتى يبلغ به النهاية، والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة والمصدوقة».

٦- سلوك منهج التدرج في رتب العلم ودرجاته

فسلوك مسلك التدرج في ولاية التعلم والتعليم شرط منهجي، وقاعدة أساس في تلقي العلم والترقي في رتبه، لأن التمكن من العلم يقتضي ذلك، عملا بسنة التدرج التي هي من سنن الله تعالى في المخلوقات كلها، ومن تجاوز سنة الله هذه عوقب بالحرمان، يقول ابن عبدالبر في تقرير هذا المعنى: «طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدى سبيلهم عامدًا ضل، ومن تعداه مجتهدًا زل، فأول العلم حفظ كتاب الله تعالى وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول إن حفظه كله فرض، ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالمًا ليس من باب الفرض».

ومن خلال هذا النص الذهبي وغيره مما جاء في معناه، يتضح لنا المنهج الذي كان علماء السلف الربانيين يسلكونه في التعلم والتعليم، وهو المنهج الذي ربى الرسول ﷺ به أصحابه، ولهذا كان جل الصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء الصالحين يحفظون القرآن الكريم في سن مبكرة قبل غيره.

٧- تقديم المتفق عليه قبل المختلف فيه

إن من مقتضيات ربانية ولاية التعليم، أن يسلك العالم المدرس، والداعية المربي في تعليم العلم وتبليغه، ما هو متفق عليه على ما هو مختلف فيه بين العلماء، إذ إن البدء بالمختلف فيه من شأنه أن يفضي إلى إرباك التفكير في المتعلم، وإفساد تربيته وتكوينه، وفي هذا المعنى يقول الغزالي: «أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس، سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا، أو من علوم الآخرة، فإن ذلك يدهش عقله، ويحير ذهنه، ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع».

ولا يعني هذا التقليل من أهمية علم الاختلاف، وخاصة لطالبي الاجتهاد، إلا أن تقديم العلم المتفق عليه، يكون أولى لمن لا يزال في مدارج البداية على المختلف فيه.

٨- ألا يدع طالب العلم فنًا من العلوم المحمودة، ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه، وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه، فإن العلوم متعاونة، وبعضها مرتبط ببعض، ويستفيد منه في حال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فالناس لما جهلوا أعداء، قال تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ (الأحقاف: ١١)، «فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى، أو معينة على السلوك نوعا من الإعانة، ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود، والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور، ولكل واحد رتبة، وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى».

٩ - ألا يخوض المتعلم في فن جديد حتى يستوفي الفن الذي قبله

فالعلوم مراتب يفضي بعضها إلى بعض، يقول الغزالي: «فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا، وبعضها طريق إلى بعض، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج، قال الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ (البقرة:١٢١)، أي لا يجاوزون فنًا حتى يحكموه علمًا وعملاً، وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه».

١٠- التثبت في أخذ العلم وعدم الإكثار منه

وقد قرر هذه القاعدة المنهجية في التعلم الخطيب البغدادي حيث قال: «وينبغي له أن يتثبت في الأخذ ولا يكثر، بل يأخذ قليلاً قليلاً حسب ما يحتمله حفظه، ويقرب من فهمه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾(الفرقان:٣٢).

وقد أوصى أبوحنيفة تلميذه حمادًا بكيفية أخذ العلم دون الإكثار منه، حتى يكون ذلك عونا له على الحفظ والفهم، فقال: «تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد عليها شيئا حتى يتفق لك شيء من العلم»، فتعلم وتفقه في الدين، حتى أصبح يشار إليه بالبنان.

الفقه المنهجي في مجال التعلم والتعليم مستمد من نصوص الوحي وعطاء التجربة والخبرة الميدانية

ومن خلال هذه النصوص التراثية يتبين الفقه المنهجي الذي كان عند علماء السلف، في مجال التعلم والتعليم، وهو فقه مستمد من نصوص الوحي وعطاء التجربة والخبرة الميدانية، والمعاناة الدائمة في استخراج العلم والمنهج من القرآن والسنة.

١١ - الاقتصار على تعلم القدر الذي تحتمله طاقته فلا يزيد عنه

يقول الخطيب في هذا المعنى: «وينبغي أن يجعل لنفسه مقدارًا كلما بلغه وقف وقفته أيامًا لا يريد تعلمًا، فإن ذلك بمنزلة البنيان، لو بناه البناء كله في يوم واحد لم يكن بالذي يستجاد، وربما انهدم بسرعة، وإن بقي كان غير محكم، فكذلك المتعلم ينبغي أن يجعل لنفسه حدًا كلما انتهى إليه وقف عنده، يستقر ما في قلبه ويريح بتلك الوقفة نفسه، فإذا اشتهى التعلم بنشاط عاد إليه، وإن اشتهاه بغير نشاط لم يعرض له».

والأصل في هذا قوله ﷺ: «عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا» (البخاري).

١٢ - استصلاح النفس بقسط من الراحة بعد الطلب والتعب أمر ضروري في التعلم والتعليم.

فمناهج الدراسة والتربية لا تكون فعالة، وفي المستوى المطلوب من حيث العطاء والمردودية، دون مراعاة لهذه القاعدة، يقول الخطيب: «ويستصلح المعلم نفسه ببعض الأمر من أخذه نصيبا من الدعة والراحة واللذة، فإن ذلك يعقبه منفعة بينة»، وقال قسامة بن زهير: «روحوا القلوب تعي الذكر».

١٣- أخذ العلم عن أهله المتحققين بمقتضاه

لقد تقدم أن العلم شرعًا هو ما ينبني عليه عمل، فهذا العلم لا يؤخذ عن كل عالم به، وإنما يؤخذ عن أهله، وهم العلماء المعتبرون شرعًا الذين صار العلم وصفًا وخلقًا لهم، فلا يتحركون إلا بمقتضاه، فهذا هو السبيل المفضي إلى التعلم والانتفاع بالعلم، يقول الشاطبي مقررًا هذا المعنى: «من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقق به، أخذه عن أهله، المتحققين به على الكمال والتمام»، ويقول الخطيب: «ينبغي للمتعلم أن يقصد من الفقهاء من اشتهر بالديانة وعرف بالستر والصيانة»، فالعلم أمانة توجب على المتعلم الحرص على تلقيه من العلماء الربانيين، ولهذا قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذونه»، وقد روي مثل هذا الكلام عن الإمام مالك، قال رحمه الله: «إن هذا العلم دين، فانظروا عن من تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال فلان، قال رسول الله ﷺ عند الأساطين.. فما أخذت عنهم شيئًا، وأن أحدهم لو اؤتمن على مال لكان أمينا لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن».

خاتمة

تلك كانت بعض قضايا المنهج الإسلامي في ولاية التعليم الإسلامية، وهي قضايا الأمة في أمس الحاجة إليها اليوم في مؤسسات تعليمها الخاصة والعامة، وفي مختلف مستوياتها وأطوارها، إذ اعتماد هذه القضايا والقواعد العلمية والمنهجية المستلهمة من هدايات الوحي وخبرة العلماء المجربين المجتهدين من شأنها أن تبصر العالم والمتعلم وأن تهديهما إلى التي هي أقوم وأرشد في المنهج التربوي التعليمي، الذي به يمكن تخريج الخريج المنشود فكرًا وتعبيرًا وتدبيرًا، كما يمكن به إذا كانت الهمم عالية والنوايا خالصة والنفوس زكية والإمكانات المادية والمعنوية والبشرية مسخرة في خدمة مؤسسات ولاية التعليم مناهج وبرامج ووسائل، علماء ومتعلمين، أطرًا ومؤسسات أن تنقل الأمة بإذن الله تعالى في وقت وجيز من الواقع المشهود إلى الموقع المنشود المحقق لمراد الله تعالى في الشهود الحضاري لهذه الأمة على الأمم كلها، وما ذلك على الله بعزيز.

آداب مزاولة مهنة الطب من منظور إسلامي

أ.د.عبدالفتاح محمود إدريس

إن للطب آدابًا يجب على من يمارس أعماله أن يترسمها، وألا يتنكب عنها، حتى لا يتعرض للمساءلة من الجهات التي تراقب مدى التزامه بآداب مهنته، والتي قد تؤاخذه على تقصيره في مراعاة هذه الآداب، بحرمانه من ممارسة عمله، وإلغاء ترخيصه بمزاولة هذه المهنة، وإغلاق عيادته أو المشفى الذي تم الترخيص له به، وقد تحيله هذه الجهات إلى المحاكم الجنائية، إذا كان إخلاله بهذه الآداب يمثل جريمة يعاقب عليها القانون.

لقد كانت الشريعة الإسلامية سباقة في بيان الآداب الشرعية، التي ينبغي على من يعمل في مجال الطب أن ينهجها، وإلا كان آثمًا شرعًا، وهذه الآداب يمكن حصرها في الاتجاهات التالية

١-آداب عامة يراعيها الأطباء في سلوكهم وعند مزاولة مهنتهم.

٢-آداب يراعيها الطبيب نحو المريض الذي يعالجه.

٣- آداب يراعيها الطبيب نحو المجتمع الذي يمارس فيه مهنته.

٤-آداب يراعيها الطبيب نحو زملائه في المهنة.

الآداب العامة

وتتمثل هذه الآداب فيما يلي

١-أن يحافظ الطبيب على السلوك السوي لمهنته، وأن تكون حياته الخاصة والعامة بعيدة عن الشبهات، ويتأتى هذا بعدم مشاركته في الأنشطة التي لا تتفق وآداب مهنته، وأن يلتزم بالمبادئ العامة للأخلاق كما دعا إليها الإسلام إن كان مسلمًا، أو كما دعت إليها الشرائع السماوية؛ فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» (١).

الطبيب مطالب بأن يعامل زملاءه بما يحب أن يعاملوه به

٢ - أن يتخذ الطبيب لنفسه غاية في ممارسته لمهنته، وهي واجب المحافظة على الحياة الإنسانية، والدفاع عنها، وعلاج المرضى وتخفيف الألم عنهم، وذلك كله بقدر الاستطاعة، وأن يبذل جهده في تحقيق هذه الغاية، ولا ينبغي أن يكون دافعه من ممارستها تحقيق المنفعة الشخصية أو الكسب المادي. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٨) وينبغي عليه أن يؤمن بأنه لن يحصل من سعيه إلا ما قدره الله له، وأنه لن يموت حتى يستوفي ذلك كله؛ فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب؛ خذوا ما حل، ودعوا ما حرم» (٢)، وأن رزقه يسعى إليه كما يسعى إليه أجله المحتوم، فقد روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم غزوة تبوك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يأيها الناس إني ما آمركم إلا بما أمركم الله ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه، فأجملوا في الطلب فوالذي نفس أبي القاسم بيده إن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله، فإن تعسر عليكم شيء منه فاطلبوه بطاعة الله عز وجل (٣).

٣- ألا يوجه الطبيب إمكاناته وخبراته للأذى أو التدمير، أو إلحاق الضرر البدني أو النفسي بالإنسان، مهما كانت الاعتبارات السياسية أو العسكرية، فقد نهى الشارع عن الضرر ومضارَّة المسلم؛ إذ روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» (٤)، وروي عن أبي صرمة . رضي الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال: «من ضارّ مسلمًا ضارّه الله» (٥).

٤- أن يعمل على تنمية خبرته في الطب؛ وذلك بالاطلاع على الأبحاث المتخصصة في مجال عمله، وحضور الندوات والمؤتمرات التي تناقش فيها الأعمال الطبية، والوقوف على ما قد يرد على النظريات المختلفة في التشخيص والعلاج من تعديل أو إضافة، وعلى الجديد في وسائل المداواة والمعالجة وغيرها من المجالات الطبية؛ فقد رغب الشارع في طلب العلم والتزود منه في نصوص كثيرة، منها: قول الله

أستاذ الفقه المقارن بجامعتي الأزهر والإمارات والجامعة الأمريكية المفتوحة.

تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿طه: ١١٤﴾، وقوله سبحانه «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١) وروى عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إن الله عز وجل وملائكته وأهل السماوات والأرضين، حتى النملة في جحرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير (٦).

وروى عن صفوان بن عسال رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب» (٧).

٥ . للطبيب أن يقوم بإجراء البحوث العلمية في مجال تخصصه، على ألا تشتمل حريته في البحث العلمي على قهر الإنسان أو قتله أو الإضرار به، أو تعريضه لضرر محتمل، أو التدليس عليه أو استغلال حاجاته المادية، ولا ينبغي أن تشتمل خطوات البحث العلمي أو تطبيقاته على أمر يعد من المحرمات التي حرمها الإسلام كالزنا، أو اختلاط الأنساب، أو التشويه والعبث بمقومات الشخصية الإنسانية عن طريق الهندسة الوراثية، لنهي الشارع عن ذلك كله، ومن الأدلة الدالة على تحريم ذلك قول الله تعالى في تحريم الزنا: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ ﴿الإسراء: ٣٢﴾، وقد ورد في تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه ما رواه سعد بن أبي وقاص وأبوبكرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من ادعى أبًا في الإسلام غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام» (٨)، كما ورد في تحريم إلحاق نسب مولود بمن ليس منهم ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم، فليست من الله في شيء، ولن يُدخلها الله جنته» (٩). وورد في تحريم العبث بمقومات الشخصية الإنسانية عن طريق استعمال الهندسة الوراثية، واتباع الشيطان في غوايته إلى تغيير خلق الله تعالى قول الله سبحانه عن محاولة إبليس إيقاع الإنسان في هذه المعصية: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (النساء: ١١٩)، ثم قال سبحانه محذرًا من اتباع الشيطان في ذلك: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١١٩)، وروى علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلّجات للحسن المغيّرات خلقَ الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: ما حديث بلغني عنك أنك لعنتَ الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيّرات خلق الله؟ فقال عبدالله: وما لي لا ألعن من لعن رسولُ الله ﷺ وهو



في كتاب الله، فقالت: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر: ٧) (١٠)، فهذه الأدلة وغيرها دليل على حرمة تغيير خلق الله تعالى والعبث في الصورة الإنسانية التي فطر الله تعالى الناس عليها، عن طريق إجراء التجارب التي يقصد منها هذا العبث.

الآداب المتعلقة بالمريض

وتتمثل هذه الآداب فيما يلي:

١- أن يبذل الطبيب لمريضه النصح، وأن يفيده إفادة تامة عن كل ما يتعلق بمرضه؛ فقد روي عن تميم الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة -ثلاثًا- قلنا: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» (١١).

٢ - أن يصارح الطبيب مريضه بعلته إن كان في ذلك ما يفيده، وأن يختار الطريقة المناسبة لإنهاء حقيقة مرضه إليه، وليتلطف معه، وأن يعمل على إذكاء إيمان المريض وإنزال السكينة في نفسه، وتوثيق رباطه بالله ثقة يهون بها ما سواه، فقد روي عن عبد الملك بن عمير «أن رسول الله ﷺ لما زار أم العلاء الأنصارية وهي تتوجع، قال لها: أبشري يا أم العلاء! فإن مرض المسلم يحط الله به عنه خطاياه، كما يحط عن الشجرة أوراقها في الخريف»، وفي رواية أخرى بلفظ: «فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه، كما تذهب النار خبث الذهب والفضة» (١٢).

٣- أن يؤنس الطبيب مريضه ببشاشته وطلاقة وجهه؛ فقد روي عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (١٣)، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم لا تَسَعون الناس بأموالكم، ولكن ليَسَعْهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق» (١٤).

وينبغي على الطبيب أن يهوّن عن المريض ما هو فيه من مرض، وإن رأى في مرضه ضررًا عليه تلطف في إبعاده عنه، واعدًا إياه بذلك تطييبًا لنفسه؛ فقد روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يسّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» (١٥).

٤- أن يكون عمل الطبيب مجردًا عن العوامل النفسية التي قد تؤثر في أدائه؛ فليس له أن يفرق بين المرضى بحسب الدين أو العقيدة، أو الفكر أو الجنس أو اللون أو نحو ذلك؛ فقد قال الحق سبحانه . في النهي عن اتباع الهوى فيما يقوم به المرء: ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٣٥)

٥- أن يعالج الطبيبُ العدوّ كما يعالج الصديق؛ فليس له أن يغير من طريقة علاجه مع أعدائه، وعلى الأطباء في المجتمع الإسلامي بوصفهم أعضاء في المجتمع الطبي الدولي أن يتعاونوا على الصعيد العالمي للدفاع عن الحياة ومعالجة المرضى، بحيث تؤدي هذه الغاية إلى تحقيق رسالة الطبيب في الحياة بالنسبة لجميع المرضى. قال الله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٨).

٦- أن يحافظ الطبيب على أسرار مريضه، سواء وصلت إليه عن طريق القول من المريض أو من ذويه، أو عن طريق الفحص أو التحليل، أو رآها الطبيب أو استنتجها من حالة المريض، وأن يحيطها بسياج من الكتمان، احترامًا للثقة الموضوعة فيه، بحسبان هذه الأسرار أمانة أودعها المريض أو ذووه عنده، أو أودعت عنده بمقتضى عمله، وقد أمر الله . تعالى . بحفظ الأمانات ورعايتها وعدم الخيانة فيها، فقال سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧)، وقال سبحانه في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨)، وقد اعتبر رسول الله ﷺ خيانة الأمانة إحدى خصال النفاق؛ إذ روى عنه أبوهريرة رضي الله عنه أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان» (١٦)، ولا يخلق بمسلم أن يتصف بصفة من صفات المنافقين.

٧- أن يجند الطبيب كل



علمه وخبرته في أن يجتاز المريض ما بقي له من العمر في حسن رعاية، من غير ألم ولا عذاب، وذلك بما تهيأ له من أسباب العلاج والرعاية، وأن يبذل جهده في تحقيق ذلك؛ إذ أمر الله تعالى بالوفاء بما ألزم الإنسان نفسه به بمقتضى العقود، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة:١)، ونهى عن الخيانة فيما يؤديه الإنسان من عمل، وذلك بأدائه على الوجه الذي يؤدي إلى النتيجة المرجوة من أدائه، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧).

٨- ألا يصف الطبيب دواء يقتل المريض أو يضر به، أو دواء يسقط الأجنة أو يؤدي إلى العقم من غير ضرورة إليه، أو أن يفعل بالمريض ما يضر به، لنهي الشارع عن الإضرار بالغير أو التسبب فيه.

٩- أن يستشير الطبيبُ غيرَه من الأطباء الذين لهم خبرة بالمرض الذي يعالجه، إن كان يجهل كيفية تشخيصه أو طريقة معالجته، لقول الحق سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء:٧)، وعليه أن يتنحى عن معالجة المريض، ليتركها لمن يكون أقدر عليها من الأطباء، إن كان لا يأنس من نفسه القدرة على ذلك؛ فقد روي عن زيد ابن أسلم «أن رجلاً في زمن رسول الله ﷺ أصابه جرح، فاحتقن الدم، وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظرا إليه، فزعم أن رسول الله ﷺ قال لهما: أيكما أطبُّ؟ فقالا: أوَ في الطب خير يا رسول الله؟ فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال: أنزل الدواءَ الذي أنزل الأدواء» (١٧).

١٠- ألا يُنهي الطبيب حياة مريض ميؤوس من برئه متعذب من آلامه، بل ينبغي عليه أن يخفف من آلامه بقدر الاستطاعة حتى يأتي أجله المحتوم؛ لأن إنهاء حياته قتل له بغير حق، وقد جاءت نصوص كثيرة تنهى عن ذلك، منها قول الحق سبحانه:﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: ٣٣)، وما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات! قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» (١٨).

الآداب المتعلقة بالمجتمع

وتتمثل هذه الآداب فيما يلي

١- يجب على الطبيب في المجتمع المسلم أن يكون على علم بأحكام الإسلام التي تتعلق بمهنته، وأن يلتزم بها، حتى لا يكون منه فعل أو وصف مخالف لهذه الأحكام، ومن ذلك: الأحكام المتعلقة بما تشتمل عليه الأدوية من مفردات مباحة أو محرمة، والأحكام المتعلقة بالإجهاض والتلقيح الصناعي، وتنظيم النسل، والتعقيم، ومداواة أحد الجنسين للجنس الآخر، وما يتعلق بذلك من أحكام الخلوة، والنظر إلى ما يعد عورة، ومس ذلك من المريض أو المريضة، ونحو ذلك.

٢- أن يراعي طبيعة المجتمع وما جرت عليه عادات أفراده، وذلك لتقرير ما يأخذ وما يدع من السياسات الطبية، حتى لا يكون فيما يتبعه من ذلك شذوذ، قد يضر بأفراد المجتمع الذي يمارس فيه مهنته، ولا يأتي بأفعال فيها مجافاة لما درج عليه المجتمع من عادات.

٣- ألا يقتصر دور الطبيب على مداواة المرضى، بل يجب أن يمتد ليشمل التنبيه على أساليب الوقاية من الأمراض المختلفة، وأن يهتم بمكافحة العادات التي تضر بأفراد المجتمع، كشرب المسكرات أو المخدرات، وأن يبين الأضرار التي تنشأ عن ذلك، أو عن عدم التمسك بالفضيلة والعفة أو بآداب الشرع الحنيف، لأن هذا من قبيل النصح الذي هو أحد ركائز الدين الحنيف.

٤- أن يشارك الطبيب فقهاء الشريعة في إصدار الفتاوى بالحل أو الحرمة، فيما يصل إليه التقدم العلمي في مجال الطب أو الدواء، بحيث تكون الفتوى جهدًا مشتركًا بين المسلمين من أهل التخصص في الفقه وأهل التخصص في الطب وأن يشارك بالرأي في المسائل التي يعتبر الترخص فيها بسبب المرض متوقفًا على رأي أهل الخبرة من الأطباء، وتلك التي يتوقف الحكم الشرعي فيها على قولهم، بحسبان ذلك شهادة منه فيما يتوقف الحكم الشرعي على قوله فيه؛ وقد نهى الحق - سبحانه - عن كتمان الشهادة، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

الآداب المتعلقة بزملاء العمل

يجب على الطبيب أن يعامل زملاءه بما يحب أن يعاملوه به، وأن يحافظ على علاقته الطيبة بهم، وألا يقلل من علمهم أو خبرتهم أو مهارتهم؛ فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنافسوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا» (١٩).

الهوامش

(١) أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين (عون الباري على البخاري ٢١٧/١ - ٢١٩، السراج الوهاج على مسلم ٥٤/٦).

٢- أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك والشافعي في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان وابن عبد البر في التمهيد، وسكت عنه المنذري (مسند الشافعي ٢٣٣/١، شعب الإيمان ٦٧/٢، التمهيد ٢٨٤/١، الترغيب والترهيب ٣٣٩/٢).

٣- أخرجه ابن حبان في صحيحه والطبراني في الكبير باسناد جيد كما قال المنذري، وذكره الهيثمي في موارد الظمآن (صحيح ابن حبان ٣١/٨، المعجم الكبير ٨٤/٣ ، موارد الظمآن ٢٦٧/١، الترغيب والترهيب ٣٤٠/٢).

٤- أخرجه الحاكم وصحح إسناده (المستدرك ٥٧/٢).

٥- أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجة في سننهم، وسكت عنه أبو داود والسيوطي، وقال فيه الترمذي: حسن غريب (سنن أبي داود ٣١٥/٣، سنن الترمذي ١٨١/٦، سنن ابن ماجة ٧٨٥/٢، الجامع الصغير ١٨١/٢).

٦- اخرجه الترمذي في سننه وقال: حديث غريب، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة (سنن الترمذي ٤٢/٥، الجامع الصغير ٧٩/٢).

٧- اخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وأبوداود الطيالسي في مسنده، والحاكم في المستدرك وصحح إسناده، وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالحسن (صحيح ابن خزيمة ١٣/١، صحح ابن حبان ٢٨٩/١، المستدرك ١٨٠/١، والجامع الصغير ٨٦/١).

٨- أخرجه مسلم في صحيحه ٨٠/١.

٩- أخرجه ابن حبان في صحيحه وأبوداود والنسائي في سننيهما وسكتا عنه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١٦٣/٦، سنن أبي داود ٢٧٩/٢، سنن النسائي ١٧٩/٦ . ١٨٠).

١٠- الواشمة: هى التي تقوم بغرز الإبرة في الموضع الذى يراد وشمه، ثم تضع عليه الكحل أو النؤور وهو النيلج، والمستوشمة: هى التي تطلب الوشم، والنامصة: هي التي تزيل الشعر من وجه نفسها أو غيرها، والمتنمصة: هي التي تستدعى نتف الشعر من وجهها، والمتفلجة: هي التي تبرد ما بين الأسنان والثنايا والرباعيات، من الفلج وهو الفرجة بين الثنايا والرباعيات، تفعله العجوز ومن قاربها في السن إظهارًا للصغر وحسن الأسنان (نيل الأوطار ١٩١/٦- ١٩٢)، والحديث أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين. (فتح الباري ٣٧٧/١٠، شرح النووي على مسلم ١٠٢/٤ - ١٠٣).

١١- أخرجه مسلم في صحيحه (السراج الوهاج ٢٨٩/٧).

١٢- أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وأبوداود في سننه وسكت عنه المنذري، وأخرجه الطبراني في الكبير (مسند عبد بن حميد ٤٥١/١، سنن أبي داود ١٨٤/٣، المعجم الكبير ١٤١/٢٥، الترغيب والترهيب ١٤٨/٤).

١٣- أخرجه مسلم في صحيحه ٤٤٦/٢.

١٤- أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح، وأخرجه البزار في زوائده، والبيهقي في شعب الإيمان، وأبونعيم في الحلية، وذكره السيوطى في الجامع الصغير ورمز له بالحسن (المستدرك١٢٤/١، حلية الأولياء٢٥/١٠، الجامع الصغير ١٠٣/١).

١٥- أخرجه البخاري في صحيحه (عون الباري على البخاري ١ / ٢٥١).

١٦- أخرجه الشيخان في صحيحيهما (عون الباري على البخاري ١٧١/١، شرح النووي على مسلم ٤٦/٢).

١٧- أخرجه مالك في الموطأ وابن أبي شيبة في مصنفه مرسلاً، وذكره ابن حجر في فتح الباري وسكت عنه، وذكره ابن عبدالبر في التمهيد (الموطأ / ٦٧٣، مصنف ابن أبي شيبة ٣/٨، فتح الباري ٣٨٨/٢٣، التمهيد ٢٦٣/٥).

(١٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٩٢/١.

(١٩) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٢٣/٢.

مفهوم القديم والجديد عند الإمام الشافعي

رشيد الحسن

يكاد يتفرد المذهبُ الشافعيُّ بين سائر المذاهب الفقهية في كونه قدَّمَ رأيين لبعض المسائل الفقهية، أحدُهما يسمى القديمَ والآخرُ الجديدَ، وقد ترتب على ذلك أنْ كانت الفتوى في بعض المسائل بحسب الرأي القديم، وفي أخرى على الجديد. وقبل الخوض في غمار هذا البحث، لابدَّ لي أولاً من بيان معنى مصطلحي «القول القديم، والقول الجديد» عند الشافعية، ومظانِّ وجودهما.

فقد قسَّم فقهاءُ الشافعية اجتهادات الشافعيِّ إلى قسمين: قديم وجديد، واختلفوا في تحديد المقصود بهما على قولين

القول الأول

القديمُ: ما قاله أو نَصَّ عليه الشافعيُّ ببغدادَ تصنيفًا أو إملاءً أو إفتاءً، سواء أكان قد رجع عنه وهو الغالب، أم لم يرجع عنه وهو قليل، قال النووي رحمه الله: قوله «وقال في القديم» يعني الكتاب الذي صنفه الشافعيُّ في بغداد واسمه «الحجة» (١).

والجديد: ما قالَه أو نَصَّ عليه بمصرَ تصنيفًا أو إملاءً أو إفتاءً، هذا هو المشهور، كما نَصَّ عليه أغلب شُرَّاح «المنهاج» كالدَّميريّ (ت٨٠٨هـ)، والمحَلِّي (ت٨٦٤هـ)، والخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ)، فتحديدُهم يجعل المكان هو الضابطَ لجِدَّةِ القول وقِدَمِه (٢).

القول الثاني

القديمُ: ما قاله أو نَصَّ عليه الشافعيُّ قبل دخوله مصر، والجديدُ: ما قالَه أو نَصَّ عليه بعد دخوله مصر.

وهو قولُ الشيخ ابن حجر والشمس الرملي ومن تَبِعهما من المتأخرين (٣). ويَنصُّون على أنَّ هذا التحديدَ أولى، ليشملَ ما قاله الشافعيُّ ببغداد وما نُقل عنه وهو في طريقه إلى مصر قبل دخولها، فلا اعتبارَ للمكان، ولكنَّ الاعتبارَ لزمن الدخول إلى مصر.

ومما يَرِدُ على القول الأول:

أنَّ ما نُقلَ عن الإمام في الطريق بين بغدادَ ومصرَ يحتاجُ إلى بَحْث في تحديد تأخُّره وتقدُّمه، فالمتأخرُ جديد، والمتقدِّمُ قديمَ (٤).

وهذا الرأيُ غيرُ دقيق وغيرُ منضبط، ويصعب تطبيقه على أقوال الإمام، وبسبب عدم انضباط هذا الرأي يترجح الرأيُ الثاني، والله أعلم.

فتاوى الإمام في مصر أشدُّ من فتاواه في العراق التي يغلب عليها التيسير وبنى مذهبه الجديدَ على الاحتياط وعدم القول بالمصالح المرسلة

ولم يُشر أصحابُ الرأي الثاني إلى الأقوال التي قالها الإمامُ الشافعيُّ بمكة قبل انتقاله إلى بغدادَ، وعرضه لمذهبه فيها، ويؤكد د.لمين ناجي من خلال استقراء أقوال الإمام الشافعيِّ القديمة والجديدة، ومن خلال المصادر المتوافرة حاليًا شمولَ القول القديم لكلِّ أقوال الإمام منذ بداية استقلاله بمذهبه في مكة عام ١٨٦هـ (٥).

ومما يشهد لهذا الاعتبار أيضا: كونُ الإمام الشافعيِّ ألَّف «الرسالة» وبعضَ مؤلفاته بمكة، وأنَّ مكثه ببغدادَ سنتين مدة وجيزة لا تكفي لتأليف مؤلفات وعرضها، فوجب أنْ تكونَ بعضُ مؤلفاته ألفها بمكة، مما يجعل اعتبارَ أقواله بمكة من القديم.

وعند استقراء مسائله في القديم، وُجد أنَّ بعضَها قالها بمكة قبل دخوله بغداد، بناء على روايات بعض أصحابه (٦).

فيتضح من ذلك أنَّ الفترة الزمنية للقديم تمتد من ١٨٦هـ إلى السنة التي خرج فيها إلى مصر ٢٠٠هـ .

مظانُّ وجودهما

يمثل القولَ القديم كتابُ «الحجة» الذي يرويه الحسنُ الزعفراني (ت٢٦٠هـ) أهمُّ رواة القول القديم، وهو الذي أطلقَ عليه هذا الاسمَ، والكتابُ في عِداد المفقود، بسبب عدم الاعتناء بالأقوال القديمة.

وبسبب هذا صار لا يمكن الوصولُ للقول القديم للشافعي إلا بوساطة المصادر المتقدمة، كـ«التلخيص» لابن القاص (ت٣٣٥هـ)، و«التقريب» للقفال الشاشي (ت٤٠٠هـ)، (٧) و«جمع الجوامع» لأبي سهل بن العفريس الزوزني (ت٣٦٢هـ)، و«الحاوي» للماوردي (ت٤٥٠هـ)، و«نهاية المطلب» لإمام الحرمين (ت٤٧٨هـ)، أو المصادر المتأخرة، مثل «فتح العزيز» للرافعي و«المجموع» للنووي.

ومن أجلِّ من روى القولَ القديمَ من

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

أصحاب الشافعي أربعة: أحمدُ بنُ حنبل، وأبوثور، والزعفرانيُّ، والكرابيسي.

ويمثل القولَ الجديد كتابُ «الأم» (٨) وهو عبارة عن الإملاءات التي جمعها الربيع المرادي (ت٢٧٠هـ)، وهو الذي أطلقَ عليها هذه التسمية، إشارة إلى كونه أمًّا وجامعًا لمصنفات الشافعي في الفقه التي رواها، وهو يحتوي على مجموعة كتب، منها في الفروع، ومنها في الأصول كـ«الرسالة»، ومنها في الفقه المقارن كاختلاف مالك واختلاف أبي حنيفة، ومنها في تفسير آيات الأحكام، ومنها في أحاديث الأحكام وآثارها (٩).

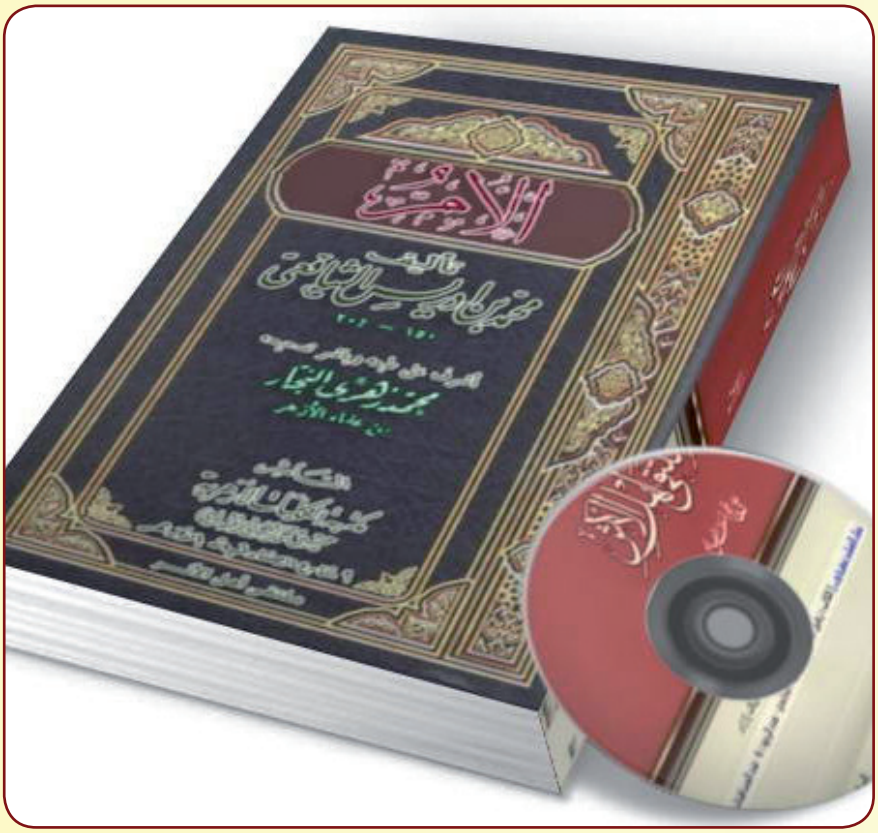
وكتاب «الأم» من المراجع المهمة لمعرفة نصوص الشافعي الجديدة، إلا أنَّ فقهاء الشافعية لم يولُوا هذا الكتابَ عناية بالشرح أو الاختصار أو التعليق، بل انصبَّ جُلُّ اهتمامهم على مختصر المُزَنيِّ، وهذه ظاهرة تستحق الدراسة. قال النووي: وصنفَ كتبَه الجديدة كلَّها بمصر (١٠)، قال الربيع: أقام الشافعي هاهنا (يعني بمصر) أربعَ سنين. فأملى ألفًا وخمسمائة ورقة، وخرَّج كتاب «الأم» في ألفي ورقة، وكتابَ السنن، وأشياء كثيرة، كلها في مدة أربع سنين (١١).

ورواة هذا المذهب كثر، من أجلِّهم: البويطيُّ، والمُزَنيُّ، والربيع المراديُّ، وحرملة، ويونسُ بنُ عبدالأعلى والثلاثة الأوَل هم الذين تصدوا لذلك وقاموا به، والباقون نُقلت عنهم أشياءُ محصورة على تفاوت بينهم (١٢).

والسؤالُ المهمُّ الآن هو: هل القولُ القديمُ المرجوعُ عنه لا يُعمل به؟ أم يُعد مذهبًا للشافعي ويُعمل به؟ وما هو موقفُ الأصحاب منه؟ وهل عدل الشافعيُّ عن كل مذهبه بدون استثناء أم لا؟ ولماذا؟

للإجابة عن هذه التساؤلات لابدَّ من طرح كلِّ فقرة على حدة، أمّا الشطرُ الأولُ من السؤال وهو: هل القولُ القديمُ المرجوعُ عنه لا يُعمل به؟

فللإجابة عن هذا السؤال لابدَّ من بيان أنَّ الأقوالَ القديمةَ لها ثلاثُ حالات



الحالة الأولى: أنْ يكونَ الشافعيُّ قد نصَّ في الجديد من قوليه على خلافها، وهذا موضعُ خلاف عند فقهاء الشافعية، عند الجمهور تُعتبر مرجوعا عنها، ولا فتوى عليها، ولا يُعملُ بها، وليست مذهب للشافعي، قال النوويُّ عن إمام الحرمين: معتقدي أنَّ الأقوالَ القديمةَ ليست من مذهب الشافعي حيث كانت، لأنه جزمَ في الجديد بخلافها، والمرجوعُ عنه ليس بمذهب للراجع (١٣).

ويرى بعضُ فقهاء الشافعية أنَّ الأقوالَ القديمة لا تُعدُّ مرجوعًا عنها، قال النوويُّ «قال بعضُ أصحابنا: إذا نصَّ المجتهدُ على خلاف قوله لا يكون رجوعًا عن الأول، بل يكونُ له قولان» (١٤).

لكنَّ النوويَّ عقّبَ على هذا الرأي فقال: وهذا غيرُ صحيح، لأنَّ القولين كنصين للشارع، وفي حالة التعارض وعدم إمكان الجمع بينهما يُعمل بالثاني، ويُترك الأول (١٥).

الحالة الثانية: ألا يَنصَّ الشافعيُّ في الجديد على خلافها ولم يتعرضْ لتلك الأقوال في الجديد من قوله وسكتَ عنها، فإنَّ الفتوى تكون عليها ويُعمل بها، وهو مذهبٌ للشافعي (١٦).

قال النوويُّ، واعلم أنَّ قولَهم: القديمُ ليس مذهبًا للشافعي، أو مرجوعًا عنه، أولا فتوى عليه، المرادُ به: قديم نُصَّ في الجديد على خلافه، أما قديمٌ لم يخالفْه في الجديد، ولم يتعرضْ لتلك المسألة في الجديد فهو مذهبُ الشافعي واعتقاده، ويُعمل به ويُفتى عليه، فإنه قاله ولم يرجع عنه (١٧).

وهذا النوعُ وقع منه مسائلُ كثيرة.

وقال أيضا: وإنما أطلقوا أنَّ القديمَ مرجوعٌ عنه، ولا عملَ عليه لكون غالبه كذلك (١٨).

الحالة الثالثة: أنْ يكونَ القديمُ عضده حديثٌ صحيحٌ لا معارضَ له، فهذا يُعدُّ أيضا مذهبًا للشافعي يُعمل به وعليه

الفتوى.

قال الشافعي- رحمه الله- فيما رواه الرازيُّ بسنده عن حرملة بن يحيى: كلُّ ما قلت، وكان عن النبي ﷺ خلافُ قولي ممَّا يصح، فحديثُ النبيِّ ﷺ أولى،لا تقلدوني (١٩).

قال النوويُّ رحمه الله: إنَّ مذهبَ الشافعيِّ كذا وهو ما نصَّ عليه في الجديد، هذا كلُّه في قديم لم يعضدْه حديث صحيح، أما قديمٌ عضده نصٌّ حديث صحيح لا معارضَ له فهو مذهبُ الشافعيِّ رحمه الله ومنسوبٌ إليه (٢٠).

وهذا الأمر في الحقيقة هو الذي جعل بعضَ الشافعية إذا رأى حديثًا صحيحًا يخالف قولَ الشافعي، قال: ومذهبُ الشافعي كذا على موجب الحديث.

ولكن لابدَّ من القول: أنَّ هذا الأمرَ ليس في مقدور كلِّ فقيه، فإنه قد يصحُّ الحديثُ على خلاف قول الإمام الشافعيِّ، لكنَّ الحديثَ هذا بلغه بعينه وكان له فيه تأويلٌ معين، أو عارضه عنده حديثٌ أقوى منه سندًا أو أصرحُ منه دلالة، أو يكونُ له مقيدًا أو مخصصًا، أو يكونُ معارضًا لقواعد الشريعة المقطوع بها، أو غير ذلك من الأمور، فيترك العمل بهذا الحديث.

ولذا لا يجوز لأحد وَجد حديثًا ما على خلاف قول الشافعي أن يقول: هذا قولُ الشافعي، إلا بعد البحث التام والاستقصاء في كتب المذهب، هل بلغه هذا الحديثُ أم لا؟ وإذا كان بلغه فما الأسبابُ التي جعلته يتركُ العمل به؟ بعده يمكنه أنْ يَنسب للشافعيِّ ما يدلُّ على هذا الحديث.

وبالنسبة للأقوال القديمة فهناك مسائلُ معدودةٌ استثناها فقهاءُ الشافعية المجتهدون في المذهب يُفتى فيها على القديم من قولي الإمام، وذلك لغلبة ظنهم على أنَّ الشافعيَّ رحمه الله لم يقفْ على هذا الحديث العاضد للقديم، أو لم يعلم مدى صحته (٢١).

وعددُ هذه المسائل يتراوح بين ثلاثة إلى عشرين مسألة، أو أكثرَ، على خلاف بين الفقهاء في تحديدها.

قال النوويُّ رحمه الله: كلُّ مسألة فيها قولان للشافعيِّ رحمه الله قديم وجديد، فالجديدُ هو الصحيح وعليه العمل،لأنَّ القديم مرجوعٌ عنه، واستثنى جماعة من أصحابنا نحوَ عشرين مسألة أو أكثر، وقالوا: يُفتى بها بالقديم (٢٢).

والعلامة الشيخ محمد أمين الكردي الشافعي يقول: ولو تتبعتَ كلامَ أئمَّتنا لزادتْ المسائلُ على ثلاثينَ بكثير،لأنَّ هاتين المسألتين اللتين زدتُهما من متعلَّقات النجاسة فقط... » ثم قال: «وإذا كانت هذه المسائلُ بالنسبة للنجاسة فقط فما بالُكَ لو تتبعتَ أبوابَ الفقه» (٢٣).

والسؤال المطروح هو: هل هذه المسائلُ المستثناة منسوبة للشافعي رحمه الله أم لا؟

أجاب النووي رحمه الله عن هذا السؤال فقال: «ثمَّ إنَّ أصحابنا أفتوْا بهذه المسائل من القديم، مع أنَّ الشافعيَّ رجع عنه، فلم يبقَ مذهبا له» ثم قال: «فإذا علمت حال القديم، ووجدنا أصحابنا أفتوْا بهذه المسائل على القديم، حملنا ذلك على أنه أداهم اجتهادهم إلى القديم لظهور دليل عليه، وهم مجتهدون فأفتوا به، ولا يلزم من ذلك نسبتُه إلى الشافعي، ولم يقلْ أحدٌ من المنتقدين في هذه المسائل إنها مذهب الشافعي، أو أنه استثناها» (٢٤).

وعلى هذا فمن ليس أهلا للتخريج والاجتهاد لزمه اتباعُ الجديد، ومَن كان أهلًا لزمه اتباع ما اقتضاه الدليل في العمل والفتوى، مبينًا أنَّ هذا رأيُه، وأنَّ مذهبَ الشافعي كذا.

ويبقى السؤال الكبير وهو: هل عدل الشافعي عن كل مذهبه بدون استثناء عندما قدم مصر أم لا؟ ولماذا؟

عند التدقيق يظهرُ في الحقيقة أنَّ مذهبَ الشافعيِّ واحدٌ، وأنَّ القولَ الجديدَ امتدادٌ للقول القديم وتطويرٌ له، والكتبُ الجديدةُ هي تمحيصٌ وزيادةٌ للكُتُب القديمة، فكتابُ «الحجة» هو نفسُهُ كتابُ «الأم»، ولم يسمِّهما الشافعيُّ بهذين الاسمين بل سمَّاهما مَنْ رَواهما، والشافعيُّ استنسخَ كتابه القديمَ وأضافَ إليه في الجديد وعدَّلَ وحَذَفَ، ذلك لأنَّ الشافعيَّ طالما كان يفحَصُ آراءَهُ كما يفحَصُ آراءَ غيره، ثم يكرِّرُ وزنَها على ما يستخرجُ من أصولٍ فيُبقي أو يُعَدِّلُ، وهذا شأنُ الباحث الذي يطلبُ الحقَّ لا يبغي سواه، والمجدِّدَ الحيّ في تفكيره واجتهاده.

يُؤكِّدُ هذا البيهقيُّ (ت٤٥٨هـ) في «مناقب الشافعي» حيث يقول: ثم أعادَ تصنيفَ هذه الكتب في الجديد غيرَ كُتُب معدودة منها: كتابُ الصيام، وكتابُ الصَّداق، وكتاب الحدود، وكتابَ الرَّهن الصغير، وكتابُ الإجارة ، وكتابُ الجنائز، فكانَ يأمرُ بقراءَة هذه الكتب عليه في الجديد، ثم يأمرُ بتخريق ما تغيَّرَ اجتهادُهُ فيها، وربما يَدَعُهُ اكتفاءً بما ذَكَرَ في مَوضعٍ آخرَ (٢٥).

فالإمامُ لم يقطَعْ نظرَهُ عن كتبه القديمة بل من خلالها أبقى وعَدَّلَ وحَذَفَ، فأصلُ المذهَب واحدٌ (٢٦).

وكذلك يدلُّ على ما قلت قولُ ابن النَّديم (ت٤٣٨هـ) في «الفهرست» عند ذكره لكتاب «المبسوط» الذي رواه الزَّعْفَرَانيُّ: وروى المبسوطَ عن الشافعيِّ على ترتيب ما رواه الربيع، وفيه خُلفٌ يسيرٌ ، وليسَ يرغبُ الناس فيه ولا يعملونَ عليه، وإنما يعملُ الفقهاءُ على ما رواه الربيع، فيدلُّ على أن أصلَ الكُتُب واحدٌ وهي بنفس الترتيب (٢٧).

وقد أكد هذا الأمرَ د.لمين ناجي في رسالته القيمة «القديم والجديد في فقه الشافعي»، وكان ممّا قال: الأصولُ التي بنى عليها الشافعيُّ فقهه القديمَ هي نفسُها التي اعتمد عليها في الجديد، بل الجديدُ إنْ هو إلا امتدادٌ للفقه القديم، يدخل في إطاره ويتمشى مع أصوله (٢٨).

وقال أيضا: وليس لظاهرة القديم والجديد ميزة خاصة تفصلها عن الظاهرة العامة في فقه الشافعي، ولو قدر له أن

يتحول إلى غير مصر لرجع عن أقوال كثيرة أيضًا (٢٩).

ويقول الشيخ محمد بن عمر الكاف في كتابه «المعتمد عند الشافعية»: «توهمُ عباراتُ كثير ممن أرَّخُوا للشافعيِّ أنَّ القولَ الجديدَ والقولَ القديمَ مذهبانِ مُستقلان، أو أنَّ الشافعيَّ أملى كتبًا جديدةً مستقلةً عن الكتب القديمة، وقد استكثرَ بعض الكُتَّاب أن تكونَ السنواتُ الأربع التي أقامها الشافعي بمصرَ كافيةً لتأسيس مذهب جديد وتصنيف كتب جديدة، ولكن عندَ التدقيق يظهرُ أن مذهبَ الشافعيِّ في الحقيقة واحدٌ، وأن القولَ الجديدَ امتدادٌ للقولِ القديم وتطويرٌ له». (٣٠).

وليس الشافعيُّ في هذا بدعًا من المجتهدين، فالأئمة الثلاثة أبوحنيفة ومالكُ وأحمدُ بنُ حنبلَ رحمهم الله جميعا، وغيرهم كثيرًا ما رأوْا رأيًا فثبت لديهم غيرُه بالأثر أو النظر فرجعوا عن الأول، وكثيرًا ما يَنقل رواة المذهب روايتين أو أكثرَ في مسألة واحدة عن إمامهم، فيَظنُّ من لا علم له أنَّ تعددَ المذاهب يولِّد النقصَ فيه، إلا أنَّ ذلك يزيدُ من علوِّ منزلته ورفع مرتبته، إذ لا ينشأ ذلك إلا عن شدة ورع واحتياط في دين الله، ونبذ للتعصب للرأي.

لماذا رجع الإمام الشافعي عن أقواله القديمة؟

فمع أنَّ المشهورَ بين عموم المثقفين، وكثير من المتخصصين أنَّ الشافعيَّ رجع عن مذهبه القديم إلى مذهبه الجديد لما قدم مصرَ بسبب ما رآه بها من اختلاف العادات والأعراف، إلا أنه رأيٌ بعيدٌ عن الواقع بالفعل.

ولو كان الأمرُ كذلك لبقي أصحابُ الشافعي بالعراق على مذهبه القديم لكونه أنسبَ لبلدهم!

هذا والمتتبعُ للمسائل التي خالف فيها القديمَ الجديدُ يجد أنَّ البحثَ فيها متعلقٌ بالترجيح من حيث الدليل.

كما أنَّ المسائلَ التي رأى فيها فقهاءُ الشافعية أنَّ القديمَ أرجحُ فيها من الجديد، إنما رأوْا ذلك لرجحان دليل القديم، لا

لو كان الأمرُ مجردَ فتاوى تناسبُ كلَّ بلد لما أمر - رحمه الله - بشطب كتبه التي ألَّفها في العراق وحرَّم على الناس روايتها

لكونهم عراقيين.

سئل الإمام أحمدُ رحمه الله: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أحبُّ إليك أو التي بمصر؟

قال: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمْها، ثم رجع إلى مصر، فأحكم تلك (٣١).

ويقول عمرو بنُ سواد السرحي: قال لي الشافعيُّ: ما لك لا تكتب كتبي؟ فسكتُّ، فقال له رجل: إنه يزعم أنك كتبت ثم غيرت، ثم كتبت ثم غيرت، فقال الشافعيّ: الآن حَميَ الوطيس.

يريد رحمه الله: أنه قد تعيَّن شرحُ جلية الأمر، وتحتَّمَ الكشفُ عن حقيقة السر، وذلك أنَّ المجتهدَ إذا ما صحَّ الدليلُ لديه وجبَ عليه العملُ بموجبه، فإذا تبيَّنَ له بعد ذلك دليلٌ أقوى منه يدلُّ على خلاف حكمه الأول، وجب عليه الرجوعُ عن الحكم الأول إلى الحكم الثاني، فالتغييرُ لم ينشأ عن شك واضطراب، بل عن بحث واجتهاد وتحرٍّ للصواب.

وللوقوف على أسباب عدول الإمام الشافعي عن مذهبه القديم لابدَّ أولًا من معرفة الأمور التالية:

- امتازت حياةُ الإمام الشافعي بكثرة الترحال في طلب العلم، حيث رأى في كلِّ بلد ما هو مختلفٌ عن الآخر من كل النواحي، في مكة والمدينة وبغداد واليمن ومصر، ولئن كانت رحلة الشافعي إلى العراق أخصبَ رحلاته وأنفعَه.. فإنَّ رحلته إلى مصر لا تقلُّ عنها إنْ لم تكن أجدرَ وأغزر وأبقى، ولكنَّ الفضلَ للمتقدم.

- توفَّر للشافعيِّ ما لم يتوفرْ لغيره من أئمة المذاهب، فقد دوَّن أصولَه وبيَّن القواعدَ والضوابطَ التي يُرجع إليها في استنباط الأحكام.

- اطِّلاع الشافعي- رحمه الله- على كثير من الأحاديث والآثار التي لم يطَّلع عليها من قبل، وهذا السببُ من أقوى الأسباب.. وذلك أنَّ اطلاع العالم على نصوص أخرى يورثُ معارضة أو ترجيحًا لأحد الأقوال أو نسخًا أو تخصيصًا أو تقييدًا أو غيرَ ذلك.

- تقدم السنِّ مع زيادة الخبرة والنضج العلمي والفقهيِّ، الذي نتج عن رحلاته ولقاءاته بكثير من العلماء وتنقله في البلاد.

- اختلاف بيئات المجتهدين والأحداث التي تنزلُ بهم وطرق علاجها.

- النضوج الفكريّ الناشئ من طول النظر، وكثرة البحث ومداومة الاطلاع، ولذلك يقول الشيخ محمد أبوزهرة رحمه الله: وإن شئت أنْ تقول إنَّ ذلك الدورَ هو دورُ التمحيص، فقل؛ فقد درَّس فيه آراءه كلها، درَّس فيه أصوله ناقدًا لها فاحصًا كاشفًا (٣٢).

-الشافعيُّ كان دائمَ الفحص في الأدلة ينقدها ويُمحِّصها، ودائمَ المناظرة مع تلامذته ومع غيرهم، ولذلك فهو يقول القول ثم يرجع عنه، وقد يرجع إلى القول الأول مرة أخرى إذا ما عنَّ له مبررٌ للرجوع، وقد يقول قولين أو أقوالًا، ولا يتبين له وجهُ الترجيح فيترك المسألة هكذا.

- تنوع المناهج العلمية لشيوخه الذين أخذ عنهم، فمن مسلم الزنجيِّ في مكة، إلى الإمام مالك في المدينة، إلى محمد بن الحسن في العراق، وكلٌّ فقيه من هؤلاء له فكرُه ومشربُه الخاص.

- تغيُّر بعض الآراء الأصولية، وقد أشار بعضُ الأصوليين من الشافعية إلى بعض الأقوال التي اختلف فيها رأيُ الشافعي من القديم إلى الجديد، كحجية قول الصحابي وحجية المرسل، كما أنه يميل كثيرًا في الجديد إلى الأخذ بالاحتياط والتمسك بظواهر النصوص.

- ثمَّ إنَّ الشافعيَّ لا يقولُ بأصل سد الذرائع، وهو أصلٌ مرتبطٌ بمراعاة مقاصد

الناس، واختلاف أحوالهم وأزمانهم وأمكنتهم، ولذلك فهو يُبيح بيع العِينة مثلا، لانعقاد البيع في هذه الصورة صحيحا.

ولبيان جليِّة المسألة أكثرَ أقول: من المعلوم أنه ما عظُم في نفس الشافعيِّ أحدٌ من شيوخه كما عظُم الإمامُ مالك، وبعده سفيانُ بنُ عيينة، وكان يقول: ما أحدٌ أمنَّ عليَّ من مالك، وعنه أخذتُ العلم (٣٣).

ويقال: إنَّ القديمَ ما كان الشافعيُّ متبعًا فيه مذهبَ مالك وهو ما ردَّه الإمامُ النوويُّ رحمه الله (٣٤).

ولاشكَّ أنَّ هذا الكلامَ مبالغٌ فيه كثيرًا، فالشافعيُّ في بغداد كان مجتهدًا مطلقًا،لا يتقيدُ بقول أحد، لكنه لم يصرحْ بمخالفة مالك.

ولكنْ حدثَ ما اضطرَّ الشافعيَّ إلى أنْ يتجه لآراء شيخه بالنقد والتمحيص، ذلك أنه بلغه أنَّ مالكًا تُقدَّس آثارُه وثيابُه في بعض البلاد الإسلامية، وأنَّ من المسلمين ناسًا يُتحدثُ إليهم بحديث رسول الله ﷺ فيعارضون الحديث بقول مالك! عندئذ ثارت نفسُ الشافعيِّ؛ لأنه يرى أنَّ الناسَ تعدَّوْا بمالك منزلته، وأنهم مُقدِمون على أمر خطير، إذ يعارضون بأحاديث الرسول أقوالَ ناس يُصيبون ويُخطئون، وما كان لأحد مع الحديث رأي؛ لذلك تقدمَ الشافعيُّ- الذي لقَّبه العلماءُ في عصره بناصر الحديث- لنصرة الحديث، فنقد آراء مالك، وبيَّن الحقَّ منها؛ ليعلمَ الناسَ أنَّ مالكًا بشرٌ يخطئ ويصيب، وأنه لا رأيَ له مع الحديث، وألَّف في ذلك كتابًا سماه «خلاف مالك»، ولكنّه تردَّد في إعلانه وفاءً لمالك شيخه وأستاذه.ولم ينقد الشافعيُّ آراءَ مالك فقط، بل نقد من قبلُ آراءَ العراقيين.. أبي حنيفة وأصحابه وغيرهم من فقهاء العراق، فالشافعيُّ لما قدم مصرَ ورأى من أتباع مالك أنه لا يقنعهم إلا قولُه، وإن وهنت في بعض قوله الحجةُ، صرَّح بمخالفته، وردَّ على المالكية، يقولُ الشافعي رحمه الله: «قدمتُ مصرَ ولا أعرفُ أنَّ مالكًا يُخالف من أحاديثه إلا ستة عشر حديثا، فنظرت فإذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع، ويقول بالفرع ويدع الأصل» (٣٥).

ثمَّ إنَّ الربيعَ قال: سألني الشافعيُّ عن أهل مصر- أي قبل أن يدخل مصر- فقلت هم فرقتان، فرقة مالت إلى قول مالك وناضلتْ عليه، وفرقة مالت إلى أبي حنيفة وناضلتْ عليه، فقال الشافعيُّ: أرجو أن أقدُم مصرَ إن شاء الله، فآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعًا.

وما يدري إلا اللهُ ماذا يكون لو أنَّ الله كتب للشافعيِّ عمرًا أطولَ من أربع سنوات في مصر؟ إذ الشافعي - رحمه الله- دخل مصر سنة ١٩٩ هـ، وقيل سنة٢٠٠ هـ، وتوفي سنة٢٠٤ هـ، قال النووي رحمه الله: ولعله قدم آخر سنة ١٩٩ هـ، جمعا بين الروايتين (٣٦).

وأما سبب اختياره أرضَ الكنانة مصر، فقد قيل فيه عدةُ أقوال

- منهم من قال:إنَّ السببَ هو مصاحبته للوالي العباسي العباس بن عبدالله والي مصر.

- ومنهم من قال:إنَّ السببَ سوءُ الأوضاع الاقتصادية في أيام خلافة المأمون، من غلبة العنصر الفارسي على العنصر العربي، ودنوِّ المعتزلة والمتكلمين من الخليفة، الذي كان يحمل فكرهم.

- ومنهم من قال:إنَّ السببَ هو البحثُ عن تلاميذ أكفاء، ليحملوا عنه علمه.

إذن الإمام الشافعيُّ إنما تراجع عن أقواله القديمة لأسباب مقنعة، وليس كما قيل لأنه رأى في مصر عرفًا وحضارة، إذ ليست مسافة العادات، والناس، والمكان، والزمان كبيرة بين مصر والعراق بحيث يؤدي هذا إلى التراجع الكبير عن مسائل القديم. ثم إنَّ الشافعية والذين هم أدرى بإمامهم ومذهبه لم يذكروا هذا السبب وهو تغيرُ الأعراف، والنوويُّ في مقدمته الطويلة التي قدَّم بها شرحه على «المهذب» للشيرازي المسمى بـ «المجموع» تعرضَ للمسائل التي فيها قديم وجديد ولم يُشرْ إلى هذا الأمر.. فالذي يظهر أنَّ الإمامَ غيّر آراءه واجتهاداته لما ترجَّح لديه من ضعفها وصوابية آرائه الجديدة لا لشيء آخر.

وإنما يرجع سببُ الاختلاف إلى إحكام مذهبه وضبطه بالأدلة الشرعية كما قال تلميذه الإمام أحمدُ بنُ حنبل: عليك بالكتب التي وضعها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمْها، ثم رجع إلى مصر فأحكم ذلك.

فهذا تلميذُه وأعرف الناس به أرجعَ سببَ تغير مذهب إمامه إلى الإحكام والضبط، ولو كان للبيئة والمجتمع سبب في ذلك لذكره»

وقد أكّد هذا الأمرَ د. لمين ناجي في رسالته «القديم والجديد في فقه الشافعي» قال: ولقد وُجد من المحدَثين من ادعى أنَّ من الأسباب الرئيسة في تغير بعض آراء الشافعي اختلاف البيئة المصرية عن البيئة العراقية والحجازية! ومن الذين رأيتهم روَّجوا لهذه المقولة.. أحمد أمين وعبدالرحمن الشرقاوي.. ثم ردَّ عليهما(٣٧).

ثم قال بعد كلام طويل: وهذه الأمثلة- وغيرُها في كتاب الأم كثير- توضح بجلاء هذه الظاهرة في فقه الشافعي، وهي كثرة الأقوال في المسألة الواحدة. وفي إطار هذه الظاهرة نضع الآراء التي رجع عنها الشافعيُّ عندما قدم مصر، فهو لو بقيَ في العراق مثلا، لكان من الممكن بل من المرجَّح جدًا أنْ يُغيرَ الكثيرَ من آرائه إذا عنَّ له ما يقتضي ذلك.

وأرى أنَّ الوسيلة العملية للتحقق من هذه المقالة هو دراسة المسائل التي فيها قديم وجديد، يقول صاحب كتاب «القديم والجديد في فقه الشافعي»: ولقد جمعتُ هذه المسائل في دراسة سابقة، وأحصيتها، ثم درست هذه المسائل واحدة واحدة، فما وجدت في أي منها أنَّ السببَ في انتقال الشافعي من قول قديم إلى آخرَ جديد هو ما وجد عليه أهلَ مصر من عادة كذا أو عرف كذا. ولا وجدتُ الشافعية ذكروا ذلك (٣٨).

ويقول الشيخ علي عبدالقادر السقاف: لم يثبت أنه كان للإمام الشافعيّ- رحمه الله- فتاوى تناسبُ أهلَ العراق وأخرى تناسب أهلَ مصر...، إلى أنْ قال: وهذا المذهبُ الجديد قيل إنه تشكَّل قبيل مغادرته العراق إلى مكة، وقيل قبل مغادرته مكة، لكنْ من المقطوع به أنه كتبه وأصَّله في مصر، فهو إذن لا علاقة له بكونه في مصر أو في العراق.

ومما يدلُّ على ذلك:

- أنه لو كان الأمرُ مجردَ فتاوى تناسبُ كلَّ بلد لما أمر - رحمه الله- بشطب كتبه التي ألَّفها في العراق وحرَّم على الناس روايتها، فقد كان يقول: ليس في حلٍّ من روى عني القديم (٣٩). بل لجعل لكل بلد فتاواه التي تناسبه.

- ولو كان الأمر كما يزعم هؤلاء لأفتى أصحابه بالعراق بأقواله القديمة والواقع خلاف ذلك.

- ثم إنَّ أئمة المذهب الشافعيِّ صرَّحوا بأنه لا يجوزُ تقليدُ الشافعيِّ في مذهبه القديم ولو كان المقلِّد من أهل العراق، فكيف يزعم هؤلاء أنَّ السبب اختلافُ البيئة واختلافُ المكان.

والعجيب في الأمر أنَّ الذين يزعمون أنه غيَّر مذهبه لتغيُّر عوائد الناس وطبائعهم إنما يريدون بهذا الزعم إصدارَ فتاوى تيسِّر على الناس ولو خالفت الدليل زاعمين أنَّ الإمامَ الشافعيَّ أفتى بفتاوى تناسب أهلَ مصرَ تيسيرًا عليهم، وجهلَ أولئك أنَّ فتاوى الإمام حسب أصوله في مصر أشدُّ من فتاواه في العراق، ومذهبَه في العراق أقربُ إلى التيسير، وأنه بنى مذهبه الجديدَ على الاحتياط، وعدم القول بالمصالح المرسلة التي يدندن حولها القوم، ولا عبرة بالعرف عنده بل العبرة بالنصِّ والالتزام بظاهر النصوص.

ومن أمثلة الفتاوى التي أفتى بها في مصر وكان رأيُه فيها أشدَّ من رأيه في العراق استعمالُ أواني الذهب والفضة، ففي القديم: يُكره كراهة تنزيه، وفي الجديد: يكره كراهة تحريم، ومنها ترك الفاتحة نسيانًا، في القديم: تسقط عنه القراءة بالنسيان، وفي الجديد: لا تسقط.

هذا ومن الباحثين مَن أرجعَ السببَ في تراجع الشافعي عن أقواله القديمة إلى اطلاعه على فقه الليثِ بن سعد (ت١٧٥هـ) من خلال تلاميذه هناك، وإفادته من عدد من كبار تلاميذ شيخه الإمام مالكٍ مثل أشهبِ بن عبدالعزيز وغيره.

وهو في الحقيقة سبب ضعيف، وذلك لعدم اهتمام الشافعيِّ نفسه بذكر الليث بن سعد في مصنفاته، ولا تلاميذه من بعده، ولا يَبعد أنْ يكون الشافعيُّ قد أخذ بعضَ المسائل من فقه الليث بن سعد.. فقد كان الشافعيُّ يرفع من شأن الليث وفقهه، وكان يتأسف لعدم لقياه والأخذ عنه، قال: ما اشتدَّ عليَّ فوتُ أحد من العلماء مثل فوت ابن أبي ذئب، والليث بن سعد.

الهوامش

١- تحرير ألفاظ التنبيه أو لغة الفقه، للنووي، عبدالغني الدقرط ا، ١٩٨٨م، دار العلم، دمشق، بيروت ص٣٢، فرائدالفوائد في اختلاف القوالين لمجتهد واحد، شمس الدين محمد السلمي الشهير بالمناوي، تحقيق: أبي عبدالله محمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٥، ١ ص ٥٦، الشربيني مغني المحتاج. (١٣/١) المجموع (٦٦/١) ومابعدها، نهاية المحتاج (٤٥/١)، حاشية عميرة (١٥/١)، (حاشية قليوبي) (١٥/١).

٢- المجموع، النووي، ت: محمود مطرجي، ط الأولى:١٩٩٦، دار الفكر، بيروت، (٦٦/١) وما بعدها، الرملي، النهاية، (٥/١)، مغني المحتاج (١٠٩-١٠٨/١)، نهاية المحتاج (٤٥/١)، حاشية عميرة (١٥/١)، حاشية قليوبي (١٥/١).

٣- تحفة المحتاج، ابن حجر، (٥٩/١)، نهاية المحتاج، الرملي بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م ٥٠/١، سلم المتعلم المحتاج إلى معرفة رموز المنهاج، السيد أحمد ميقري شميلة الأهدل، «المطبوع مع شرح الدميري للمنهاج»، (دار المنهاج) (١١٢/١)، الفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من متأخري الشافعية محمد أمين الكردي، مصر، الباب الحلبي، ص ٢٤٣.

٤- مغني المحتاج ، الشربيني، (١٣/١).

٥- القديم والجديد في فقه الشافعي، د. لمين الناجي، دار ابن القيم، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ) (٢٢٤/٢).

٦-القديم والجديد في فقه الشافعي (٢٤٩/٢).

٧- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي ت: د.محمد الطناحي، عبدالفتاح محمد الحلو، ط ٢، ١٩٩٢م، دار الهجرة، جيزة، (٤٧٢/٣).

٨-طبع قديما عام ١٣٨١هـ ببولاق بتصحيح الشيخ محمد زهري النجار، وأعيد طبعه في دار المعرفة ببيروت في ثمانية أجزاء، وطبع في دار قتيبة ببيروت عام ١٤١٧هـ بتحقيق د. أحمد بدرالدين حسون باسم «موسوعة الإمام الشافعي»، وطبع في دار الكتب العلمية بتغليف وتخريج الشيخ محمود مطرجي، وطبع بتحقيق د. رفعت فوزي عبدالمطلب بدار الوفاء، وهي أفضل وأتقن طبعات الأم، ومما يجدر التنبيه عليه أن في بعض طبعات الأم أضيفت كتب أخرى كمختصر المزني ومسند الشافعي الذي جمعه أبوبكر الأصم.

٩- الأم ، الشافعي، تحقيق: د.رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء، مصر، ط ١، ١٤٢٢، (١/١٦).

١٠- مقدمة المجموع. ج١/ص ١٦.

١١- مناقب الشافعي، ج ٢، البيهقي ص ٢٩١.

١٢- مغني المحتاج، ج١، ص ١٠٨.

١٣- المجموع، ج١، ص ١٠٣.

١٤- المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣.

١٥- المرجع السابق، ج ١، ص١٠٣.

١٦- العزيز شرح الوجيز، الرافعي، ت: علي معوض، عادل عبدالموجود، ط١، ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، المقدمة، ص ١٠١.

١٧ - المجموع ج١، ص ١٠٣.

١٨- المرجع السابق، ج١، ص ١٠٣.

١٩- آداب الشافعي ومناقبه، فخر الدي الرازي، أحمد حجازي السقا، ط ١، ١٩٨٦م، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ص ٦٧-٦٨، وأورده ابن كثير أيضًا في مناقب الشافعي، ص ١٨٠.

٢٠- المجموع، المقدمة، ص ١٠٤.

٢١-المرجع السابق، ج١، ص ٩٩.

٢٢- المرجع السابق، ج ١ ص ١٠٢.

٢٣- الفوائد المدنية، الكردي، ص ٢٥٥.

٢٤- المجموع، ج١، ص ١٠٣.

٢٥- مناقب الشافعي، البيهقي، (٢٥٥/١).

٢٦- الشافعي- حياته وعصره- آراؤه وفقه، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م، ص ١٦٠، الإمام الشافعي في مذهبيه القديم والجديد، د.أحمد نحراوي عبدالسلام الاندونيسي، ط١، ١٩٨٨، مصر ص ٢١٨.

٢٧- الفهرست، ابن النديم، دارالمعرفة، بيروت: ١٩٧٨م (٢٩٧/١).

٢٨- القديم والجديد في فقه الشافعي (٣٤٦/١-٣٤٧).

٢٩- المرجع السابق (٤٠٩/١).

٣٠- المعتمد عند الشافعية (دراسة نظرية تطبيقية)، محمد بن عمر الكاف، دراسة قيمة أعدت لنيل درجة الماجستير.

٣١- مناقب الإمام الشافعي، للبيهقي، (٢٦٣/١)، مناقب الشافعي، لابن أبي حاتم، مطبعة السعادة، ١٩٥٣م، ص ٦٠.

٣٢- الشافعي- حياته وعصره- آراؤه وفقهه، محمد أبوزهرة.

٣٣- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض بن موسى بن عياض، ت: محمد بن تاويت الطنجي، الرباط، ١٩٦٥م، ص ٣٨٥.

٣٤- مقدمة تحقيق كتاب: أسنى المطالب شرح روض الطالب، زكريا الأنصاري ت:محمد محمد تامر ط ١، ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩-١٠.

٣٥- توالي التأسيس لمعالي محمد بن ادريس، ابن حجر، ت: أبوالفداء عبدالله القاضي، ط١، ١٩٨٦م، ص ٧٦.

٣٦-تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ادارة الطباعة المنيرية، مصر، ج ١، ص٤٨.

٣٧- القديم والجديد في فقه الشافعي د. لمين ناجي ٣٤٦/١-٣٤٧.

٣٨-القديم والجديد في فقه الشافعي د. لمين، مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، ص ٢٦٩ -٢٧٠.

٣٩- البحر المحيط للزركشي، ت: عبدالقادر عبدالله العاني، (٥٨٤/٤).

سلبيات فصل العلوم من أصلها القرآني

د. أحمد بن أحمد شرشال

إن علوم الشريعة ومباحثها كلها، إذا فصلت من أصلها وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم اقتصر عليها كمقررات دراسية لا تجد فيها ما تجده من الطراوة والحلاوة والجمال عندما تأخذها، وهي موصولة بأصلها القرآني، وإن بقي شيء منها، فإنك تجد فيه جفافًا وخفوتًا وهزالًا، ولا تجد تلك الحيوية والقوة والنضارة عندما تأخذ الأحكام والعلوم من أصلها القرآني، لأنها - والحال هذه- موصولة بما يغذيها، فسترى فيها قوة وجمالًا وروعة وحيوية، وستبعث في صاحبها قوة العمل بما علم، هذا ما علمته بالتجربة التي لا تخطئ.

علوم الشريعة كلها أصولها وفروعها ومباحثها كلها، تأبى الانفصال والاستقلال، إذ لا تبقى لها تلك الطراوة والجمال إذا بترت من أصلها القرآني، ثم اعتمد عليها كمقررات دراسية كما هو الحال في الجامعات، وقد يدخل فيها ما ليس منها، ويخرج منها ما هو منها، لأنها فقدت الحماية والحفظ، وقد تموت كالغصن إذا بان من الشجرة، فغذاؤها لا يكون إلا إذا كانت موصولة بأصلها وتؤخذ غضة طرية، ودليلي على هذا ما يلي:

أولًا: إن أول ما يفقده الطالب لعلوم الشريعة كلها إذا كانت منفصلة عن الأصل القرآني إعجاز القرآن ووجوهه المتعددة، فإعجاز القرآن إذا لم تأخذه من أصله لا تجده أبدًا بحال من الأحوال، فعلى الطالب أن يجعل القرآن الكريم مصدر علومه ومعارفه، ويربط جميع المقررات به، لأن الوقوف على مواطن الإعجاز في القرآن الكريم أمر لا يدرك إلا وهو في القرآن، ولا يمكن تحديده، ولا إقامة الأدلة المنطقية عليه، ولكنه يدرك بالتأمل والتدبر والذوق اللغوي الرفيع، ولا يمكن نقله إلى الآخرين.

إن الذي يعيش مع القرآن تأملًا وتدبرًا واستنباطًا يدرك إعجاز القرآن بقدر ما عنده من علوم اللغة من معينها الصافي الذي لم تكدره الدلاء، لأن وصف العلماء لوجوه الإعجاز قاصر جدًا، ولو وصفوه وحددوه بالحد المطابق للمحدود لما كان معجزًا.

وقد صرح بالعجز د.محمد عبدالله دراز، وهو يحاول أن ينقل ما أدركه ويترجم ما أحسه فقال: «ولقد وردت مناهل القول وتذوقت طعومها فما وجدت كالقرآن أعذب موردًا، والآن آمنت أنه نسيج وحده، وأنه يعلو وما يعلى، وأنه يحطم ما تحته، غير أنني- وقد أدركت من قوة الأسلوب القرآني وحلاوته ما أدركت- لم يزل الذي أحس به من ذلك معنى يتجمجم في الصدر لا أحسن تفسيره ولا أملك تعليله» (١).

وقد قرر أبوسليمان الخطابي من قبله عجز العلماء عن إبراز تفاصيل وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فقال: «ذهب الأكثرون من علماء النظر إلى أن وجوه الإعجاز من جهة البلاغة، لكن صعب عليهم تفصيلها، وصعوا فيه إلى حكم الذوق» (٢).

وقال العلامة ابن خلدون: «الإعجاز تقصر الأفهام عن إدراكه، وإنما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه» (٣).

وتحدث الإمام السكاكي عن إعجاز القرآن، وهو لا يرى إدراكه بالوصف وإنما بالذوق وطول الممارسة لعلوم البلاغة فقال: «واعلم ان شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها» (٤).

وإذا كان الأمر على ما قرره هؤلاء العلماء، فان إعجاز القرآن أول ما تفقده عندما تتفقه في غير القرآن الكريم، ولو كانت هذه العلوم من علوم الدين، فإن إعجاز القرآن يدرك بالوجدان ولا يترجم بالاقلام ولا تحيط به السطور، ومن ثم كان التفقه في القرآن وحده هو السبيل الوحيد الذي يلج منه الدارس والمتعلم إلى استشعار هذا الإعجاز بحاسته الذوقية وملكاته البيانية، وبغير ذلك فإنه سيظل أسيراً لما تذوقه الآخرون من معان وبيان وأحكام وحكم، وليس فيها موضع للإعجاز، فلا سبيل لأحد ان ينقل اعجاز القرآن الى الآخرين، ولا سبيل لأحد ان يدرك اعجاز القرآن من دراسة الآخرين إلا بقدر ضئيل لا يفي بالغرض، فلم يبق له إلا أن يطلبه من معينه الصافي، من أصله القرآن الكريم، وعليه أن يتسلق سلم علوم البلاغة ليرقى إلى مستوى الإعجاز، فالإعجاز لا ينزل إلى مستواك.

ثانيًا: الأثر السلبي الذي يحدثه انفصال علوم الشريعة من اصلها القرآن الكريم، التجزئة والتبعيض، وهذا مؤثر قوي لا محالة، اذا كانت

أستاذ في جامعة أم القرى بمكة المكرمة

هذه العلوم مبتوتة الصلة من اصلها، فتحدث اعوجاجًا خفيًا في فكر الدارسين، شعروا بذلك أم لم يشعروا، وقد يؤدي الاقتصار على بعض العلوم المفصولة من أصلها القرآني الى الميل والشطط والغلو والتعصب، وقد حصل شيء من هذا كما هو مشهود في الواقع، وكل ما نراه من فروق واضحة جلية بين الناس ترجع إلى الاقتصار على التجزئة والتبعيض مفصولة من القرآن، وإن كانت تعتمد على القرآن، فالفصل وحده كاف لإحداث هذا.

فإن الفقه في القرآن والتفقه فيه دون غيره لا يعرف هذا التبعيض ولا هذه التجزئة ولا هذا الانفصال، فمقاصده متشابكة يغذي بعضها بعضًا ويلتحم بعضها ببعض ولا ينفصلان، حيث تختلط فيها العبادات مع العقيدة ومع الأخلاق ومع الأحكام ومع المعاملات المختلفة، وكل هذه الأحكام تمتزج بالعقيدة، وترتبط بها ارتباط الشرط بجوابه.

قال ابن القيم: «ولم يكن للصحابة- رضي الله عنهم- كتاب يدرسونه وكلام محفوظ يتفقهون فيه إلا القرآن وما سمعوه من نبيهم ﷺ ولم يكونوا في مجالسهم يتذاكرون إلا في ذلك،

الذي يعيش مع القرآن تأملاً وتدبراً واستنباطا يدرك إعجازه بقدر ما عنده من علوم اللغة من معينها الصافي

فخلف من بعدهم قوم يقرأون القرآن ولا يفهمونه، وآخرون يتفقهون في كلام غيرهم ويدرسونه، وآخرون يشتغلون في علوم أخرى وصنعة اصطلاحية» (٥).

ثم لا يستطيع الانسان أن يجزم بأن هذه الآيات في الأحكام فحسب، وتلك في العقيدة فقط، وقد تعلقت الأحكام بالعقيدة تعلق الشرط بجوابه، ولذلك لم يتفق العلماء على عدد آيات الأحكام، وكان من الموفقين في ذلك الامام القرطبي حيث سمى كتابه: «الجامع لأحكام القرآن» وفسر القرآن كله، وفصل الأحكام كلها أكثر مما هي عند الذين اقتصروا عليها، ولم يستغن عن بعضها، ولم يستطع أن يفصل هذه الأحكام من أصلها، كما فعل أبوبكر الجصاص في أحكامه، وكما فعل ابن العربي في أحكامه.

وأوضِّحُ هذا الربط المحكم لبعض المضوعات التي يظن أنها انتهت، وبدأ موضوع جديد، فقد ظهر لي هذا التماسك وهذا الترابط المحكم في قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ (البقرة: ٢٠٣)، وهي آخر آية تتعلق بأحكام الحج، وعلى هذا نرى بادي الرأي أن المعنى قد انقطع، وما بعدها سياق جديد لموضوع آخر لا صلة له بالأول، وهو الحديث عن المنافق: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ (البقرة: ٢٠٤)، ولكن إذا أعدنا التأمل والتدبر مرة أخرى وجدنا أن هذه الآية التي بعد تمام أحكام الحج متصلة اتصالاً وثيقًا بما قبلها وبما بعدها ومترابطة معهما أشد ما يكون الارتباط حيث إن الله ذكر أربعة من أصناف الناس أو صنفين ونموذجين، اثنين منهما في أحكام الحج واثنين بعدها.

الأول: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق﴾ (البقرة: ٢٠٠).

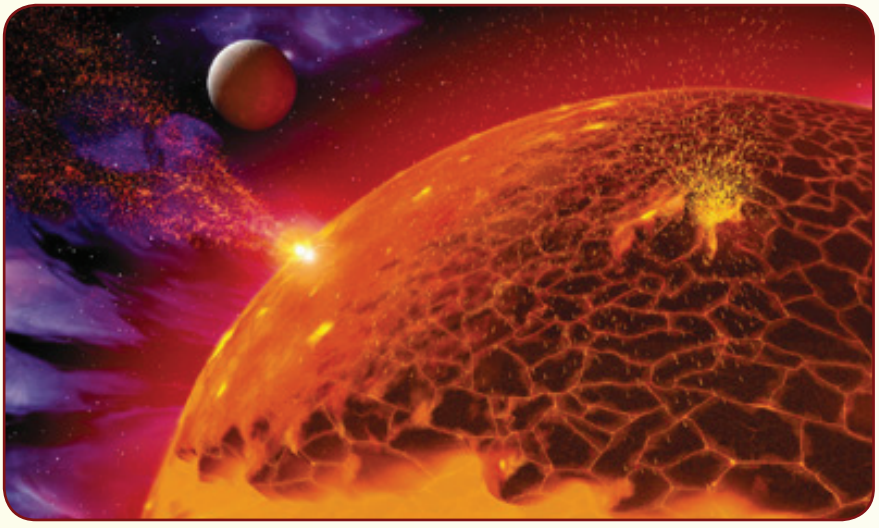
الثاني: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ (البقرة: ٢٠١).

ثم ذكر الله الثالث والرابع بعد تمام أحكام الحج.

الثالث: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ (البقرة: ٢٠٤).

الرابع: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (البقرة: ٢٠٧).

فالمثال الثالث وهو مذكور بعد نهاية أحكام الحج، نموذج للأول المذكور في سياق أحكام الحج، والمثال الرابع وهو مذكور بعد تمام أحكام الحج نموذج للثاني وهو مذكور في سياق الحج، فلا سبيل لأحد أن يفصل بين أجزاء القرآن وموضوعاته، وما نفعله في التفسير



الموضوعي من باب الفهم فقط.

وقد نقل الشيخ الطاهر مذهب مالك في التفرقة والتجزئة فقال: «وفي جامع العتبية في سماع ابن القاسم عن مالك: «سئل مالك رحمه الله عن القرآن يكتب أسداسًا وأسباعًا في المصاحف، فكره ذلك كراهة شديدة وعابها، وقال: «لا يفرق القرآن وقد جمعه الله، وهؤلاء يفرقونه ولا أرى ذلك» أ هـ.

ثم قال: قال ابن رشد في البيان والتحصيل: «القرآن أنزل على النبي ﷺ شيئًا بعد شيء حتى كمل واجتمع جملة واحدة. فوجب أن يحافظ على كونه مجموعًا فهذا وجه كراهية مالك لتفريقه: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ (القيامة: ١٧).

ولعل مستند كراهة مالك فيما رآه أن اليهود جعلوا التوراة قراطيس، وهم فعلوا ذلك لغرض إبداء بعض وإخفاء الكثير وهذا هو محل الذم، وشتان ما بين الأمرين، والجهة منفكة، إن أهل الكتاب يفرقونه لغرض الكتمان، وأهل القرآن يفرقونه في أجزاء منفصلة لقصد الاستعانة على الحفظ كما كتبوه في الألواح لغرض الحفظ والتلاوة.

ولقد أنكر القرآن الكريم على بني إسرائيل أشد الإنكار، وتوعدهم بالخزي والعذاب على التفريق بين أحكامه فقال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ (البقرة: ٨٥).

وقد حذر الله نبيه ﷺ- وهو تحذير لكل أمته- أن يفتنه أهل الكتاب عن بعض ما أنزل الله عليه من القرآن فلا يحكم به ولا يعمل بموجبه - وحاشاه- فقال:



﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ (المائدة: ٤٩).

قال د.ناصر بن عبدالكريم العقل: «إن التفريق بين الشريعة والعقيدة إنما هو تفريق نظري فني طارئ جرت إليه ضرورة التأليف والتصنيف والتبحر بالعلوم والتخصص فيها، والتشقيق لفروعها، فلا تجد في نصوص القرآن والسنة، ولا في أقوال الصحابة وأئمة الدين في القرون الثلاثة الفاضلة هذا التفريق المتكلف الذي اضطر إليه المسلمون فيما بعد حينما كثر الافتراق وتشعبت العلوم وكثر التصنيف وتعددت المناهج والمشارب والأساليب» (٧).

وخلاصة القول: لا ينبغي أن تكون هذه المقررات الدراسية والكتب المؤلفة المفصولة من أصلها القرآني الغاية النهائية، فهي مرحلية لأجل التيسير والتعليم والفهم والاستيعاب فقط.

ثم بعد ذلك يجب أن نعود إلى أصلها ونصلها في سياقها السابق واللاحق، ونردها في نسيجها ليبقى لها الحفظ والحماية والبقاء. فيجب ربط جميع علوم الشريعة وأصول الدين والدعوة بأصولها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فغذاؤها لا يكون إلا من أصلها، وقد تموت إذا بترت من أصلها.

فلا ينبغي أن يبقى القرآن والسنة دليلًا فقط، وانما هما الدليل والمدلول عليه، فيجب فقه هذا الدليل واستخراج الأحكام منه، فالانفصال والاستقلال لجميع المقررات الدراسية من أصلها يفقدها الحماية والحفظ الذي ضمنه الله لكتابه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩). والله أعلم.

الهوامش

١- النبأ العظيم ١٢٦، ١٤٢.
٢- النص في البرهان ٢/٢٣٣، والإتقان ١/٢٦١، البيان ١١٧.
٣- حول إعجاز القرآن ١٧، ١٨.
٤- نقله الزركشي في البرهان ٢/٢٣١، والسيوطي في الاتقان ١/٢٦٠.
٥- الصواعق المرسلة ٤٤١.
٦- التحرير والتنوير ٧/٣٦٥، ٣٦٦.
٧- التلازم بين العقيدة والشريعة ص١٢.

منع الحيض والحمل أو تأخيرهما

- دراسة فقهية طبية -

د. سيد حبيب بن أحمد



صورة المسألة: هناك أنواع من الأساليب والطرق الحديثة تستخدمها المرأة لمنع العادة الشهرية، أو لمنع حدوث الحمل، من أنواع الأقراص المختلفة وغيرها، فما الحكم الشرعي لاستخدام هذه الأنواع من الأدوية لمنع الحيض أو الحمل أو تأخيرهما؟ هذا ما نريد أن نصل إليه في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

تختلف الأسباب عند النساء في السبب الباعث على تأخير الحيض، أو ما يُعرف بالعادة الشهرية، من امرأة إلى أخرى، ونجمل هذه الأسباب فيما يأتي:

- إتمام الصيام مع المسلمين في شهر رمضان.
- أداء مناسك الحج كاملة في أوقاتها.
- امرأة تريد الزواج وتخشى من مجيء العادة أول أيام زواجها فترغب في تأخيره لأجل الزوج.
- الإضرار بالزوج، فتريد بتأخير الحيض تطويل مدة العدة ليزداد على زوجها نفقتها إذا كانت معتدة منه على وجه تجب عليه نفقتها.

الأضرار الناتجة عن منع الحيض

لا شك أن كل شيء طبيعي- كالحيض- يمنعه الإنسان عن طبيعته لا يخلو من أضرار على الجسم البشري بشكل أو بآخر، ولكنها قد تختلف باختلاف النساء، ويمكن أن نجمل الأضرار الناتجة عن استعمال ما يمنع الحيض فيما يأتي:

- أنَّه يخالف الفطرة التي فطر الناس عليها؛ لأن خروج دم الحيض خروج طبيعي كتبه الله على بنات آدم، فلابد للمرأة أن تصبر على ذلك وتحتسب، ولا تحاول إيقافه.
- أنَّه يخلط على المرأة عادتها فتختلف عليها، حينئذٍ تبقى في قلق وشك من صلاتها ومن مباشرة زوجها وغيرها.
- أنَّه سبب لتقرح الرحم.
- أنَّه سبب لتغير الدم واضطرابه.
- أنَّه سبب لتشوه الأجنة في المستقبل.
- أنَّه سبب في وجود العقم للمرأة التي لم تتزوج(١).

وبهذه المناسبة أنقل كلام الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- لأنه في غاية المناسبة، حيث قال: «وبهذه المناسبة أحذر النساء تحذيرًا بالغًا من استعمال هذه الحبوب المانعة من الحيض؛ لأن هذه الحبوب- كما تقرر عندي من أطباء سألتهم، كلهم مجمعون على أن هذه الحبوب ضارة، وقد كتب لي بعضهم عدد المضار التي فيها فكتب لي أربع عشرة مضرة...» (٢).

الحكم الشرعي في ذلك، ونقل فتاوى علماء العصر

روي عن الإمام أحمد- رحمه الله- أنه قال: «لا بأس أن تشرب المرأة دواء يقطع عنها الحيض إذا كان دواءً معروفا»(٣).

وقد ورود عن الإمام مالك- رحمه الله- أنَّه منع أن تتناول المرأة دواء لقطع الحيض.

لكن فسَّر ابن رشد- رحمه الله- قوله هذا بما إذا كان يلحق المرأة ضرر من ذلك(٤).

وعليه فيتفق قوله مع قول الإمام أحمد.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في حكم استعمال حبوب منع الحيض: «استعمال ما يمنع الحمل جائز بشرطين:

الأول: ألا يخشى الضرر عليها، فإن خشي الضرر عليها من ذلك فلا يجوز؛ لقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة: ١٩٥) وقوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما﴾(النساء: ٢٩).

الثاني: أن يكون ذلك بإذن الزوج إن كان له تعلق به، مثل أن تكون معتدة منه وتجب عليه نفقتها، فتستعمل ما يمنع الحيض لتطول المدة وتزداد عليه نفقتها، فلا يجوز لها أن تستعمل ما يمنع الحيض حينئذ إلا

باحث دراسات اسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

بإذنه» (٥).

ومن فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في منع العادة الشهرية أو تأخيرها: «يجوز وقت الحج خوفًا من العادة بعد استشارة طبيب مختص على سلامة المرأة، وهكذا في رمضان إذا أحبت الصوم مع الناس»(٦).

وبناء على ما تقدم ذكره يجوز للمرأة تأخير العادة الشهرية بأخذ الحبوب الخاصة بذلك بثلاثة شروط:

(١) عدم لحوق الضرر بها.

(٢) وأن يكون بعد استشارة الطبيب المختص.

(٣) ولا يكون ذلك إلا بإذن الزوج.

مشروعية الزواج والإكثار من النسل

جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، تدل على مشروعية النكاح، والإكثار من النسل، والترغيب فيه.

فمنع الحمل أو تأخيره مخالف لهذا الأصل.

العزل وخلاف الفقهاء فيه مع الأدلة والترجيح

العزل هو: أن يجامع زوجته وينزع عند الإنزال، فينزل خارج الفرج.

وقد اختلف العلماء في حكمه فمنهم من أباحه مطلقًا، ومنهم من حرمه مطلقًا، ومنهم من فرق بين الحرة والأمة، ومنهم من فرق بين الإذن وعدمه، ويمكن أن نجمل الخلاف فيه في قولين:

القول الأول: قول جمهور العلماء- ومنهم الأئمة الأربعة- أن له أن يعزل عن زوجته الحرة بإذنها، وعن أمته بإذنها أو بدون إذنها (أي أن العزل رخصة).

أدلتهم:

١- حديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل».

٢- وفي صحيح مسلم عنه «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا».

القول الثاني: أنه لا يجوز العزل، وهو قول ابن حزم، ووجه عند الشافعية، ورواية عند الحنابلة. دليلهم:

ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث عائشة عن جدامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله ﷺ في أناس فسألوه عن العزل؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك الوأد الخفي».

قالوا: وهذا ناسخ لأخبار الإباحة فإنه ناقل عن الأصل.

والذي يترجح- والعلم عند الله تعالى- هو القول بإباحة العزل لصحة الأحاديث الكثيرة في ذلك وصراحتها.

وأجيب عن حديث جدامة بأنه محمول على التنزيه.

وأما دعوى أنَّه ناسخ لأحاديث الإباحة فتحتاج إلى دليل(٧).

الأسباب الداعية لمنع الحمل أو تأخيره

يمكن تقسيم الأسباب الداعية لمنع الحمل أو تأخيره إلى قسمين:

القسم الأول: دواعي وأسباب منكرة منافية للشرع، اعتمد عليها أعداء الإسلام دعاة تحديد النسل، ومن أبرزها:

- خشية أن تضيق الأرض بالسكان إذا لم يحدد النسل!
- خشية أن تضيق بهم وسائل العيش من كثرتهم!
- صيانة الأسرة مما يهددها من خطر كثرة الأولاد!
- أن منع الحمل أو تحديد النسل يحفظ للمرأة صحتها وجمالها!

فهذه- وأمثالها- شُبَه أوهى من بيت العنكبوت من أعداء الإسلام الذين يدعون إلى تحديد النسل (وهي دعوة يهودية خبيثة) وهي لا تصلح مبررًا له، بل هي غير صحيحة لمناقضتها الواقع ومنافاتها لمقتضى الفطرة والإسلام(٨).

القسم الثاني: دواعي أخرى تقع قليلًا أو نادرًا فيحكم فيها بما يناسبها من الأحكام، ومنها:

- أن يكون بالمرأة ما تتعذر معه الولادة العادية فيخرج الولد بإجراء عملية جراحية، وربما كان في ذلك خطورة على الأم- كما إذا تكرر ذلك- وقضاء على حياتها.
- أن تكون المرأة كثيرة الحمل، والحمل يرهقها فتحب أن تنظم حملها. ويقرر أهل الخبرة إن كان عليها من تتابعه خطورة.
- ظن الرجل أن وطء امرأته وهي ترضع يضر بالولد، فيمتنع من ذلك محافظة على صحة الرضيع وحرصًا على سلامته(٩).
- التأثر بعوامل خارجية، كأن تكون الدولة تفرض على الشعب تحديد النسل.

الأضرار الناتجة عن استعمال ما يمنع الحمل أو يؤخره

إن لاستعمال ما يمنع الحمل أو يؤخره مضارًا كثيرة دينية، واقتصادية، وسياسية، واجتماعية وجسمية، ونفسية.

وسائل المنع الدائم والمؤقت للحمل

أولًا: وسائل المنع الدائم للحمل:

- تعقيم الزوجة بربط عنق رحم المرأة.
- قلب الرحم.
- استئصال الرحم.
- تعقيم الرجل بقطع الحبل المنوي.
- الاختصاء بالنسبة للرجل.

ثانيًا: وسائل المنع المؤقت للحمل:

وهي تنقسم إلى قسمين:

أ- وسائل منع الحمل المؤقتة الطبيعية، ومن أبرزها:

- العزل.
- الجماع بدون الفرج (المفاخذة).
- الرضاعة.
- الامتناع عن غشيان الزوجة فترة من الزمن(١٠).

ب-الوسائل الحديثة المؤقتة لمنع الحمل، وهي كثيرة، ومن أهمها:

- الرفال (الواقي الذكري، الكبوت، القراب).
- الحاجز المهبلي (القبعة الهولندية) وهو عبارة عن حاجز مطاطي بحلقة معدنية سميكة تضعها المرأة في عنق الرحم قبل الجماع.
- اسفنجة المهبل: وهي اسفنجة مبللة بالخل أو مادة طبية خاصة تضعها المرأة في

المهبل قبل الجماع، وذلك لقتل الحيوانات المهبلية.

- كريمات أو مراهم مهبلية لقتل الحيوانات المنوية.

- أقراص أو تحاميل مهبلية توضع كذلك داخل الرحم لقتل الحيوانات المنوية.

- اللولب، وهو عبارة عن شريط من البلاستيك مصنوع من مادة غير ضارة للجسم توضع داخل الرحم، وظيفته منع وصول الحيوانات المنوية إلى قناة الرحم، أو تقليل قدرتها على التلقيح(١١).

حكم المنع الدائم للحمل

قد دلت الشريعة الإسلامية بعمومها على تحريم الاختصاء أو ما في معناه، وبالتالي تحريم منع الحمل الدائم، ومما يدل على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ (النساء: ١١٩).

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «ردَّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل، ولو أذن لاختصينا».

كما أن في المنع الدائم للحمل مصادمة لمقصد من مقاصد الشريعة، وهو تكثير النسل.

إضافة إلى قياس التعقيم الدائم على الوأد؛ بجامع أن كلًا منهما مؤد إلى قطع النسل.

فالأصل فيه الحرمة إلا إذا دعت إليه ضرورة، مثل خوف ضرر يلحق بالمرأة من جراء الحمل فلا بأس حينئذ- مع مراعاة شروطها- كما أفتى علماء العصر بذلك.

نقل بعض فتاوى علماء العصر في ذلك

قد اتفقت فتاوى علماء العصر على تحريم المنع الدائم للحمل إذا كان القصد منه خشية الإملاق، وأفتوا بجوازه في حالات فردية خاصة لوجود ضرر محقق على الزوجة، وفيما يلي بعض نماذج منها:

- قرر مجلس مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي أنه: «يحرم استئصال القدرة على الإنجاب في الرجل



والمرأة، وهو ما يُعرف بالإعقام أو التعقيم ما لم يدع إلى ذلك الضرورة بمعاييرها الشرعية»(١٢).

- صدر قرار لهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية في منع الحمل ما نصه:

«لا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق، أما إذا كان لضرورة محققة ككون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الولد، أو كان تأخيره لفترة ما لمصلحة يراها الزوجان فإنه لا مانع حينئذ من منع الحمل أو تأخيره عملًا بما جاء في الأحاديث الصحيحة، وما روي عن جمع من الصحابة- رضوان الله عليهم- من جواز العزل، وتمشيًا مع ما صرح به بعض الفقهاء من جواز شرب الدواء لإلقاء النطفة قبل الأربعين، بل قد يتعين منع الحمل في حالة ثبوت الضرورة المحققة»(١٣).

حكم تأخير الحمل (منع الحمل المؤقت)

هذه المسألة مبنية على مسألة حكم العزل السابقة، وقد علمنا أن قول جمهور العلماء على جوازه. فيكون الحكم هنا الجواز- مع مراعاة الشروط والضوابط التي ذكرها العلماء- إلا أن يلحق بالمرأة ضرر من جراء استخدام هذه الحبوب فلا يجوز حينئذ.

وقد قرر فيه مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ما يلي: «يجوز التحكم المؤقت في الإنجاب بقصد المباعدة بين فترات الحمل، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان إذا دعت إليه حاجة معتبرة شرعا بحسب تقدير الزوجين عن تشاور بينهما وتراض، بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر، وأن تكون الوسيلة مشروعة، وألا يكون فيها اعتداء على حمل قائم»(١٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله: «الثاني: أن يمنعه «أي الحمل» منعًا مؤقتًا مثل أن تكون المرأة كثيرة الحمل، والحمل يرهقها فتحب أن تنظم حملها كل سنتين أو نحو ذلك، فهذا جائز بشرط أن يأذن به زوجها، وألا يكون به ضرر عليها.

ودليله: أن الصحابة كانوا يعزلون عن نسائهم في عهد النبي ﷺ من أجل ألا تحمل نساؤهم، فلم ينهوا عن ذلك»(١٥).

الهوامش

(١) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١١/٢٨٢-٢٨٣).
(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١١/٢٨٢-٢٨٣).
(٣) انظر: المغني (١/٤٥٠).
(٤) انظر: البيان والتحصيل (٣/٤٦٠).
(٥) الدماء الطبيعية للنساء، للشيخ ابن عثيمين ص (٣٣١).
(٦) الأحكام والفتاوى الشرعية لكثير من المسائل الطبية، للرميخان ص (١٠٩).
(٧) انظر: المرجع السابق؛ وأبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٣٣-٤٣٧).
(٨) انظر: مناقشة هذه الشبه والرد عليها مفصلا في: أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٢٣-٤٣١).
(٩) انظر: أبحاث هيئة كبار العلماء (٢/٤٣١-٤٣٢).
(١٠) انظر: الطبيب أدبه وفقهه ص (٢٧٩).
(١١) انظر: الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء ص (١٢٨-١٢٩).
(١٢) مجلة مجمع الفقه الإسلامي (١/٧٤٨)، وانظر أيضا: الطبيب أدبه وفقهه ص(٣٠٨).
(١٣) مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/٢٩١-٢٩٢). وتوقف فضيلة الشيخ عبدالله بن غديان في حكم الاستثناء. ولمجلس المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي قرار مماثل لقرار هيئة كبار العلماء المذكور، انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/٢٨٦).
(١٤) انظر: مجلة البحوث الإسلامية (٣٠/٢٨٧).
(١٥) الدماء الطبيعية للنساء ص (٣٣٢).

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

تحرير النفوس

يعتقد بعض الناس أن تحرر الأوطان من الاستعمار بأشكاله المختلفة مقرون دائمًا بالحكم المستقل والسيطرة على المقدرات والثروات، خاصة أن كثيرًا من بلدان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تعرضت، ومازالت، إلى الاستعمار العسكري أو الناعم، في الوقت الذي يتناسون فيه حقيقة مفهوم التحرير المتمثل في الاستعلاء على المادية الدنيوية والاستهداء بفضائل ديننا الحنيف.

ويشاع عند السواد الأعظم من الشعوب أن عملية تحرير الأوطان تكون من خلال إجلاء المحتل، دونما التمعن في عواقب هذا التحرر المؤقت من آثار وعمليات قد تكون أكثر تأثيرًا من القوة العسكرية.

فلا أحد ينكر روح المقاومة لدى جنودنا، وعدم الاستسلام، والتضحية بالأرواح والدماء من أجل استعادة الأرض وإنهاء الاحتلال واسترداد كرامة الأوطان، ولكن هذا الاستقلال مؤقت ما لم يقترن بالاستقلال الحقيقي للإنسان من هوى النفس وحب الدنيا ووساوس الشيطان.

الغريب أن المتنطعين من بني جلدتنا، والذين يقولون ما لا يفعلون، يتغنون دائمًا بضرورة تحرير الأراضي الإسلامية، ويجمعون الأموال ويجوبون العالم لنشر القضية، ومع ذلك لا تتحرك عملية التحرير قيد أنملة، لأنهم تناسوا حقيقة تحرير نفوسهم الخربة المحتلة عسكريًا من الذنوب والمعاصي والأهواء والشهوات التي لم تترك مكانًا في جسدهم إلا واحتلته، وهذا مصداقًا لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)، فهذه الآية تؤصل لقاعدة دعوية مهمة، ألا وهي «تحرير النفوس أساس تحرير الأوطان».

ولا يتم تحرير النفوس والضمائر إلا وفق تعاليم الإسلام، من خلال بناء قوالب قيمية، وصياغة مبادئ نهضوية، وإيقاظ روح الإيمان، واستثارة القوى الخفية، وتعزيز البناء الحضاري الهادف.

إذا افترض البعض أن ترك الصلاة أمر بسيط، فإن هذا الأمر كارثة عند أصحاب الهموم، لأن ترك فريضة لا تستغرق دقائق يولد انهيار قيم المقاومة وعدم الرغبة في الجهاد والاستشهاد ما يمهد للعدوان الباغي اليسر في بسط النفوذ والاستمرارية الاستعمارية، باعتبار أن مجاهدة النفس قد انعدمت في عبادة مثل الصلاة، فكيف بجهاد العدو الغاشم؟!

إننا اليوم في أمس الحاجة لتغيير منظومة المفاهيم القيمية في الحياة، فقبل تحرير شعوبنا من براثن الغزو العسكري والفكري والثقافي والاقتصادي، ينبغي تحرير النفوس من الذنوب والمعاصي، وغيرها من آفات القلوب والسلوك، لأن النفس معيار السعادة الدنيوية والنعيم الأخروي.

ولعل التحرير الحقيقي الذي يطمح إليه الجميع يتمحور حول مبادئ الاستقامة والعزة، وصياغة نفوس قادرة على خدمة الحق، واحتقار ما يضيع الإيمان في الدنيا من شهوات وزخارف ومثبطات ومظاهر انحلال، وهذا مصداقًا لقول الرسول ﷺ: «إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى».

نريد أن نعيد للإسلام مكانته الحقيقية في سيادة الكون، وتحقيق العبودية، حتى يعيننا رب السموات والأرض في تحرير جميع بلاد المسلمين والأقصى...ألا إن نصر الله قريب إذا حررنا أنفسنا من المعاصي والذنوب، وابتعدنا عن المحرمات، واجتنبنا الكبائر، وإذا أطعنا الله عز وجل في كل الأمور.. فلنقم الإسلام في صدورنا يقم لنا على أرضنا.. والله ولي التوفيق.



لغة وأدب

إسلامية الأدب.. هل تنافي إنسانيته؟

في خضم المعارك الدائرة حول أيديولوجيات الأدب ومناهجه يعلو صوتان، أحدهما ينافح عن الحُلَّة الإسلامية التي تكسوه ويراها حتمية، لا سيما في وجود، بل وذيوع، صبغات أخرى يتزيى بها (الأدب الماركسي- الأدب الشيوعي- الأدب العلماني... إلخ)، وينحو بالقضية منحى آخر ليخرجها عن مجرد كونها قضية أدبية إلى صراع حضاري أو نزاع فكري، إذ يرى أن الهجوم على الأدب الإسلامي إنما هو لقطة في لوحة الهجوم على الإسلام كله.

والآخر يرى أن الأدب لابد أن يتخلى عن أي صبغة غير الصبغة الإنسانية التي يرى أنها بيت القصيد، ولا يرى معنى في أي سمة أخرى قد يتسم بها.

وكون الأدب إسلاميًا لا يرفع عنه إنسانيته وارتباطه بوجدان مبدعه، ومن ثم سريانه إلى متلقيه، وكذلك فإن الأدب الإسلامي ليس مقتصرًا، أو هكذا ينبغي أن يكون، على المدائح النبوية والسيرة والفتوحات الإسلامية والمغازي... إلخ، بل إن كل أدب راقٍ يسمو بالأذواق ويمتع العقول والألباب، ويترفع عن مغازلة الغرائز والشهوات هو أدب إسلاميٍ صميم، سمي بذلك أو لم يسم، فالتسميات لا تعنينا كثيرًا.

لكن الذين يحاربون الأدب الإسلامي بدعوى تجريد الأدب مما سوى الإنسانية لا نراهم ينزعجون من الأدب الماركسي أو الشيوعي أو العلماني أو غير ذلك من الآداب التي تتبنى أيديولوجيات وعقائد شتى.. فهل حقًا أن هذا هجوم على كل ما هو إسلامي؟!

عامر أحمد





رثاء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان

في الشعر النبطي الكويتي



د. يعقوب الغنيم

عندما توفي الشيخ الصالح عبدالله الخلف الدحيان، كانت لوفاته رنة أسى في الكويت وما جاورها، وكان ذكره الطيب ومآثره الجمة وعلمه الغزير ونفعه لطلابه من الأمور التي جمعت حوله القلوب، وهي القلوب التي ملأها الحزن عند وفاته، بادر الشعراء إلى رثاء الفقيد بعدد من القصائد.. بل قام بعضهم بتقديم أكثر من قصيدة بهذه المناسبة، وهذا أمر له دلالته على محبة الشاعر للفقيد وتقديره لعلمه وفضله، من هؤلاء شاعر الكويت صقر الشبيب الذي كتب قصيدتين في الرثاء، ومنهم الشيخ عبدالله النوري الذي كتب هو الآخر قصيدتين، وفيما عداهما نذكر قصائد كل من خالد محمد الفرج، والشيخ يوسف بن عيسى القناعي، والشيخ يوسف بن حمود، والسيد مساعد بن سيد عبدالله الرفاعي، والسيد عبدالرزاق الناصري وهو من خارج الكويت.

كان الخال الشيخ إبراهيم سليمان الجراح ممن شارك في الرثاء، فقال قصيدة لطيفة بدأها بقوله:

ألا أيها الناعي علام تلعثم
أفأنت في وقت المصيبة أبكم
أفشمس أهل العلم كور نورها
فأحاط بالإسلام ليل مظلم
أم كان عبدالله ودعنا فما
أقسى وداع مودع لا يقدم
حقا أبا خلف لقد أوحشتنا
فقلوبنا أسفا عليك تحطم
غادرتنا وبكل قلب خفقة
وبكل عين دمعة لا تكتم

ولقد ضمن قصيدته هذه الكثير من مشاعره تجاه شيخه وعبر عن نفسه، وعن زملائه من تلاميذ الشيخ فجاءت القصيدة ملأى بالعاطفة، ودالة على الألم الشديد لفقد هذا العالم الجليل الذي لا يزال ذكره يتردد إلى يومنا هذا، ويكفي ذلك للدلالة على مكانته في نفوس الجميع.

هذا ولم يكن الشعر الفصيح وحيدًا في ميدان الرثاء، فقد قام برثاء الشيخ عبدالله الخلف الدحيان عدد من الشعراء الذين اعتادوا على أن يكون تعبيرهم الشعري باللهجة الدارجة فيما يسمى «الشعر النبطي»، وهنا أود أن أستعرض ما رثي به الشيخ بهذا النمط من الشعر، ففيه إشارة إلى مكانته، وعظم المصيبة بوفاته.

ذلك أني لما وجدت أن هذا النمط من الشعر لم يتطرق أحد إليه ولم ينشره ضمن المراثي التي قيلت في الشيخ الجليل فإنني وجدت أنه من الأفضل أن أقدم شيئًا منه هنا.

وقبل أن أعرض ما لدي من شعر نبطي أقدم هذه النبذة عن حياة الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، ولقد كانت حياة رجل عالم فقيه من أهل الخير يستحق ما كتب عنه.

هذا الرجل من علماء الكويت القدماء الذين ورد ذكرهم في مختلف مجالات الحياة، فهو قاض ومعلم وخطيب ومشارك في الأنشطة المختلفة في البلاد، وهو قبل كل ذلك رجل فقيه ورع، يُعَدُّ من الصالحين الذين وثق الناس بهم، فصار مستودع الأسرار وموضع الفتيا، يتلقى الناس أحكامه بالقبول ويستمعون إلى نصائحه، ويتبعون ما يشير به عليهم.

ولد الشيخ عبدالله الخلف الدحيان في سنة ١٢٩٢ هـ التي توافق سنة ١٨٧٥م، وقرأ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة على أبيه، ولازم الشيخ محمد بن فارس منذ كان في سن الثانية عشرة، ورحل في طلب العلم إلى عدة بلدان، وعندما سافر إلى مكة المكرمة بعد ذلك بنية الحج لقي عددًا من علمائها.

كان مشهودًا له بالعلم الغزير والصلاح والوداعة والأخلاق الحميدة والزهد في الدنيا، يستشعر دائمًا تقوى الله، ويتحلى بالورع، ولذا فقد كان مسجد البدر الذي يؤم فيه الناس ويخطب فيه خطبة الجمعة يغص بالناس الراغبين في سماع خطبته رغبة في الاستفادة مما يقدمه في هذا اليوم من أحاديث وعظات قيمة، وما يستمعون إليه منه من إرشاد وتوجيه، وبالمثل فإن منزله كان قبلة لطلبة العلم يأتون إليه ويتلقون عنه العلم، ولذا فإننا نجد عددًا كبيرًا من علماء الكويت قد تتلمذوا عليه، ونجد عددًا آخر من رجال البلاد كانوا من تلاميذه، ولشدة ورعه فإنه كان يأبى العمل في سلك القضاء، وعندما ألزمه الشيخ أحمد الجابر الصباح بذلك في سنة ١٩٢٩م باعتبار عدم وجود من هو أجدر بهذا المنصب منه فإنه لم يستمر فيه إلا سنة واحدة لم يأخذ عليها أجرًا.

ترك مكتبة كبيرة تحتفظ بها وزارة

وزير التربية الأسبق في دولة الكويت



الأوقاف والشؤون الإسلامية، وألف عددًا من المؤلفات النافعة منها المسائل الفقهية والفتوحات الربانية، ورسالة في مناسك الحج، وخطب الجمعة والعيدين. وله شعر جيد منه القصيدة الخاصة بالحج، التي يعرفها محبوه، توفي في سنة ١٣٤٩هـ التي توافق سنة ١٩٣١م، رحمه الله وأحسن مثواه.

هذا وقد قام مركز البحوث والدراسات الكويتية بإصدار كتاب عنه تحت عنوان: «علامة الكويت، الشيخ عبدالله الخلف الدحيان» ألفه الأخ الشيخ محمد بن ناصر العجمي، واستطاع أن يجمع فيه كثيرًا من المعلومات عن هذا الرجل المبارك الذي لا تزال آثاره العلمية موجودة بيننا في الكتب وفي البشر الذين يتناقلون العلم بينهم منذ وفاته إلى اليوم.

أما الشعر الذي ألمحت إليه فيتمثل بقصيدتين قالهما الشاعر سلطان بن قبلان المطيري، ونشرهما الشاعر مسعود بن سند بن سحيان في كتابه: «التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية» الذي صدر في سنة ١٣٨٩هـ التي توافق سنة ١٩٦٩م، ويبدو أن قائل القصيدتين ممن كان قريبًا إلى الشيخ بحيث يعرف كثيرًا من صفاته الكريمة، بدأ قصيدته الأولى بقوله:

الله من خطب دها يوم الاثنين
شهر الصيام وفي توالي ارمضان
خطب عظيم يوم ثامن وعشرين
خطب دهاني ما دها مودماني

(مودماني: إنسان).

واستمر يصف وقع خبر النعي عليه، وكيف أنه شعر بكدر عظيم، وأنه لم يستطع السيطرة على نفسه، ويبدو أنه قد حضر جنازة الشيخ عبدالله لأنه وصف في قصيدته هذه ما حدث من الغسل والتكفين إلى الدفن، ومن ثم قام بالترحم على الشيخ، وأخذ يعدد شيئًا من أعماله الطيبة مثل قوله:

مرحوم يا شيخ الهدى راسخ الدين
يا فاعل المعروف سرو بياني
مرحوم يا ريف الضعوف المساكين
يا مال طيبا يا عريب المجاني
مرحوم يا شيخ على العسر واللين
سهل الجناب الطيب المرحباني

إلى أن يصف أحكامه العادلة حين تولى القضاء، ويذكر مساواته بين الناس، وأنه درع للمظلومين ثم يعتذر عن قصر قصيدته مع أنها جاءت في أربع وعشرين بيتًا فيقول:

حبيت أطولها ولا أدركت تمكين
هو جاس قلبي قاصر من لساني

ويظهر لنا من هذا البيت أن الشاعر، بعد أن كتب قصيدته هذه أحس أن في نفسه أشياء يود لو كان قد عبر عنها، فاستأنف حديثه بقصيدة أخرى، يبدو أنه قالها بعد فترة وجيزة من قصيدته الأولى، وبعد أن مرت عليه بضعة أيام دون أن يغادره الحزن على فراق الشيخ وجاءت هذه في سبعة وعشرين بيتا مطلعها:

البارحة بالصوت جاوبت الحمام
ساهر ودموع عيني ساهرين
يا حزين القلب مثلي لا تنام
ويل للي بالمضاجع نايمين

وقد تحدث فيها عن أحزانه، وقدم النصح للغافلين من الناس، وذكر بالموت الذي يقطع كالسيف الحاد، ثم قال: إن البلاد أظلمت عندما انهدم ركن من أركان الدين ويتساءل: أين شيخ الدين، راعي الحق، ويضيف:

ابكوا المحمود يا جمع الأنام
ابكوا المحمود من قلب حزين
من بكى شيخ الشريعة ما يلام
له بكن عيوننا والحاضرين
ذروة الإسلام في راس السنام
مرتكي للحق والله ما يلين
ما أخذ رشوه ولا ذاق الحرام
مخلص لله رب العالمين

ثم يعود للترحم على الفقيد، ويطلب من السامعين أن يقوموا بالدعاء له فهو يستحق أن نقف له داعين مترحمين، ذاكرين لأفعاله الكريمة، محتفظين بذكراه النيرة على مر السنين.

وبعد استعراض هاتين القصيدتين فإنه يتبين لنا أن الشاعر كان شديد التأثر بوفاة الشيخ عبدالله الخلف، وكان قريبًا منه بحيث شعر بدوره في الحياة وإفادته للناس في كثير من المواقف، وقد دلت مشاركة الشعر النبطي على أن كافة الناس في الكويت كانوا يرون أن في وفاة هذا المصلح خسارة كبيرة لهم وللكويت بصفة عامة، وهذا هو ما أعطى القصائد كلها روحًا قوية معبرة. رحم الله الشيخ وأجزل مثوبته.

السيرة الذاتية

ولد عام ١٩٤١ في مدينة الكويت.

تخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦١، وحاصل على الماجستير والدكتوراه في النحو والصرف من الكلية نفسها.

عمل في بداية حياته العملية في مجال التدريس، ثم الإعلام، ثم وكيلا لوزارة التربية، فوزيرا لها.

له مشاركات متعددة في مجالات الشعر والثقافة والتأليف.

دواوين شعرية: حكاية وطن ٢٠٠١ «أوبريت» لحن وأنشد في احتفالات وزارة التربية بمناسبة العيد الوطني الأربعين، وعيد التحرير العاشر.

من مؤلفاته: المقرب في النحو لابن عصفور «دراسة وتحقيق» -ابن عصفور النحوي «حياته وآثاره ومنهجه» -كاظمة في الأدب والتاريخ- أحمد البشر الرومي... قراءة في أوراقه الخاصة - الألفاظ الكويتية في كتاب لسان العرب - الكويت تواجه الأطماع - همس الذكريات- ملامح من تاريخ الكويت - السيدان.. قبس من ماضي الكويت - راشد السيف.. حياته وشعره «بالاشتراك»، وعدد آخر من الكتب.



«الهوية الإسلامية» في مواجهة طوفان الحداثة والتغريب

تحقيق محمد القوصي

أكدّ الأدباء والنقاد والكُتّاب أن فكرة «الأدب الإسلامي» جاءت رد فعل للطوفان الهادر من حامض الفكر ونفايات الثقافة وكناسة الشعر الذي أفرزه غواة الحداثة وعبيد الشعر الحر.. وأوضحوا أن الفكرة كانت فكرة رائدة، ورؤية صائبة، ونظرة ثاقبة، اضطلع بها نفر من أولي الألباب، والغيورين من أدباء وعلماء ومثقفي الأمة، العالمين بدينهم ودنياهم والأوفياء لحضارتهم وأوطانهم والأمناء على تراثهم وهويتهم الذين حملوا بين جوانحهم همًا عربيًا وإسلاميًا، وهم أقدر الناس على التمييز بين الأدب واللاأدب!

أوضحوا أن الذين أنشأوا «رابطة الأدب الإسلامي» كي يواجهوا بها طوفان المذاهب الأدبية الوافدة، والفلسفات الغربية الشاذة التي تسللت إلى أوطاننا لأسباب لا تخفى على عاقل.. كذلك التصدي لدعاوى العلمنة والتغريب، والتسطيح والابتذال، والركض المحموم واللهاث وراء الآخر، والتبعية المطلقة، والاستدانة الفكرية، واستيراد الأشكال والمضامين بطريقة فجة... وإلى التفاصيل:

رد فعل للهجمة التغريبية

في البداية يؤكد الدكتور مصطفى الشكعة- العميد الأسبق لآداب عين شمس- أن الدعوة إلى إنشاء هذه الرابطة جاءت من منطلق الكلمة الأصيلة الملتزمة، بسبب غربة الأدب الإسلامي وسيطرة الأدب الوافد وتياراته التغريبية على العالمين العربي والإسلامي، مما بعث الأمل في نفوس الأدباء الأصلاء بميلاد تلك الرابطة التي من شأنها أن تجمع صفوفهم وتشد عضد كل واحد منهم بأخيه، وترفع صوتهم في العمل على تأصيل الأدب الإسلامي لمواجهة النظريات والمذاهب الأدبية التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام.

الذين استنكروا الأدب الإسلامي.. لماذا لم يستنكروا الماركسية أو الوجودية؟

المهم أن هذه الرابطة نجحت- بالفعل- في تحقيق بعض الغايات المرجوة منها والمنوطة بها، كإيجاد حلقة تواصل وإقامة جسور تعاون بين أدباء العالم الإسلامي على اختلاف لغاتهم وأجناسهم ليكونوا قوة إسلامية سلاحها الكلمة الأصيلة الملتزمة بالعقيدة، وتحقيق مبدأ عالمية الأدب الإسلامي، وتكوين شخصية مستقلة له بعيدًا عن التبعية والنزعات العرقية والبعد عن القوالب المستوردة والأساليب المبهمة، والرد على المحاولات الداعية إلى الانفصام بين أدب أمتنا في الماضي والحاضر، ودراسة الأدب الإسلامي المعاصر في البلاد الإسلامية وإظهار الخصائص المشتركة، وتعريف الشعوب الإسلامية بآداب بعضها عن طريق ترجمة آثارها الأدبية إلى عدد من اللغات الأخرى.

عالمية الأدب الإسلامي

من جانبه يرى أحمد سويلم- المدير السابق لأدب الطفل بدار المعارف- أن الأدباء الإسلاميين نجحوا في إفشال المشروع الحداثي الذي يقود زمامه «أدونيس» وحواريه وجواريه في المنطقة العربية، وأشار إلى أن الأدب الإسلامي ليس بدعًا من القول، فالقاعدة تقول: كل ما هو ليس ضد الإسلام فهو من الإسلام، إذن فالأدب كله شعرًا أو قصة أو مسرحية أدب إسلامي، ما لم يكن فيه فحش في القول أو تطاول على القيم أو تهكم من المعتقدات أو تجرؤ على الثوابت المتعارف عليها، وقد ظهرت بوادر الأدب الإسلامي منذ العصر الجاهلي، والذي انتظم عددًا كبيرًا من شعراء عصر ما قبل الإسلام. وقد كان حال الأدب العربي كله وإلى وقت قريب أدبًا إسلاميًا يدعو إلى القيم ومكارم الأخلاق والتوجيه الخلقي الرفيع ونصرة المظلوم، وإحقاق الحق وزجر الباطل، والثناء على البطولات والغزوات، والصلح بين المتخاصمين، وغير ذلك من القيم السامية، والفضائل العليا، ومكارم الأخلاق.

الأدب العربي محضن الأدب الإسلامي

أما الناقد الدكتور جابر قميحة فيشير إلى أن «الأدب العربي» هو محضن الأدب الإسلامي الأول، وميدانه الأهم، ولكنه ليس ميدانه الأوحد، فعندما انتصر الإسلام خارج الأقطار العربية، ودخلت فيه شعوب أخرى، وتأثرت به آدابها، نبتت لهذا الأدب أجنحة جديدة، أعطته بعدًا إنسانيًا عالميًا، فقد ظهر في الأدب الفارسي منذ القرن الثالث الهجري تيار إسلامي استفاد من الأدب العربي شعره ونثره، واستفاد من القرآن والسنة، وحمل قضايا إسلامية كثيرة، وأصبح تيارًا موازيًا للتيار الإسلامي في الأدب العربي، وربما يتفوق عليه في بعض القضايا و الفنون، وما لبث الأدب التركي أن استفاد من الأدبين الفارسي والعربي، ونهل مما نهل منه الأدبان المذكوران من المعاني القرآنية، فامتد الأدب الإسلامي إلى لغات وشعوب أخرى.

إذن، فالأدب الإسلامي لا يلغي شيئًا من الأدب العربي ولا ينكر الأدب الجاهلي أو الأموي

أو العباسي، بل يرى في الأدب العربي ميدانه الأكبر، ونحن عندما نتحدث عن أدب إسلامي، لا نرفض تراثًا عريقًا، ولا ندعو إلى أدب بلا جذور، بل عكس ذلك، فنحن ندعو إلى التمسك بالجذور والأصول والتراث، وليس إلى الاستدانة من الآخرين!

إسلامية الأدب ضرورة

ويؤكد الأديب صلاح حسن رشيد أن ما يعيشه المسلمون في العصر الحديث يلح عليهم بشدة في تأصيل الأدب والفن، لمحاربة الانحراف والمروق، والتصدي للهجوم على الإسلام والمسلمين، فالأدب هو الذي يبرز التفاعل العميق بين الإسلام والكلمة الجميلة المؤثرة، ويبني الشخصية الأدبية الإسلامية التي تحمي أدباءنا من اللهاث وراء الشرق والغرب.

ويقول صلاح رشيد: «في ظني أن الواقع الذي يعيشه المسلم يجعله أحوج من أي وقت مضى إلى الكيان الإسلامي المتكامل والشخصية الإسلامية المتميزة في بنيانها الفكري والاقتصادي والفني والأدبي، خاصة بعدما غدا الأدب من أدوات الغزو الفكري الفتاكة».

مليشيات الحداثة!

هذا، وقد أوضح الشاعر والأديب ياسر غريب أن الأدب الإسلامي لا يحتاج إلى من ينافح عنه، لأنه شيء واقع نعيشه في حياتنا، ولا داعي للرد على فلول المنكرين، لأن هؤلاء رافضون للإسلام أصلًا، ولعلي أسأل دعاة



«الأدب الإسلامي» ثورة تصحيح لإنقاذ الأدب من براثن العلمنة والتبعية

التغريب ومليشيات الحداثة العرب: من الذي أفسد جمال الكلمة سواكم؟ ومن المسؤول عن تشويه ذائقة الأمة الأدبية غيركم؟ ومن وراء تغريب الفكر وتذويب هوية الأمة الثقافية إلا أنتم؟ ومن هؤلاء الذين خلّفوا أطنانًا من كناسة الشعر وحامض النثر سواكم؟!

ويستطرد ياسر غريب قائلًا: إنني أسأل دعاة الحداثة والتغريب: من أين جئتم بالتقاليع العجيبة ما دامت المجتمعات الإنسانية ترفضها وتنكرها؟ ومن أين جئتم بهذه التعقيدات الأدبية؟ ولمن تتوجهون بهذا العبث؟ فما المقصود بقصائد المثلثات أو المربعات والمستطيلات، إننا لم نسمع بفنان يسمح لنفسه بالهلوسة ويجد حوله نقادًا يصفقون له ويرفعون رايته ويقولون للعالم إن هذا هو الفن الصحيح.

قد يكون للغرب مبرراته لاعتناق مثل هذه الأيديولوجيات الوضعية، لكن أوطاننا ومجتمعاتنا العربية ما أغناها عن معرفة هذه الموضات والتقاليع الفكرية التي يخترعها مستشرقون جاهلون أو مبشرون حاقدون أو أدباء ماجنون!

إن هؤلاء الحداثيين بالتعاون مع سادتهم وكبرائهم «يغربنون» العالم العربي والإسلامي، ويركّعونه، ليحوّلوه عبيدًا وخدمًا بألف وسيلة، بالترويج للمذاهب والفلسفات الغربية، والتسويق للنظريات الاستهلاكية الشاذة، والتفريغ الفكري والثقافي، وإثارة الطائفيات العرقية والأقليات الدينية، واستغلال الجروح التاريخية، وفرض المخاوف الاجتماعية والمشكلات المستعارة والمصطنعة، وتشويه القيم التي تعارفت عليها المجتمعات، وتدمير الروح المعنوية للأمة، ونشر الضياع والفوضى والانحلال الأخلاقي.

أولئك الحداثيون من سماسرة الفكر وتجار المذاهب المستوردة التي تلقّفوها من تحت قمامة الفكر الغربي، وروّجوا لها عبر صحفهم ومجلاتهم، فصنعوا بها واقعًا مريرًا، ودنيا مختلطة، وراحوا يطالبون الآخرين بأن يعتنقوها ويؤمنوا بها، بل يرهبون مخالفيهم بشتى الوسائل، كما فعل سلفهم الطالح الذين قالوا ﴿لنخرجنّكم من أرضنا أوْ لتعودنّ في ملتنا﴾! والحمد لله صفعناهم بوابل من المؤلفات الحارقة مثل سقوط الحداثة، والصفحات السوداء لمدرسة التغريب والحداثة والتنوير، وغيرها من الكتب التي ألجمت أفواههم!

واختتم ياسر غريب كلامه قائلًا: إن هؤلاء الذين تجرأوا على الأدب الإسلامي، لم نسمع منهم استنكارًا للأدب الوجودي أو الماركسي أو العلماني، بل على العكس، فقد كانوا ومازالوا سفراء فوق العادة لهذه المدارس التغريبية الشاذة!

والحمد لله أن رابطة الأدب الإسلامي قطعت أكثر من عقدين من الزمان، وتخطت فكرتها اليابس والماء، فالآن حصحص الحق، وبدا الصبح لكل ذي عينين، وتبين للجميع أن الحق أبلج، وأن الأيام لا تخبئ شيئًا، بل قادرة على أن تزيح الستار، عن الذين يختانون أنفسهم، والذين يلبسون الحق بالباطل، والذين يتآمرون على هوية الأمة وثقافتها.. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!.



(قصة قصيرة)

اللّعين..!

بعد غياب طويل، رجعتُ إلى مسقط رأسي، فرأيتُ كل شيء قد تغير، حتى أسماء الشوارع وسكانها.. سألتُ عن الشيخ؛ فأخبروني أنه مريض منذ عام أوْ يزيد.

على الفور، ذهبت لزيارته.. فوجدتُ الباب مغلقًا على غير المعهود، طرقتُ الباب.. لم يردّ أحد.. لكني سمعتُ أصواتًا تتخللها قهقهة عالية!

أعدتُ الطرق مرة بعد مرة.. فإذا بالخادم يفتح لي الباب، ولم يتمالك نفسه من فرط الضحك! سألته عن الشيخ، فقال: اذهب إليه في البيت الآخَر.

قلتُ: من الذي كان يتكلم معك؟ فقال عندما هممتُ بالخروج: وجدتُ إبليس اللّعين على عتبة الدار، فسألته عن حاله مع العباد، فقال: في الماضي كنتُ أُعلّم الناسَ طُرُق الضلال، أمّا الآن.. فأنا أتعلّم منهم طرق الضلال!

تعجّبتُ لكلامه.. وتركته لحاله، واتجهتُ إلى الشيخ في المنزل الآخَر، وفي أثناء الطريق بدا لي ألا أذهب في الحر الشديد، ترددتُ قليلاً.. ثم واصلتُ السير ببطء، فكأني بمن يقول لي: ربما لا تجد أحدًا هناك بعد هذا العناء!

أوشكتُ أن أرجع.. لولا أنه لم يبقَ سوى مسافة قصيرة بيني وبين العنوان الذي قصدتُه!

لما دخلتُ على الشيخ؛ وجدتُ عنده جمعًا غفيرًا من الناس، لم أعرف منهم سوى ثلاثة أوْ أربعة فقط من الشباب.. وقد سأله أحدهم عن سر مرضه، فقال الشيخ: رأيتُ «اللعين الأول» في المنام كأنه عريان، فقلتُ له: أمَا تستحي من الناس؟ فقال يا لله! أهؤلاء تحسبهم من الناس؟! لوْ كانوا منهم ما تلاعبتُ بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء، فقلتُ: ومَنْ هم؟ قال: جماعة موجودون في الجامع المهجور أقصى المدينة.. هؤلاء أضنوا قلبي، وأنحلوا جسمي، كلما هممتُ، أشاروا بالله.. حتى كادوا يحرقونني!

ما إنْ سمعتُ هذه القصة حتى استأذنتُ واتجهتُ على الفور إلى الجامع المهجور.. وفي الطريق الطويل، اعترضني شيخ عليه علامات الهيبة والوقار، وسألني في صالحال: أين تذهب؟ قلتُ: إلى الجامع المهجور، فقال- وهو يرتجف: أنصحك بالرجوع، ففي الطريق أسد ضار!

أصابني رعب شديد! ولَم أستطع السير يمينًا أوْ شمالاً.. حتى أبصرتُ شجرة صغيرة نائية، فاتجهتُ نحوها لأستظل بها.. فوجدتُ تحتها امرأة فاتنة، عليها من كل ألوان الزينة وأشكال الحلل والمفاتن، وكانت تبكي بكاءً حارًا.. فاقتربتُ منها، وسألتها ما بها؟ فقالت: انقطعتْ بي السبل، ولم أجد إنسانًا مُشفقًا أبيتُ عنده للغد، فاعتذرتُ لها بحجة أنَ مسكني بعيد جدًا، وأنني على سفر، فقالت: ألا تدلّني على محطة القطار؟ فقلت: لا يوجد هنا محطة للقطار، قالت: ألا تذهب معي إلى السوق لأبيع بعض المصوغات الذهبية.

فأصابني وجل شديد، وتوجستُ منها.. فاستعذتُ بالله، وهربتُ مواصلاً مسيرتي التي ابتدأتها منذ الصباح.. حتى وصلتُ الجامع المهجور بأقصى المدينة، فوجدتُ هناك نفرًا من العُبّاد في ركن بعيد، فلما اقتربتُ منهم، أومأ أحدهم برأسه قائلاً: أنت كلما قيل لكَ شيئًا تقبله!

ثم قال الآخر: هنيئًا لك.. لقد نجوتَ اليوم من «اللعين الأول»!

ولما طلبتُ منهم أن أُقيم عندهم.. أبوا بشدة، وقالوا: لن تحتمل! فلما ألححتُ عليهم في الطلب، قالوا: إذا خطر ببالك من الجمعة إلى الجمعة غير الله، فارحل من عندنا!

علمتُ أنني لن أحتمل.. وأثناء رجوعي، استوقفتني سيارة شرطة سوداء، خرج منها ضابط مكفهر الوجه، مقطب الجبين، وقال: اركب، قلتُ: لماذا؟ قال: اركب وستعرف بعد قليل.. ركبتُ السيارة فوجدتُ آخَرين محجوزين في السيارة، منهم نساء وأطفال صغار!

تنقلت بنا السيارة من مخفر إلى مخفر، ومن سجن إلى سجن.. وهناك استقبلونا بالشتيمة والضرب المبرح، دون أن نعرف ما السبب! بعدها ألقوا بنا في زنازين ضيقة مظلمة، فرأينا ما تشيبُ له الولدان.. رأينا أُناسًا قد مضى على سجنهم خمسون عامًا! ورأينا موتى لا أحد يعرف لهم عنوان! سألتُ مَنْ بجواري: لماذا جاءوا بك إلى هنا؟ قال: كما جيء بك! وسألتُ آخر السؤال ذاته.. فقال: كنتُ أشتري «كيلو بلح» لجارتي المريضة، فجرّني مخبر إلى هنا، وقال: يبدو أنكَ من هؤلاء الذين يصومون «الاثنين» و«الخميس»! قاطعنا



طفل صغير، قائلاً: أمّا أنا فقد كنتُ مرتديًا جلبابًا أبيض، فاتهموني بالانتماء للجماعات الدينية المتشددة!

في منتصف الليل، فتح مدير السجن الزنزانة.. وضرب أحد المساجين على وجهه بقوة، وسأله: ما هذه اللحية؟ فأجابه باستهزاء: أُسوةً بـ «البابا»!

أُصيبَ الضابط بصدمة شديدة، ونكّس رأسه خجلاً.. وعندما همّ بالرحيل طلب منه أحد المساجين- وكان رجلاً كهلاً مريضًا- أن يسمح له بالصلاة.. فردّ بازدراء وتجهّم: ما دمتَ تفكّر في الصلاة، فلن تخرج من هنا أبدًا!

اشتاط المساجين غيظًا من غطرسة مدير السجن وحماقته! وبلغ بهم الغضب مبلغه، مما جعل أحدهم يصرخ بأعلى صوته: إن إبليس اللعين- يا باشا- لا يستطع أن يمنع أحدًا من الصلاة!

فقال الرجل المريض- بصوت خاشع: لأنّ «اللّعين» كيده ضعيف!

أضاف آخر: نعم.. اللّعين الأول أرحم بكثير! فليس لديه وسائل التعذيب الجهنمية.. وليست عنده سجون ولا زنازين.. مثل هؤلاء الطغاة!

وقعت هذه الكلمات على مسامع المساجين، فأيقظتهم من غفلة طويلة، وفجّرت مواجعهم المكتومة، وأشعلت لهيب قلوبهم المحترقة.. وفي الحال؛ أمسكوا بمدير السجن وألقوه أرضًا، وانهالوا عليه ضربًا بالحجارة والأحذية، حتى أفقدوه وعيه.. وانطلق آخرون فهدموا جدران الزنازين وفتحوا أبوابها الموصدة، وراحوا يهتفون بأعلى أصواتهم: يحيا اللّعين الأول.. يحيا اللّعين الأول!

• محمد عبد الشافي

الصديق الأول

عبدالعزيز العسكر

جاءتك من نبع الهدى عصماء ... يهب الوليد همومه ونقوده
تدعو شقيًّا قد براه الداء ... وما عاقه عن دربه إغواء
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... هو مصلح هو ناصح لصغاره
وزن الأنام فما الأنام سواء (١) ... هو مشفق إن يبتلى الأبناء
هذا محب قد سعى لغنيمة ... من أجلهم قد ضيعت أحلامه
قد سابقته لنيلها اللؤماء ... ما ناله في سعيه إعياء
وكذا الصديق فإنه في عصرنا ... يقسو ولكن في سبيل صلاحهم
قد شاقه في صحبه الأسماء ... ويظل في هم وهم طلقاء
متربص في وجده وسكونه ... إن يقدموا تعلو نسائم بشره
ومراده أن يغفل الآباء ... وإذا مضوا فدموعه الأصداء
لينال حظا من حظوظ مزاجه ... أما أبي فمقامه ومكانه
قد حذَّرت من فعله الحكماء ... في ذروة من مهجتي بيضاء
إنيِّ بلوت الأصدقاء جميعهم ... يا لائمي فيما أقول وأدعي
فوجدت حبا قد علاه خواء ... خل الملام فكلنا خطاء
إلا صحابا قد سمو بعلومهم ... فلكم بكت في أهلنا من أعين
وصلاحهم تاج لهم وسناء ... لما سعت في صدنا الأهواء
فهم الرجال ومن لنا بوجودهم ... هم أرشدونا للفضيلة والتقى
عند الشدائد إن دعت هيجاء ... وصلاحنا من فضلهم آلاء
أما الأب الملهوف فهو سنادنا ... قد علمونا ما ينير طريقنا
في النائبات ودرعنا الوقاء ... ومنارهم في دربنا وضاء
ذاك الحبيب وقلبه حبل الوفاء ... يارب فاجز الوالدين بجنة
لحبيبه ومراده إعلاء ... وأدم سعادتهم وهم أحياء

١- الشطر الأول من البيت مقتبس من قول أبي تمام:

نقل فؤادك حيث شئت عن الهوى
ما الحب إلا للحبيب الأول

شاعر سعودي



ظاهرة الهروب إلى النصير في الشعر الديني المعاصر

علاء الدين رمضان

التيار الديني باب فسيح من أبواب الموضوعات الشعرية، حيث يضم تحت لوائه كلّ ما يتعلق بمشاعر ووجدان الشعراء وأشواقهم ورغباتهم وتطلعاتهم واتجاهاتهم العقدية ورؤياتهم تجاه الأحداث والشخصيات والمناسبات الدينية المختلفة، مع تأثرهم بالقيم والمثل الإسلامية.



التيار يعني تكريس الشاعر نصوصه لخدمة الغرض الديني الذي يجعله منطلقًا رئيسًا لقصائده، بخلاف المشاركة الدينية التي تعني أن الاتجاه الديني ليس هو المنطلق الأيديولوجي للشعراء، بل إنهم يكتبون قصائدهم الدينية بوصفها غرضا من بين أغراضهم الشعرية، وأعلاها قيمة ودلالة على منهجه هو التيار.

لكن هذا التيار الشعري الديني ينطوي على اختلاف مبين في المصطلح الدال عليه؛ إذ إنني أرى فروقًا بين الشعر الديني والإسلامي والملتزم، وأعلاها قمة- فيما أعتقد- هو الملتزم الذي اتخذ فيه شاعره من البعد العقدي روحًا لتفكيره، وجعل من تلك الروح قاعدة ومنطلقا وصبغة، حتى إنه يعيش حياته مصطبغًا بصبغة الله عز وجل، ويليه الشعر الإسلامي الذي يوافق ما جاء به الإسلام من شرائع وأحكام موافقة إما أن تكون صريحة وتقريرية إقرارية (في النظم)، حيث ينصّ الشاعر في شعره على كل ما له علاقة بالدين من شرائع وأحكام بصورة إقرارية تقريرية ناظمة غالبًا، أو أن تكون تلك الموافقة غير صريحة وغير إقرارية أو تقريرية (في الشعر الفني)، وإنما موافقته لها آنئذ موافقةُ تشبُّع وتشرُّب، لكن بقصد ظاهر عند الصياغة الشعرية.

أما مصطلح الشعر الديني فهو أكبر عمومية من التيارين الإسلامي والملتزم، من حيث المنهج والاتجاه، حيث يدخل تحت مظلته كل شعر ديني على اختلاف العقائد والشرائع التي ينتمي إليها الشعراء.

الاتجاه العقدي في الشعر

المضامين الشعرية التي عالجها شعراء التيار الديني تتضمن عددًا من القضايا والألوان والأغراض والموضوعات، منها قصائد الحب الإلهي ومناجاة الله عز وجل واللجوء إليه، والقصائد النبوية، بما فيها مدح الرسول الكريم والاستنجاد به والذود عنه، والتوسل والتشفع، والاحتفاء بذكرى مولده الكريم...، والتزهد والإعراض عن زخارف الدنيا، والاحتفال بالأعياد والاحتفاء بالمناسبات الدينية كصوم رمضان وعيد الفطر والحج وعيد الأضحى، وتوظيف التاريخ الإسلامي وأحداثه، وتسجيل وتأريخ الأحداث الكبرى، ويدخل ضمن هذا النطاق أيضًا استدعاء تلك الأحداث في الشعر استدعاء أقنعة، كذلك تناولوا مواقف أعلام الإسلام ورجالاته، وإعلاء قيمة الإنسان من المسلمين الأولين عامة والشهداء منهم خاصة، سواء أكانوا رجالًا أم نساء، كما تناولوا الإصلاح والتوجيه، والحديث عن المقدسات والجهاد والدعوة إلى مواجهة الأعداء والحث على الثبات عند ملاقاتهم، ومنه أيضًا التربية والحكمة،

كاتب مصري



والقيم الدينية الشرعية، وترسيخ السلوك الإسلامي، ومنه الشعر الإصلاحي الذي يتخذ من النقد الاجتماعي طريقًا لطرح موضوعاته.

ومن أبرز خصائص القصيدة الدينية الاعتماد على الاستمداد التعبيري والاقتباس من القرآن الكريم والسنة المطهرة، والآثار الحكيمة التي تنسب إلى السلف الصالح، ويعد التشبع بالعقيدة من أهم المقاييس الموضوعية والفنية في دراسة القصيدة الدينية عامة.

قصيدة الهروب إلى النصير

يعد الهروب إلى النصير من أشد أبواب الشعر الديني اتساعًا، حيث تدخل في الأغراض والموضوعات الأخرى، ومن الشعرا من جعل الهروب إلى النصير غرضًا مستقلا، كما فعل الشاعر الكبير جميل عبدالرحمن، فكان في قصيدته «رسالة إلى رسول الله»، صاحبَ مذاق إبداعي وموضوعي مختلف، حيث تحولت القصيدة بين يديه إلى لواعج متقدة تشكو إلى حضرة النبي ﷺ حال الأمة وما أصابها، فتحولت من المظهر السردي الذي استهل به الشاعر قصيدته بما يوحي بأنها تأريخ لحادثة الإسراء والمعراج (البراق انتظر.. مسرجًا شوقه للقاء)، ثم إذا بالشاعر لا يتحدث عن تلك الحادثة وإنما البراق المنتظر ليس سوى براق أرواحنا، والأمل يترقب من بين أسدال الليالي الحبالى بالوهن من بين ظلمات بعضها فوق بعض تدوس على قلوبنا، إنه الهروب إلى النصير:

البُراقُ انتظرْ
مُسْرجًا شوقه للقاء
والليالي الحَبَالى بعقم السيوف وخوف
الحتوف وجَدْب الرجال تُسائلُ عنك
فهلا ركبت البراق وصليت بالحائرين

الشاعر هنا يستمد رجاءه في الصلاة من قول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿...إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(من الآية: ١٠٣)، ويبدأ الشاعر تَطوافه على أحوالنا وأوضاع أمتنا حتى يصل إلى الدلالة الهدف، أو القصد الرئيس من درته الشعرية رسالة إلى رسول الله:

إيه يا سيدي

كيف نكبح ردَة أيامنا الفاجرة
والنصال بأعماقنا غائرة؟
اسرج الآن هذا البراق
وهات من الكوثر العذب
ماء الحياة يفك اليقين السجين..
وأعد...

الشاعر جميل عبدالرحمن صفت جذوته وتعمّقت رؤيته، فصار يزن الألفاظ ودلالاتها بميزان الذهب، فكما أوقفني إلى لفظ الصلاة في مطلع القصيدة، هاهو ذا يدفعني لتأمل مطالبه التي قدمها إلى رسول اللهﷺ، وقد جعل إطلاق اليقين السجين في رأسها، لأن كل أمورنا دون اليقين هباء، ثم تترى من بعد اليقين أمور تقيم أركان الحياة الأبية الكريمة:

أعد للسيوف الظُبَى
وأعد خالدًا في القلوب.. أعد صوته
والخيول حواليه تصهل
فأعد في القلوب اشتعال اليقين
وأعد للمواقيت فرسانها
وأعد للمواقيت فرسانها
وأعد للرؤى عزمها
وأعد راية الفتح من نومها

فإذا تأملنا تلك المطالب وجدنا أننا قد فقدنا أسباب وجودنا الحقيقية، وأن ما نحن فيه نتاج طبعي لأمة مهينة بلا قائد وقوات، بلا يقين وعقيدة، بلا علامات هدى وقدوات، بلا رغبة في الفعل أو العطاء، أمة بلا بأس، إذا اندفعت صوب الضياع يُقال لا بأس.

وكما هرب جميل عبدالرحمن إلى رسول الله يشكو لواعج زمانه، عالج الشاعر يوسف أبوالقاسم الشريف بالمنهج نفسه قصيدته إلى البيت الحرام، حيث استخدم فكرة الهروب إلى النصير، فهرب إلى البيت الحرام:

إني أنا العاصي الذي قد هده
ذنب وأرّقه فأين المهرب؟
ما حيلتي والشوق ملءُ جوانحي
والبيتُ ما أصبو إليه وأرغبُ؟
لما بدا في ناظريّ جلاله
والنور من فيض الجلال مُشَرّبُ
حارت تباريحي وخار تجلدي
ووقفتُ مأخوذًا به أتصبب
هذا مقام العارفين فلذ به
والعارفون لذي المقام تهيبوا
هذا هو البيت الحرام وكعبةُ
النور التي للعالمين المطلبُ
يممت قلبي شطره متبتلًا
هيمان تسبقني دموع تسكبُ
وجوارحي تبكي من الوجد الذي
سكن الفؤاد وبالجوى تتلهبُ



وبالمنطوق نفسه هرب الشاعر جميل عبدالرحمن أيضًا إلى القرآن الكريم يستمد منه ويستنجد به مما آلت إليه أحواله وأحوال الواقع من حوله:

لا تصدق دموعي
فعهود الهوان استباحت خضوعي
ولصوص التواريخ دسوا الشحوب
بكل شموس السطوع
فتنامى على ربوة الروح وردُ الصقيعِ
وأنا من زمان بعيد كُسِرْتُ
انطفأتُ وماتت أمام الرياح شموعي

ويبلغ الشاعر ذروة احتشاده الوجداني مستمدا من القرآن الكريم دعمه للتجربة موضوعيًا وفنيًا:.

الشياطينُ من كل واد تحاصرني بالرماح
ومدانا مرايا الجراح
آه يا سورة الرعد
ردي على سورة الزلزلة
أطلقي سورة الانشقاق
ببشرى عذاب أليم
آه يا سورة القارعة
ابدئي بالتلاوة ..
صُكّي وجوه البشاعة
دوسي رؤوس الوضاعَةِ
وامسخيهم على غدرهم خاسئين

وإذا كنت أعد قصيدة استدعاء النصير أو الهروب إليه لونًا من ألوان القصيدة الإصلاحية داخل التيار الديني، فذلك لأن دائرة القصيدة الإصلاحية قد اتسعت وتنوعت لكثرة تناول الشعراء لهذا الغرض في قصائدهم والتشبث بالمسحة الدينية والعقدية بهذا الخصوص، حتى في القصائد غير المكرسة للاتجاه الديني، وتبدأ الخطوة الإصلاحية بالشكوى من الزمن والواقع، يقول الشاعر أحمد المنشاوي في قصيدته الاجتماعية «حريتي»:

لله أشكو غربة النفس التي
رحلت بعمري دونما استئذان

فالشاعر يلجأ إلى الله عز وجل، كما لجأ الشاعر يوسف أبوالقاسم، شاكيًا زمنه قائلا:

رباه ما زمني سوى
زمن به الشر انطلق
والخير فارق أرضنا
والنور في القلب احترق

ولم يكن البعد الإصلاحي عند الشعراء مقصورًا على الرصد الناقد للأحوال المتردية أو النصح أو التوجيه أو تناول موضوعات تقويمية أو تقييمية، بل تناول موضوعات تعد جديدة على القصيدة الدينية، مثل التعريض بإحكام القبضة على الملتزمين من المسلمين أو مواجهة السلطة المتربصة بهم، يقول الشاعر يوسف أبوالقاسم في قصيدته «الجرم أنا مسلمون»:

سلم على أهل البقيع
واذهب إلى قبر النبي
أخبره أن البحر هاج
والموجُ يعصف بالسفينة
رُبانها ضل الطريق
أشلاؤها فوق الوجوه المستكينة
إنا نسائل سيدي كيف الخلاص؟

هذا فيما يخص فكرة الهروب إلى النصير في سياق القضايا الموضوعية للتيار الديني، أما القضايا الفنية فكان أبرزها قضية الالتزام السلوكي والتعبيري، ويجب أن نفرق هنا بين لونين من الشعر الديني الحديث:

أولهما الشعر الصوفي، والحكم الفني هنا لا علاقة له بالأحكام الشرعية، والآخر الشعر الملتزم بمعايير أهل السنة، وهو شعر مقيد في أفكاره من بعض الجوانب التي خاض فيها الشعر الصوفي كالامتزاج والذوبان والحلول والتماهي والالتباس الكنهي واختلاط الهوية بين الذات العلية والمحب، وما شابه ذلك مما ينافي عقيدة أهل السنة.

فالشعر الصوفي أباح لنفسه التوسل والمغالاة في الاتكالية وتضخيم حالة ترقب المدد من خارج الذات، وهو لون سادر في سلبيته بعيد عن التيار الحقيقي للمجتمع، بينما الشعر الملتزم بمعايير أهل السنة، وأنا أتكلم هنا عن القصيدة الفنية لا النظم، فهو شعر فاعل محرض على التمسك بالقيمة الذاتية للفرد داخل إطار النطاق الديني الجمعي، وهو شعر يدعو إلى الإيجابية في تناول القضايا والمساهمة في التغيير والإصلاح.

الهوامش

■ نماذج المقالة مستمدة من دواوين الشعراء:
■ جميل عبدالرحمن: نزيف النخيل، هيئة الكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م.(ودواوين أخرى).

لماذا نخاف من تعريب الطب؟

د. يحيى محمود أبوالمعاطي



عندما نقرأ كتب التراث، نجد أوصافًا لجسم الإنسان، وأسماء لأمراض، نحار فيما هو مقصود بها، على الرغم من أنها كلمات عربية فصيحة، لكن هذه الألفاظ أصبحت غير متداولة بين الناس، ولا تتناقلها ألسنة الأطباء، وأصبحت هناك ألفاظ أخرى هي المستعملة، مما جعل هذه الألفاظ الموجودة في كتب التراث مستهجنة، وأدى ذلك إلى شيء آخر قد يكون أكثر خطورة وهو خوف الأطباء من تعريب الطب، وظنهم أن استعمال اللغة العربية سيجعل الطب أكثر صعوبة من حيث الفهم، والتواصل مع ما هو جديد في عالم الطب.

وحتى يكون هذا الطرح واضحًا نورد بعض الأمثلة، كلمة مثل «بؤبؤ»: ويقصد بها إنسان العين، «الأمق»: ويقصد بها زاوية العين ناحية الأنف، «الأطرة»: ما أحاط بالظفر من لحم، «الفريصة»: عضلة الصدر، «خِنَّابتا الأنف»: فتحتا الأنف، «الوَجنة»: أما ارتفع من الخدين، «الصماخ»: قناة الأذن التي توصل إلى الطبلة، «الوتين»: شريان الأورطي.

وهذه ألفاظ عربية سهلة، لكنها لا تستخدم، ولو استخدمت لأصبحت أفضل بكثير من الألفاظ الأجنبية، وبعض الأطباء يفضل استخدام الألفاظ الأجنبية، يقول: لماذا نقول: «كعبرة»، كلمة «radius» أفضل منها، لماذا نقول: «زند»، كلمة «uina» أفضل منها، لماذا نقول: ك «دهليز»، كلمة «vvestibule» أفضل، ويتوقف البعض عند أسماء الأمراض، ويفضل الألفاظ الأجنبية، على سبيل المثال:

- مرض التضخم الطرفي – acromegaly
- مرض خزب الجلد – scleroderma
- احتشاء عضلة القلب myocardial intarchion
- ارتشاح رئوي – pulmanaary
- ذات الرئة – pneumania
- ذات الجنب – pleurisy

ولا أدري ما الذي يمنع استخدام هذه الأسماء العربية؟ وما الذي يجعل الأسماء الأجنبية أفضل منها؟

صحيح أن الأطباء حاليًا لا يقولون: ذات الرئة، ويستخدمون مصطلح التهاب رئوي، ولا يقولون: ذات الجنب ويقولون: التهاب الغشاء البلوري:، وهنا لا توجد مشكلة من استخدام هذا اللفظ أو ذاك مادام لفظًا عربيًا فصيحًا.

وقد تكون المشكلة في التعريب، حيث يتم ترك كلمة سهلة، واستخدام كلمة صعبة نادرة الاستخدام، ومثال على ذلك كلمة «أنسي» تستخدم كترجمة لكلمة «medial» وأفضل منها كلمة «وسطي» كما هو موجود في بعض القواميس وكلمة «وحشي» وتستخدم كترجمة لكلمة «lateral» وأفضل منها كلمة «جانبي»، فالذي يتصدى لعملية التعريب يجب عليه استخدام الكلمات السهلة، غير المستهجنة، حتى لا يصد الناس عن استخدام الألفاظ العربية.

ولاشك في أن استخدام اللغة العربية في دراسة الطب يجعل للكلمات معنى عميقا لا يتأتى مع استخدام اللغات الأجنبية، مما يجعل تقدمنا العلمي مرهونا باستخدام اللغة العربية، التي نفكر بها، ونتعامل بها، وقد رأينا الدول المتقدمة تستخدم لغاتها في دراسة الطب والعلم، مع العلم بأن بعض هذه اللغات لا ينطق بها إلا بضعة ملايين، أما لغتنا العربية فينطق بها مئات الملايين من العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم، وهي لغة القرآن الكريم الذي يجمع الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف: ٢).

إن المخاوف التي تراود البعض من تعريب الطب والعلم ما هي إلا أوهام لا أساس لها، ومما يبدد هذه المخاوف أن يكتب الأطباء والعلماء الموضوعات الطبية والعلمية باللغة العربية، وان يتحدثوا في المؤتمرات والندوات العلمية باللغة العربية، وبالتدريج ستصبح اللغة العربية هي لغة الطب والعلم، وعندها ستبدأ النهضة الطبية والعلمية الحقيقية.

باحث أكاديمي

المراجع

- القرآن الكريم.
- البعلبكي، المورد الحديث، دار العلم للملايين ٢٠٠٨.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق عبدالله المنشاوي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

مصابيح الجامع

- شرحُ الجامع الصحيح للإمام البخاريّ المشتملُ على بيان تراجمه وأبوابه وغريبه و إعرابه -

التحرير

إن خدمة السنة النبوية وحماية حماها من أعظم الأعمال وأشرف العلوم، لذلك فقد تنافس العلماء في نيل ذلك الشرف الأسمى، وتلك المكانة العليا، فكان الإمام البخاري، رحمه الله، ممن حاز قصب السبق في هذا المجال، فجمع قسمًا من السنة في كتابه الجامع الصحيح فنال كتابه القبول عند الأمة، حيث إنه وُسم بأصحِّ كتاب بعد كتاب الله عز وجل؛ لأجل ذلك تسابق علماء الإسلام إلى تداوله والعناية به حفظًا ودراسة وشرحًا واختصارًا، فكثرت التصانيف حوله، وكان من بين تلك التصانيف هذا الكتاب الذي وصفه مؤلفه بأنه: «نكت ساطعة الأنوار، عالية المقدار، ماحية ظلم المشكلات البهيمة، هادية إلى أوضح الطرق المستقيمة، مصابيح تحسدها الثريا، وتبدو لمجتلي معانيها محاسنها مشرقة المحيا، تحتوي على غريب يؤنس بتفسيره، وإعراب تفتقر أعجاز الكلمات إلى صدوره، وفائدة بيانية يشهد الذوق السليم بحلاوة مجانيها، ودليل يحتمله متن الحديث، وفرع غريب قلّ من ذكره من قديم وحديث، وتنبيه طالما كانت العيون عنه وسنة، ونكت هي في وجه هذا التأليف حسنة، إلى غير ذلك من مباحث حلوة الجنى، وفَوائد يصبح مالكها في غنى عن العنى».

لقد ألف الدماميني، رحمه الله، هذا الكتاب للسلطان أحمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه، أحد ملوك الهند، كما أنه قد كتبه وهو على جناح السفر.

التعريف بالكتاب

الفن: شرح الحديث.

سنة النشر: ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

رقم الطبعة: الأولى.

عدد المجلدات: ١٠ مجلدات.

إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر.

التعريف بالمصنِّف

هو القاضي العلامة محمد بن أبي بكر الدماميني المالكي، وُلد سنة ٧٦٣هـ، ونشأ في الإسكندرية وبها تعلّم وتفقّه وبرز بين أقرانه، ثم قدم على القاهرة وتصدر للإقراء بالأزهر الشريف، ورحل إلى اليمن ونال بها شهرة علمية ورياسة تعليمية، ومنها ارتحل إلى الهند فعظمه طلبة العلم وأهل الخير أيما تعظيم وبقي فيها إلى وفاته سنة ٨٢٧هـ.

من مؤلفاته

-تحفة الغريب، في النحو، وهو حاشية على «مغني اللبيب» لابن هشام.

-نزول الغيث، وهو انتقادٌ لكتاب «الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم» للصلاح الصفدي.

-إظهار التعليل المغلق لوجوب حذف عامل المفعول المطلق.

-تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد.

-جواهر البحور، وهي قصيدة في العَروض.

-مصابيح الجامع، وهو كتابنا هذا الذي نعرِّف به.

-منهج الدماميني في كتابه مصابيح الجامع

-شرح غريب الألفاظ والمعاني.

-إيراد الفوائد البيانية.

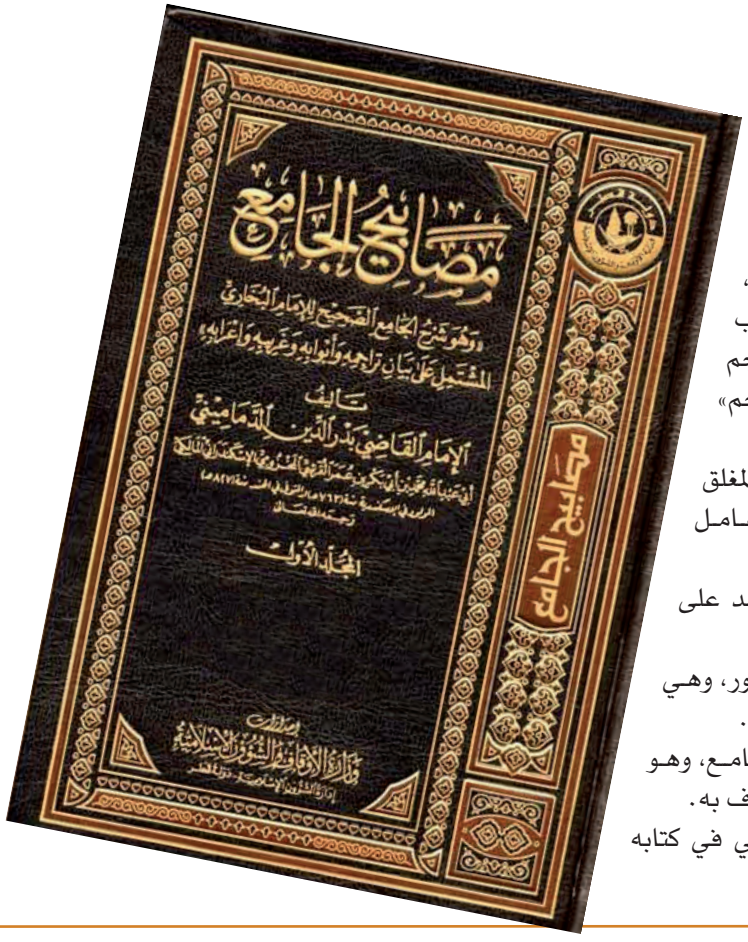
-سياق الأدلة القرآنية والنبوية.

-مناقشة الفروع الفقهية والحديثية الغريبة.

-إيراد النكت العلمية البديعة.

-مراعاة الاختصار قدر الإمكان.

-انتقاد كثير من الأئمة في مسائل علمية، أكثرها في النحو والعربية، من أبرزهم الإمام الزركشي.



من موارد المصنف في كتابه

-اعتمد، رحمه الله، على جملة مصادر منها:

-التنقيح لشرح الجامع الصحيح للزركشي.

-شرح ابن المنير على البخاري.

-مغني اللبيب لابن هشام.

-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

-الإبهاج للسبكي.

-الإحكام لابن دقيق العيد.

-أساس البلاغة للزمخشري.

-الأمالي النحوية لابن الحاجب.

-عيون الأثر لابن سيد الناس.

-الكتاب لسيبويه.

-الفائق في غريب الحديث للزمخشري.

-الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب.

-التسهيل لابن مالك.

-تغليق التعليق لابن حجر.

أهمية الكتاب

- يعد كتاب المصابيح من أهم مصادر شروح صحيح البخاري.. في الغريب وتحقيق الرواية وحل مشكلات الإعراب وتوضيح مبهمات الإسناد، وغيرها.

- كثرة التعقبات والاستدراكات والمناقشات المتناثرة في الكتاب، مما يجعله مفيدًا للناظر المحقق.

آداب العيد

محمد مصطفى ناصيف

ارتبطت الأعياد في الإسلام بمواقف مشهودة وعبادات جليلة وأمجاد يتحقق فيها البعد الروحي العميق، ويكون لها من العموم والشمول ما يجعل الناس جميعا يشاركون في تحقيقها ويستشعرون آثارها المباركة.. حيث سمي العيد لعوده بالخير والغبطة والسرور على أهله بعد قيامهم بواجب دوري يتكرر أو احتفالا بذكرى غالية، وللمسلمين عيدان سنويان هما: عيد الفطر ويرتبط بشهر رمضان المبارك، وعيد الأضحى ويرتبط بمناسك الحج، وهناك عيد أسبوعي يلتقي فيه المسلمون على صلاة جامعة وتوجيه راشد هو يوم الجمعة.

والعيد هو يوم الشكر لله على ما أنعم وتفضل وهو يوم مكافأه إلهية كريمة.. أباح فيه الإسلام إظهار الفرح والأخذ من الطيبات والراحة والاستجمام وشيئا من اللهو المباح لإعادة شحن قوى النفس، ومحطة لمواصلة الطريق على الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله ورسوله ﷺ موصولا بمعاني الآخرة وغير مقتصر على مظاهر التسلية المؤقتة.

وللعيد آداب إسلامية، على المسلم عدم تجاوزها، وأعراف عليه ألا يتعداها فيطلق لنفسه العنان لتستبيح ما حرم الله، وإفساد أيام قضاها في الطاعة والعبادة.. نذكر منها:

■ إحياء ليلة العيد بأنواع العبادات والقربات وأن يجعل منها آخر أيام اعتكافه.. كما كان يفعل رسول البشرية ﷺ، فعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة، ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر» رواه ابن عساكر.

■ إخراج زكاة الفطر قبل الصلاة والتبكير في إخراجها، وجوازه في رمضان، والاغتسال وتطييب البدن ولبس أجمل الثياب والإكثار من التكبير من ليلة العيد (للفطر) وحتى الدخول في صلاتها، بينما التكبير لعيد الأضحى يستمر عقب صلاة جميع الفرائض من صباح يوم عرفة إلى غروب شمس اليوم الثالث من أيام التشريق.

■ إظهار البشاشة والفرح والسرور والإكثار من ألوان البر والصدقات.

■ التبكير في التوجه إلى صلاة العيدين وتناول شيء من الطعام قبل صلاة الفطر، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا (رواه البخاري) ولا يأكل يوم الأضحى ولا ينحر أضحيته حتى يرجع من الصلاة.

■ السلام على الأهل والإخوة والأصدقاء والجيران والمعارف وجميع المسلمين بعد الصلاة قائلا: تقبل الله منا ومنكم.

■ زيادة الطاعات والإكثار من أعمال الخير والبر وتجنب المعاصي والذنوب والملاهي المحرمة.

فليس العيد لمن لبس الجديد.. إنما العيد لمن طاعته تزيد.

وليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة.. إنما العيد لمن أمن عذاب الآخرة.

ومن عصى الله يوم العيد.. كمن عصاه يوم الوعيد.

وكل يوم نعود فيه إلى رحاب الله نصلح من شأننا.. هو يوم عيد.

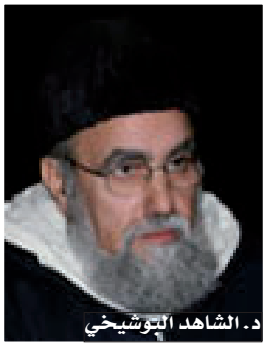
ومن السنة إظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد، ويدعو الإسلام إلى التواصل والتراحم، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة.. فعن جبير بن نفير قال: « كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك».

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

حواشي منهجية على مشروع «مصطلحات علوم القرآن»

د.محمد إقبال عروي

طبيعة الإنجاز في مشروع «مصطلحات علوم القرآن» داعية إلى الشعور بالغبطة والسرور، ذلك أنه تجاوز الجهود الفردية التي مهما أجاد أصحابها وأفادوا، تبقى قاصرة عن استيعاب حجم المطلوب، منهجيا وعلميا وحضاريا، واختار أن يرتاد آفاق العمل المؤسسي القائم على تكامل الجهود الفردية والجماعية وفق خطة بحثية وإشراف تحريري وعلمي مشترك.


د. الشاهد البوشيخي


د. عبدالحليم عويس

الحقيقة أن مشروع «مصطلحات علوم القرآن» الذي أنجزه فريق العمل بإشراف الدكتور عبدالحليم عويس ينتمي إلى مشروع أضخم وهو «موسوعة مصطلحات الحضارة الإسلامية».

ويكفي المشروع فخرًا أنه مشروع علمي متكامل، يستوعب أهم مجالات الفكر الإسلامي وأرحبها.

فكرة المشروع.. والقائمون عليه

تتلخص فكرة هذا المشروع في «إعداد مصدر علمي ميسر واسع الانتشار، يستمد مادته من التراث الحضاري الإسلامي وحده، محددا مصطلحاته المتداولة فيه تحديدا علميا دقيقا حسب استعماله في مصادر التراث»(١).

وقد جاء الإنجاز الأول من المشروع خاصا بمصطلحات علوم القرآن، على أن تعقبه مجاميع أخرى تخص مصطلحات علوم الحديث والفقه والأصول وغيرها من العلوم التي نمت وازدهرت في ظل الحضارة الإسلامية.

والقائمون على هذا المشروع نخبة من أهل الفكر والاجتهاد، وفي مقدمتهم د.عبدالحليم عويس، ود.محمد سليم العوا، ود.محمد عمارة، والدكتور محمد زقزوق، والدكتور علي جمعة، ود.علي عبدالحميد محمود، ود.توفيق الواعي، ود.حسن الشافعي، ود.جمال الدين عطية، ود.عبده زايد، ود.محمد هيثم الخياط، إضافة إلى هيئة التحرير التي تضم ١٣ باحثا.

ملحوظات منهجية حول الموسوعة

ونحن حين نسعى إلى تقديم بعض الحواشي المنهجية على الجزء المنجز من المشروع، لا ننكر الجوانب الإيجابية الكثيرة التي حققها، ولا نغفل النتائج الطيبة التي توصل إليها، لكن جرى العرف العلمي والأكاديمي على أن تقديم الملحوظات يعد عملا داخلا في باب الحرص على تجويد الأداء، خاصة أن المشروع في مراحله الأولى.

مصطلحات علوم القرآن أم مفردات القرآن الكريم؟

يفاجأ الدارس لأجزاء الموسوعة الثلاثة حين يلاحظ أن هناك مزجا بين مصطلحات علوم القرآن والمفردات القرآنية، وتتقوى مفاجأته حين لا يجد أي تفسير منهجي لهذا المزج في مقدمة الكتاب، مما يعطي للسؤال مشروعيته: فهل نحن إزاء مصطلحات علوم القرآن، أم أن الأمر متصل بمفردات ألفاظ القرآن؟

فإذا كان الأمر مقتصرا على مصطلحات علوم القرآن، فإن هذه المصطلحات معروفة لدى المتعاملين مع كتب علوم القرآن والتفسير والمختصين فيه، بل إنها معهودة عند طلبة تلك العلوم، ولا يقع ضمن مجالها كلمات من مثل: الأفواج، والأفول، والانزلاق والأنساب، والقصف، والمثول، والنفع، والخصم، والظفر، والعقر، والبرد، وغيرها من المفردات التي ملأت مساحات واسعة من الموسوعة.

أما إذا كان الأمر عاما في مفردات ألفاظ القرآن، فلا معنى لأن تأتي صفحات الموسوعة خالية من ذكر العديد من المفردات القرآنية، من مثل: الحسنة والباطل والهوان والتزكية والبديع والفصل وغيرها، إذ كل مفردات القرآن تصير، وفق الرؤية السابقة، قابلة لأن تدرج ضمن الموسوعة.

حقيقة أن بعض مصطلحات علوم القرآن ترتد إلى مفردات القرآن الكريم، من مثل: الآية والسورة والنسخ والنزول والقرآن والوحي والفاصلة القرآنية، لكنها صارت من ضمن مصطلحات علوم القرآن من خلال الاستعمال العلمي الخاص بها لدى علماء التفسير والمصنفين في علوم القرآن، ولم تكتسب اصطلاحيتها من خلال سياق ورودها القرآني.

وهذا يكشف عن خلل منهجي واضح

مستشار بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

في بناء الموسوعة، إذ لا يصل الدارس إلى جواب واضح حول أي رؤية اعتمدتها الموسوعة، هل اعتمدت رؤية الاقتصار على مصطلحات علوم القرآن، بالمعنى الاصطلاحي للمصطلح، وبالمعنى المجالي لعلوم القرآن، أم أنها اعتمدت رؤية المفردات القرآنية الشاملة، أم اختارت رؤية المفردات القرآنية التي غدت مصطلحات لعلوم القرآن؟

وفي جميع الأحوال، فإن الرؤية الثانية، أي جمع جميع المفردات القرآنية، لا تعلق لها بالدراسة المصطلحية، ولا كبير فائدة يرجى منها، لأنها شبيهة بالتفسير الذي تستوعبه مجلدات التفسير قديما وحديثا، مما يغني ويفي، وقد يجعل حقل الموسوعة شبيها بحاطب ليل.

بين مصطلحات علوم القرآن ومصطلحات البلاغة القرآنية اندماج أم استقلال؟

يصل الدارس للموسوعة إلى معطى جوهري، وهو أن المشرفين عليها آثروا أن يدمجوا مصطلحات البلاغة القرآنية ضمن مصطلحات علوم القرآن، ولم يكن صنيعهم هذا بدعا، إذ إن كتب التراث شاهدة على هذا الدمج من أمثال «البرهان في علوم القرآن» للزركشي و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي وغيرهما، لكن الاستدراك يرد من جهة أن التطور التاريخي لعلم البلاغة جعل هذا العلم يستقل، ويشكل له إطاره المعرفي والمنهجي والمصطلحي داخل البيئة الحضارية الإسلامية، مما يستدعي إفراد علم البلاغة بمجلد خاص، فهي لا تقل أهمية، في استقلاليتها وقوتها وعطائها الكمي والنوعي، عن حقول التفسير والفقه والأصول والمنطق وغيرها.

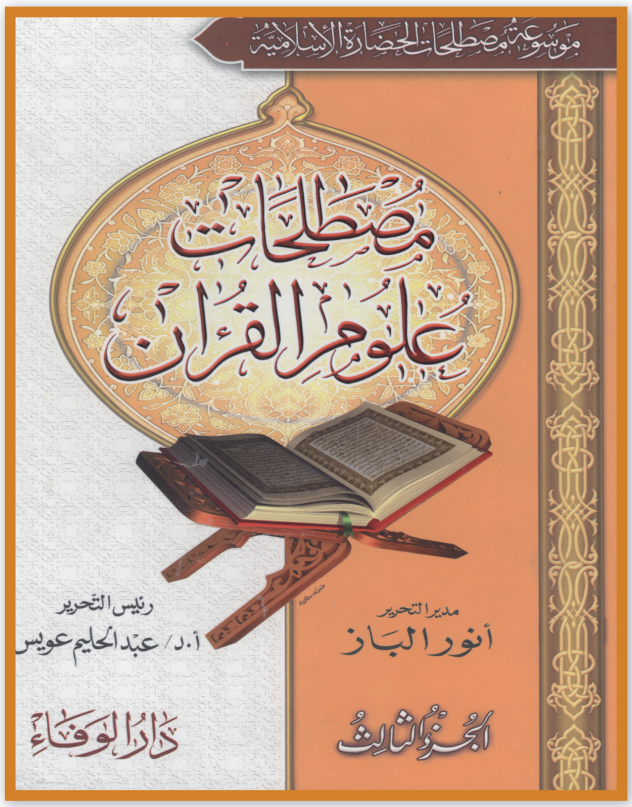
ومما يقوي درجة هذا الاستدراك وفعاليته المنهجية والمعرفية أن الموسوعة، وهي تدمج مصطلحات البلاغة القرآنية ضمن مصطلحات علوم القرآن، وقعت في الهنات الآتية:

أ- لم تستقص جميع مصطلحات البلاغة القرآنية، واكتفت ببعضها.

ب- لم توضح أبعاد الحقل البلاغي ومكوناته وأقسامه بين يدي تعريفها لمصطلح البلاغة، إذ لا يعثر القارئ على أي إشارة لتقسيماتها إلى «بيان» و«معاني» و«بديع»، ولم يحدد الموقف من تلك التقسيمات، هل هي تقسيمات أصيلة في التراث البلاغي، وهذا بعيد، أم أنها تقسيمات تاريخية جاءت وليدة التأثير المنطقي في البلاغة العربية، وثمرة من ثمرات الافتتان بالأجناس والأنواع والأقسام؟ ولعل هذا هو الراجح(٢).

ج- لم تلتفت إلى الفروق الدلالية في بعض المصطلحات، فتعاملت معها باعتبارها من المترادفات، بينما يقع بينها فروق في مقوماتها الدلالية، مما يستدعي إفراد كل واحد منها بدلالته الخاصة، وسأقتصر على مثال واحد، وهو: «التعليل» و«حسن التعليل»، فقد جعلتهما الموسوعة مصطلحين، وهذا هو الأصل، لكنها عرفتهما تعريفا واحدا، مما يجعلهما، في نهاية المحصلة، مصطلحا واحدا تنحصر دلالته في «ذكر الحكم مصحوبا بالعلة»(٣) أو «ذكر علة الحكم المراد وقوعه»(٤)، ولا فرق بينهما سوى أنه في حسن التعليل، من خلال مذهب الموسوعة، تذكر العلة أولا، ثم الحكم ثانيا، بينما في التعليل، يذكر الحكم أولا، ثم العلة ثانيا.

المشروع يستمد مادته من التراث الحضاري الإسلامي محدداً مصطلحاته تحديداً علمياً دقيقاً



والتحقيق العلمي مفض إلى اعتبارهما مصطلحين متباينين في مقوماتهما الدلالية، وخاصة في مقومي «التحقيق» و«التخييل». ففي التعليل تكون العلة حقيقية واقعية، أما في حسن التعليل، فتكون العلة متخيلة متوهمة من إبداع خيال الشاعر، ولا صلة لها بالواقع والحقيقة.

ومن أمثلة التعليل قوله تعالى على لسان قوم قارون: ﴿لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا...﴾(سورة القصص/٨٢)، بمعنى أن نجاتهم من الخسف كانت بسبب منة الله عليهم ورحمته بهم.

وليس في القرآن حسن التعليل، لأن القرآن خطاب من الحق تعالى، لا يتصور فيه تخييل أو توهم.

ومن أمثلة حسن التعليل قول الشيخ يوسف النبهاني في قصيدته في مدح الرسول الكريم ﷺ:

هو حي في قبره ولهذا حُرِمت من تراثه الزهراءُ (٥)

فمعلوم أن علة حرمان فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ميراث والدها محمدﷺ أنه نبي، لكن الشاعر تلطف في إيراد علة متخيلة، وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم مازال حيا في قبره، وهذا علة حرمان عقبه من الإرث..

والشعر العربي زاخر بأمثلة حسن التعليل، مثل قول المتنبي:

لم تحك نائلَك السحابُ

وإنما حُمت فصببيها الرُحَضاءُ(٦)

إذ العلة المنطقية لنزول الغيث معلومة، لكن الشاعر تخيل علة أخرى، وهي أن السحاب أصيب بالحمى من شدة غيرته وهو يرى فعل الممدوح الجواد بالأعطيات والهبات.

واعتمادا على ثنائية «التحقيق» و«التخييل»، رفض بعض الدارسين إلحاق حسن التحليل ببلاغة القرآن الكريم، لأن في ذلك مظنة وصفه بالتوهم، أو إلحاقه بخيالات الشعراء، يقول د.الشحات محمد أبوستيت: «وينبغي التنبيه إلى الاختلاف بين حسن التعليل والتعليل الحقيقي، فحسن التعليل لون بديعي يقوم على التخييل والادعاء، لا على الحقيقة، والعلل فيه علل خيالية غير مطابقة للواقع.. ومن هنا لا توجد شواهد له في القرآن الكريم، لأنه لون مرتبط بالخيال والبعد عن الواقع والحقيقة، والقرآن الكريم كتاب الحق الذي ينطق بالحق، ويتحدث بالحقيقة»(٧).

ولهذا، فالدارس يعترض على ما ذهب إليه د.أحمد مطلوب في معجمه حول مصطلحات البلاغة العربية وتطورها، فقد أفرد للتعليل بابا في صفحة(٢٩٠)، ثم ذكر «حسن التعليل» في صفحة (٤٦٣)، وقال عنه: «هو التعليل»، وهذا غير صحيح، إذ بينهما اختلاف جوهري ألا وهو «التحقيق» و«التخييل».



بين مصطلحات علوم القرآن ومصطلحات علم النحو.. استقلال أم اندماج؟

والأمر نفسه جار مع مصطلحات علم النحو، فقد اختارت الموسوعة أن تدمجها مع مصطلحات علوم القرآن، من مثل: الإبدال والإقلاب والترادف والحرف المشدد وغيرها، مع العلم أن التطور التاريخي انتهى بعلم النحو إلى أن يصير علما مستقلا في مجاله وآلياته ومصطلحاته، فلمَ لا يفرد له جزء أو أجزاء خاصة؟

مع الإشارة إلى أن الموسوعة أخلت، مرة ثانية، بشرط الاستقصاء والتتبع، فكونها أدخلت مصطلحات علم النحو ضمن مصطلحات علوم القرآن، فإن ذلك يتطلب منها، من باب اللزوم والاقتضاء، أن تذكر جميع مصطلحات علم النحو، وهذا لم يحصل، فدخل الموسوعة، بسببه، نقص ملحوظ، لن يجبر إلا باستدراك منهجي قوامه الفصل بين الحقلين، حقل مصطلحات علوم القرآن وحقل مصطلحات علم النحو، وتخصيص أجزاء للثاني استجابة لمنطق الاستقلال الذي انتهت إليه تلك العلوم في الحضارة الإسلامية.

وهذا لا يعني إغفال التداخل والتوارد والتشابه المصطلحي والدلالي في عديد من مصطلحات علوم القرآن وعلم النحو وغيرها من المصطلحات، لكن المنهج يقتضي إيراد المصطلحات بالدلالة العلمية لها، فقد يكون المصطلح يستعمل في أكثر من حقل معرفي، لكن بدلالات مختلفة، والتوصيف قاض بذكرها مع سياقاتها المتباينة، استكمالا لمنهج الاستقراء والاستقصاء والجمع الموسوعي.

يظهر هذا جليا مع مصطلحات كثيرة، نقتصر على واحد منها وهو «الإسناد»، فظاهر أنه يستعمل في علم النحو بدلالة معينة، لكنه يستعمل في علم القراءات القرآنية بدلالة مغايرة تتصل بالسند الذي يعد أبرز أركان تلقي القراءات، لكن الموسوعة ذكرته بالدلالة القرائية، ولم تورده بالدلالة النحوية، مع أنها عرفت ببعض المصطلحات النحوية.

بين مصطلحات علوم القرآن ومصطلحات الفكر الإسلامي.. استقلال أم اندماج؟

وتنصرف الملاحظة نفسها على مصطلحات الفكر الإسلامي، فمعلوم أن مآلات هذا الحقل جعلته يستقل عن بقية العلوم الإسلامية، ويكوّن له منهجا خاصا في الاصطلاح والاستدلال والبرهان، بل كان له رواده ومدارسه واتجاهاته، مما يجعل الأصل أن يفرد، هو الآخر، بأجزاء خاصة به.

لكن الموسوعة أغفلت هذا، وركنت إلى الدمج، فأوردت مصطلحات تنتمي إلى الفكر الإسلامي ضمن مصطلحات علوم القرآن، من مثل: الأخذ بالأسباب، والأخلاق، والاستخلاف، والانهيار الحضاري، والتدافع، ودار الحرب، ودار

الإسلام، والفكر الحضاري وغيرها، لكنه دمج فقد قوته المنهجية والمعرفية من خلال ضمور البناء المنهجي والمعرفي لتلك المصطلحات، ومن خلال هيمنة الاقتصار على إيراد الدلالة اللغوية لها إلا نادرا.

خلو الموسوعة من مصطلحات تنتمي إلى علوم القرآن

عنوان الأجزاء المنجزة من موسوعة «مصطلحات الحضارة الإسلامية» دال على مضمونها، فهو «مصطلحات علوم القرآن»، مما يدل على أن المعيار المحتكم إليه في إدراج أي مصطلح هو علاقته بعلوم القرآن، ومن عجب أن الموسوعة أدخلت مفردات لا صلة لها بعلوم القرآن، وأهملت مصطلحات تعد من لحمة علوم القرآن وسداها، وذلك من مثل: الترجيح، وقواعد التفسير، والتناسب، والسياق، والفاصلة القرآنية، ومناهج التفسير، واتجاهات التفسير، ومدارس التفسير، والمشكل، والاستخدام وغيرها...

ولم يقتصر الوضع على هذا الإهمال المصطلحي، بل رافقه إهمال دلالي ملحوظ، وذلك حين إيراد الموسوعة لمصطلحات واردة في علوم القرآن، لكنها قدمت لها دلالات عدة، وأهملت الدلالة الاصطلاحية في مجال علوم القرآن، وقد ظهر هذا في نماذج عديدة، نقتصر على واحد منها، وهو مصطلح «التنكيس»، فقد وردت مادة «نكس» في الجزء الثالث من الموسوعة، (ص:٤٧٠)، وقدمت لها دلالاتها اللغوية، لكن لم يلتفت إلى دلالتها الاصطلاحية في علم القراءات القرآنية، وفيها بقية من الدلالة اللغوية، وهي: قراءة الكلمة أو الآية أو السورة من آخرها إلى مقدمتها، وهو فعل منهي عنه في الكلمة والآية والسورة، وجائز، على الأعم في القرآن الكريم، بمعنى قراءة سورة آل عمران ثم العودة إلى سورة البقرة.

غياب المراجع المصطلحية في الموسوعة

جرى العرف الأكاديمي والمنهجي والمعرفي أن المراجع المعتمدة في أي

القائمون على المشروع ثلة من أهل الفكر والاجتهاد يسعون إلى إنتاج «موسوعة مصطلحات الحضارة الإسلامية»

مشروع إنما هي مسانيد وركائز ومنارات في طريق البحث، والملاحظ أن موسوعة «مصطلحات علوم القرآن» اعتمدت على مصادر ومراجع متعددة ومتنوعة في حقولها المعرفية، لكنها أغفلت الاعتماد على مصادر ومراجع تدخل في صلب الجهود المصطلحية على المستوى النظري والمنهجي والتطبيقي، فلا يعثر القارئ على مراجع في «علم المصطلح» و«المصطلحية» و«الدراسات المصطلحية»، مما صار علما له مدارسه واتجاهاته وأعلامه ومعاهده، وهي مراجع من مشرق العالم العربي ومغربه، منها ما أنتجه د.علي القاسمي ود.عبدالسلام المسدي ود.إدريس نقوري ود.فهمي حجازي ود.سعيد شبار ود.فريد الأنصاري، رحمه الله، ود.الشاهد البوشيخي الذي يرأس معهدا خاصا بالدراسات المصطلحية، وينجز ويشرف على عديد من الأطاريح في مختلف مصطلحات القرآن الكريم والحضارة الإسلامية.

إن غياب الاستعانة بهذه المراجع ألحق بالبناء المنهجي لموسوعة «مصطلحات علوم القرآن» بعض الهنات، منها:

- غياب المرجعية المصطلحية المتكاملة.

- فقر المقدمة المنهجية في خطة إيراد المصطلحات، إذ يفتقد القارئ للموسوعة إلى «البوصلة» المنهجية التي تعرفه بآليات إيراد المصطلح وطبيعة التعامل معه من قبل المحررين للمادة العلمية بالموسوعة، والتي تجيبه على كل ما يعن له من استفهامات وإشكالات.

- غياب هوية تاريخية للمصطلح، فلا حديث عن النشأة والتطور والمآل، ويتم القفز من المعنى اللغوي إلى المعاني الدلالية بدون تلمس للمراحل التي قضتها المفردة إلى أن استوت مصطلحا دالا على مفهومه دلالة دقيقة مستوعبة.

- غياب الهوية الإبداعية للمصطلح، إذ لم يتم الالتفات إلى من أبدع المصطلح، ومن قذف به في حلبة التداول المصطلحي، وقد تكون هذه أزمة عامة في مصطلحات الحضارة الإسلامية، لكن البحث العلمي يستدعي بذل الجهود، والسعي، قدر المستطاع، إلى الوقوف على النسب الشرعي للمصطلح، من أبدعه؟ ومن استعمله لأول مرة؟ وهكذا...

هذه جملة من الحواشي نقدمها بين يدي القراءة المنهجية لمشروع «مصطلحات علوم القرآن»، وهو مشروع طموح في منطلقاته وأهدافه ورسالته، ندعو الله للمشرفين عليه أن يمنحهم القوة، ويمدهم بالعون من أجل تجاوز مختلف العوائق والصعوبات.. إنه سميع مجيب.

الهوامش

١- «مصطلحات علوم القرآن»، رئيس التحرير والمشرف على الموسوعة د.عبدالحليم عويس، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط:١، ٢٠٠٦، ج: ١، ص: ٥.

٢ - تراجع الدراسة النقدية التي أنجزها الكاتب في هذه الإشكالية بعنوان: «بديع القرآن: دراسة تاريخية نقدية»، وقد صدرت في مجلدين ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ط:١، ٢٠٠٩.

٣ -انظر «مصطلحات علوم القرآن»، ج:١، ص: ٤٧٩.

٤ - المرجع نفسه، ج:٢، ص: ٤٨.

٥ - «المنتقى من الطيبة الغرا» للشيخ يوسف النبهاني، انتقاء: محمد وائل الحنبلي، دار نور الصباح، دمشق، ص: ٢٨.

٦ - «ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري»، تحقيق مصطفى السقا وزميليه، دار الفكر، ج:١، ص: ٣٠.

٧ - د.الشحات محمد أبوستيت: «دراسات منهجية في علم البديع»، ط:١٩٩٤،١، ص: ١٥٩.

توجيه الأولاد

النصيحة والتوجيه من الكلمات الجامعة التي تلازم الدين ويلازمها، ولا تنفك عنه ولا ينفك عنها، فالنصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمي ذلك كله دينًا، وإذا كانت النصيحة واجبة على كل مسلم ومسلمة تجاه الآخرين، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ في حديث رواه تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: «إن الدين النصيحة، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم)، أقول: إذا كانت النصيحة تجاه الآخرين واجبة فإنها أوجب تجاه الأبناء الذين هم أمانة في أعناق والديهم وهم مسؤولون عنهم يوم القيامة، وعلى الوالدين ألا يبخلوا بالنصيحة والتوجيه والحوار البناء إذا ما أخطأ أبناؤهم لإصلاح اعوجاجهم وتجنيبهم مواطن الذل والزيغ، وبذلك يشب الأولاد على الحياة التي أرادها الله، وليعلم الوالدن أن التقصير في هذا الجانب بحجة الانشغال بالعمل وعدم توافر الوقت سيكلفهما غاليًا وسيصيبهما بالندم في وقت لا ينفع فيه الندم والتأسف على ما فات.

التحرير

المال والشهرة.. هل يكفيان الأسرة؟!

نعيم السلاموني

المال في عصرنا نعمة ونقمة، فبعض من يملك المال يتصور أنه قد ملك الدنيا ومن عليها، وقد ملك قارون في زمانه أموال الدنيا كلها ولكنه بغى وتكبر فحلت عليه اللعنة وجاءت حكمة الله سبحانه وتعالى ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ (القصص ٨١)، والمال إذا تملك الإنسان أهلكه وأرسله إلى أسفل سافلين، والأسرة المسلمة أصبحت تعيش في عالم متغير سادت فيه مشاعر المادية والأنانية.. كما أن الرفاهية المفرطة أصبحت دافعًا لبعض الجرائم البشعة والانتحار، ويؤكد ذلك أن أعلى نسبة انتحار في العالم توجد في السويد التي تعد الدولة الأولى في العالم من حيث الرفاهية ومستوى الدخل.

إن الترف فيه مفسدة كبرى للإنسان لأنه يبعده عن مكارم الأخلاق ويجعله عبدًا لحياة المتعة والرفاهية، وفي هذا يقول الرسول ﷺ «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة»، إن الترف مفسدة للجماعة إذا سادت قيم البذخ والإسراف والتبذير على الحياة الاجتماعية في المجتمع المسلم ولهذا قرنه القرآن الكريم بالظلم والإجرام ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين﴾ (هود: ١١٦) والترف في نظر الإسلام من أخطر أسباب الانحلال الاجتماعي والتدمير المعنوي، يقول المولى عز وجل ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرًا﴾(الإسراء: ١٦).

وبالرغم من أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب المال الحقيقي ومالكه الوحيد فقد حذر الله عباده من مسؤولية المال بقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم﴾ (المنافقون: ٩) وقوله تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ (التغابن: ١٥) وقوله تعالى: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ (الهمزة:٣) وقوله تعالى ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ (التكاثر: ٨)، إن الغنى وغياب الدين يحولان الإنسان الى وحش يعيش في غابة يسعى الى الاستمتاع بحياته ولو على دماء وجثث الآخرين ﴿كلا إن الإنسان ليطغي. أن رآه استغنى﴾ (العلق: ٦-٧)، ﴿وتأكلون التراث أكلا لما. وتحبون المال حبا جما﴾ (الفجر: ١٩-٢٠).

والإنسان إذا ابتعد عن الدين سيطرت على نفسه الإمارة بالسوء، لهذا فهو لا يخشى الله وينتهك الحرمات ويرتكب الموبقات لأن طغيان وسطوة المال ونشوة الشهرة يجعلانه قادرا على فعل كل شيء دون رقيب أو حساب ﴿ونفس وما سواها. فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس: ٧- ٨) ويفتقد كثير من الأزواج إلى معنى السعادة الزوجية في بيوتهم حيث يفشلون في تحقيق الراحة والسعادة.. الأمر الذي يؤدي إلى تفاقم المشاكل الزوجية.

أسس بناء الزواج السعيد

١- السكن والمودة والتراحم وقد أبرز القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (الروم: ٢١) والسكن تعني سكن القلوب، والمودة تعني الاستقرار النفسي وحسن المعاملة، والرضا والرحمة هي نبع الأخلاق العظيمة، إنها حكمة الله الخافية عن العقول في الزواج وهو أن يبنى على الأسس القابلة للدوام والاستمرار وليس على الأسس الواهنة المعرضة للانهيار.

إن من أسماء الله الحسنى الودود والرحيم وبذلك تكون المودة والرحمة من بعض صفاته سبحانه وتعالى لذلك لا حدود لمعاني الود والرحمة، فالمودة مطلوبة في السراء والرحمة في الضراء، والمودة هي اللين والبشاشة والمؤانسة والبساطة والتواضع والصفاء والألفة والتآلف، والرحمة هي التسامح والمغفرة وسعة

استشاري أسري



الصدر والتفهم والتنازل والعطف والشفقة والحماية والصبر وكظم الغيظ والسيطرة على الغضب والابتعاد عن القسوة والعنف والعطاء بلا حدود والتحرر من الأنانية، وتظل السعادة مستمرة ما استمرت المودة والرحمة.. وما لحظات العنف إلا لحظة جفاف كامل للمودة والرحمة وانتزاعها من القلب.

٢- الصبر والتسامح من مقومات الحياة الزوجية الناجحة.. بها تدوم السعادة والألفة بين الزوجين.

٣- إن الحوار والتفاهم أساس مهم للسعادة الأسرية وان اختفاء الحوار الناجح في كثير من الأسر هو الذي أدى إلى ظهور المشكلات وتفاقمها وان من فوائد الحوار بين الزوجين الارتباط فيما بينهما واشعار كل طرف بأنه قريب من الآخر.

٤- دعا الإسلام الى الاتزان في شؤون الحياة كافة بل ان هناك قيمة وقائية لممارسة بعض العبادات مثل الصلاة خمس مرات في اليوم والتي تعمل على تشكيل جهاز عصبي في صورة متزنة.

٥- يجب ألا يكون الإنسان سريع الغضب عملاً بوصية الرسول حين أتى إليه رجل ليوصيه فقال له رسول الله ﷺ «لا تغضب» وعندما استزاده كررها عليه ثلاث مرات وكأنه يقرأ الغيب حين يعلمنا أن كل الأخطاء في حق الآخرين وفي حق أنفسنا تبدأ بالغضب والانفعال، يقول ﷺ «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد من يملك نفسه عند الغضب».

٦- إن الإسلام حث على اختيار أي من الزوجين لقرينه حسب معايير موضوعية معينة وهي اختيار الصالح من الزوجة والزوج لقوله تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (النور: ٣٢).

٧- كثيرًا ما يتطلع المرء إلى المال والشهرة أو الجمال الفاتن، ولا ينظر الإنسان إلى كمال النفوس وحسن التربية فتكون ثمرة الزواج مرة وتنتهي بنتائج ضارة.

٨- من شروط الصحة النفسية للفرد النضج الانفعالي والتي حرص الإسلام على أن يتسم المؤمن بها وعلى أن يحيا معافًا جسميًا ونفسيًا وعقليًا، كما حرص القرآن الكريم على حماية المؤمن مما يؤثر على قواه العقلية فنهى عن تناول الخمور، قال تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (المائدة: ٩٠).

٩- أفضل علاج من قبل الزوجة ألا تقابل الإساءة بالإساءة ولكن تسعى وتجتهد لتغير هذا الطبع في الزوج عن طريق حسن المعاملة، والإسلام رسم الحياة المثلى ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه ١٢٣-١٢٤).

١٠- الصفح والعفو هما بحق خير وسيلة لتضميد العلاقات الإنسانية المجروحة وإعادة الدفء للمشاعر المتبلدة، ولهذا فهما من الوصايا الإلهية مصداقًا لقوله تعالى، ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر: ٨٥)، ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ (النور: ٢٢)، ﴿خذ العفو﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقول المصطفى ﷺ ﴿الكلمة الطيبة صدقة﴾ و﴿خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي﴾

فإذا ساءت العلاقة بين الزوجين فعلى كل منهما العفو والتسامح، ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا﴾ (النساء: ١٩)، وإذا لم يجد سبيلاً للاصلاح فلا يبقى إلا الفراق بلا ظلم.

١١- الوسطية في التربية هي التي تخرج الإنسان السوي الصالح، أما التدليل فهو أكبر خطأ في التربية.

١٢- تصحيح مسار أجهزة الإعلام وخاصة المرئية منها، حيث تتزايد جرعة العنف التي تتضمنها الأعمال الدرامية، وهذا يغذي بداخل الشباب نوازع الشر ويجعلها أكثر ميلاً إلى العدوان وارتكاب جريمة القتل وتقديم برامج توعية تدعم قيم التسامح والتعاون والسلام الاجتماعي ليسود الأمن والأمان ربوع الأمة الإسلامية.

١٣- يقول خبراء الإجتماع لابد من وجود التوافق الزوجي والإحساس العاطفي الذي يولد عن طريق حسن الظن والثقة بين الطرفين.

١٤- يجب أن يأخذ الزوجان في اعتبارهما ألا زواج بغير خلاف، والمشكلة ليست في الخلافات ولكن المشكلة في كيفية أن يعتاد الزوجان تسوية الخلافات بالتسامح والعقل والمنطق.

المال والشهرة لا يكفيان

إن السعادة الحقة في النفس المطمئنة.. الضمير المستريح الذي يسعى دائما نحو الهدف النبيل الذي يخطط له الإنسان في حياته بطرق مشروعة، قال تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابًا﴾ (الكهف: ٤٦)، إن طريق السعادة يحمل من الفضائل ما يجعل الإنسان يسلكه لإسعاد أسرته، ومهما بلغ المال بالإنسان من الصيت والشهرة فلن يبلغ ما وصل قارون والذي قال الله تعالى فيه ﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة...﴾ (القصص: ٧٦).

إن السعادة الكاملة في الرضا بما قسم الله للإنسان والشكر على نعمته ولنتذكر معًا قول الرسول ﷺ «من أصبح آمنًا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

إن السعادة لاتشترى بالمال والشهرة بل تنبع بنور الإيمان وتتدفق من قلب مؤمن عامر باليقين .

قواعد السعادة الحقيقية

مليكة محمد الحامدي

كثيرًا ما نتساءل، وبشكل يصل إلى حد الإلحاح المزعج أحيانًا، عن ماهية السعادة، وسبل الوصول إليها، ونتساءل عن المعايير العلمية أو حتى الافتراضية لقياسها. فهل تقتصر السعادة على أن نفعل ما نشاء وقتما نشاء دون قيود تفرض علينا، أي أن نكون أحرارًا بكل ما تحمل الحرية من معان، أم أنها شعور داخلي جميل حتى وإن لم يُترجم هذا الشعور إلى تصرفات وأفعالٍ؟

هل نصبح سعداء إذا ملأنا الدنيا أنغامًا وأشعارًا ورقصًا وطربًا؟

هل نصبح سعداء إذا ملكنا أموال قارون؟

هل تأتي السعادة بتجاهل القيم والمبادئ والأعراف؟

هل السعادة تأخذ أم تنزع انتزاعًا من بين أشواك الهموم والأحزان؟

هل السعادة فردية أم جماعية أم الاثنان معًا؟

ماذا يعني أن أكون سعيدًا؟، وما سُبل الممارسة للوصول إلى السعادة؟

آلاف الكتب والمجلات تحدثت عن السعادة بكل اللغات وكل التعابير، وكَتب كُل متخصص وكل متطوع عن السعادة، ومن أجل السعادة وسُبل السعادة، ومع ذلك لم يُحدد حسب علمي قانون ثابت إن صح التعبير من شأنه أن يريح النفس ويطمئن الفكر للوصول إلى السعادة الحقيقية بطرق صحيحة سليمة.

وإنني على المستوى الذاتي، وبعد تساؤلي المطول وأسئلتي الكثيرة، وبما جمعته في ذاكرتي من مقالات ومقولات كثيرة عن السعادة، ومن حصيلة تجاربي الذاتية وتجارب من هم حولي توصلت إلى أجوبة عن تلك التساؤلات تنم عن قناعة مطلقة بأن السعادة الحقيقية في هذه الدنيا لا تتم إلا بتحصيل أو بتوافر عدة قواعد تنظمها كلمة السعادة نفسها.

فلو جزأنا كلمة «سعادة» إلى حروف، وأخذنا منها كل حرف على حدة، فإننا نجد أن حرف السين: يرمز إلى السلام، وللسلام أبواب وشروط كثيرة منوطة بكل صاحب مسؤولية ولا مجال لذكرها هنا، لكن أولها وأهمها الاعتراف بحق الآخر واحترامه.

العلم ضرورة حتمية لتغذية العقول وتنميتها واتساع مداركها فكلما ازداد المرء علمًا ارتقى أعلى المراتب

فإن عاش الإنسان بسلام مع نفسه وأهله ومجتمعه ووطنه دخل بداية عالم السعادة التي تترجم هنا إلى الشعور بالأمان والطمأنينة والراحة النفسية (الاستقرار)، وقد بشر الله عز وجل عباده المتقين بأن يُدخلهم الجنة بسلام آمنين، لأنه يعلم أنهم لن يتذوقوا جمالها وحلاوتها ونعمها إلا إذا دخلوها بأمان من دون خوف ولا وجل.

قال الله تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون. ادخلوها بسلام آمنين﴾ (الحجر: ٤٥ -٤٦)، ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدًا ...﴾ (الأعراف: ٥٨)، ﴿وهذا صراط ربك مستقيمًا قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون. لهم دارُ السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾ (الأنعام: ١٢٦-١٢٧).

أما حرف العين: فيشير إلى العلم: والعلم ضرورة حتمية لتغذية العقول وتنميتها واتساع مداركها، فكلما ازداد المرء علمًا ارتقى أعلى مراتب الرقي والحضارة الإنسانية والمدنية، وكان أكثر مرونة وحكمة وقدرة على حل مشكلات الحياة الكثيرة وتجاوز صعابها بأبخس ثمن أو بدونه، علاوة على أن النجاح سيكون حليفه دائمًا، وبالتالي ستحصل لديه السعادة التي يعرب عنها هنا بالاعتزاز والثقة بالنفس والصبر.

والعلم الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى يبتغي صاحبه الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا، والعلماء الحقيقيون هم الذين يعلمون باطن الحياة الدنيا وهو الآخرة.

قال العليم الحكيم: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يُحب المفسدين﴾ (القصص: ٧٧).

﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحًا ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ (القصص: ٨٠)، ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر: ٩).

وحرف الألف: إيمان.. ويشمل أولًا الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ثم الإيمان بالنفس والأسرة والمجتمع والوطن والمبادئ.

فإن آمن الإنسان بكل ما سبق ذكره أدرك أن هذه الدنيا هي معبر لحياة أخرى أبدية، وعليه أن يسير عليه بكل

استشارية أسرية

صبر وحزم وقوة وثبات حتى يصل إلى بر الأمان ولا يسقط في سحيق الهاوية والخزي والعار، وحتى يسير بتلك الخطا الثابتة، عليه أن يدرك أن محيطه أو مجتمعه إنما هو خلية واحدة ينظم بعضها بعضًا حينها سيدرك حقا ما عليه من واجبات تجاهها وما له من حقوق عليها، فيتسع قلبه لهذا الكون حتى تصغر في عينيه هموم الدنيا ولو كانت بحجم الجبال، وهنا ينال السعادة التي تترجمها الفعالية والانتماء والترابط والعطاء، قال جل وعلا ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ (الأعراف: ٣٢).

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (إبراهيم:٢٧).

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ (العنكبوت: ٢-٣).

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ (الجاثية:٣٠).

وأما حرف الدال فيدل على الدين.. الدين الإسلامي الحنيف الذي ينشر الحب والتسامح والعفة والأمانة، الدين الذي يحمي الفرد والمجتمع من كل ما يهدد كيانه، بالانهيار الأخلاقي والصحي والإنساني والاجتماعي، هذا الدين ينبذ الكسل ويحض على العمل الصالح.. يناصر المظلومين ويقمع الظالمين، فإن التزم المرء بدينه الإسلامي الصحيح القويم بلغ قمة هرم السعادة التي يكون مبعثها التراحم والتعاطف والتعاون والتضحية والإيثار.

قال العزيز الرحيم: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران: ١٩).

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران:٨٥)، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة: ٣)، ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين. وأمرتُ لأن أكون أول المسلمين﴾ (الزمر: ١٠-١٢).



- وأما حرف التاء، فيرسم لنا دائرة التواصل الذي هو الأساس الأهم في استمرارية العلاقات الاجتماعية البناءة، فإن قطع الإنسان حبال التواصل بينه وبين الاخرين، عاش وحيدًا منعزلًا عن العالم منطويًا على نفسه وأصابه التجمد الثقافي والحسي والإنساني، فهو حينئذ أبعد ما يكون عن السعادة التي لن تتفاعل بداخلنا إلا إذا تواجهنا بمشاعرنا وأفكارنا وثقافتنا نحو الآخر بالحوار والتفاهم الذي هو جواز السفر إلى قلوب وعقول الآخرين.

وحينها يكون التعارف وتبادل الآراء والعادات والتقاليد والقيم المالية ترجمان السعادة للإنسان ودافعها.

قال الله عز وجل: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣).

﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد:٢٢- ٢٣).

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ (الحجرات:١٠).

﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق. والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب. والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ (الرعد: ٢٠-٢٢).

نستخلص من كل ما سبق تعريف السعادة بأنها: سلوك خارجي مستقيم نابع من شعور داخلي جميل كونه الإحساس بالأمان والاعتزاز والانتماء والتعاون والحوار.

ولكل من يسعى لامتلاك السعادة أن يسعى إلى السلام والعلم والإيمان والدين والتواصل.

كيف نتعامل مع أسئلة الطفل الجنسية؟

محمد علي الخطيب

بعض الآباء يضيق ذرعًا بأسئلة أطفاله الكثيرة التي تنهمر كمطر وابل، ولا تترك للأب فرصة، ليلتقط أنفاسه: (ما هذا؟ من؟ ماذا؟ كيف؟ أين؟ ولماذا؟)! وعلامة الاستفهام المتحركة هذه تلاحق الآباء والكبار باستمرار، وتسبب لهم الحرج والارتباك والضجر، وهذا غير مستغرب من الطفل في هذه السن، فهو طلعة بطبعه وفضولي، ويحب المعرفة والاستكشاف، ولذلك فإن التضجر منه والتبرم به وإهمال أسئلته يضعف عنده هذه الخاصية.

إذا كان الأب والأم أو الكبير عامة يضيق صدرًا بأسئلة أطفاله العامة فمن باب أولى أسئلته الجنسية!

بعضهم قد تصيبه صدمة من السؤال لا يفيق منها إلا بعد برهة، ليستجمع قواه، ويلتقط أنفاسه، ويفتش عن حيلة أو مخرج من الورطة التي أوقعه بها طفله الذي لا يتجاوز الرابعة أو الخامسة من عمره بعد!

لا داعي للاستغراب والدهشة من سؤال الطفل، ولا تحاول التهرب من سؤاله أو أسئلته المحرجة أو أن تلقي مسؤولية الإجابة على عاتق شخص آخر من أفراد الأسرة أو خارجها إلا ما يتعلق بالبنت، فالأولى أن تقوم بهذه المهمة أمها إذا كانت تمتلك أدوات المعرفة الصحيحة والنضوج والحكمة أيضًا.

وسأعالج هذه القضية المهمة والخطيرة، على ضوء الكتاب والسنة، من خلال نقاط عدة هي:

عناية الإسلام بالتربية الجنسية

ربما يكون من الضروري التنويه والتنبيه على عناية الإسلام بالتربية الجنسية للكبار والصغار والذكور والإناث على حد سواء، رغم ما يكتنف الخوض في موضوعاتها من الخجل والحرج والحساسية، وهذا أمر فطري وخاصة عند الإناث لخصوصية هذه الموضوعات، لكن الشريعة الربانية كسرت هذا الحاجز النفسي، لتبليغ التكاليف الشرعية، وتعليم الناس ما يجب عليهم من أحكام الطهارة والحيض والنفاس، والغسل من الجنابة، والوضوء، وأبواب ستر العورة، والعلاقات الزوجية، وآداب الاستئذان واللباس والزينة والعبادات والعلاقات الأسرية

تولد الغريزة الجنسية مع الآدمي منذ ولادته شأن جميع الغرائز والدوافع الأخرى

والاجتماعية وغيرها كثير، هذا وفي الذكر الحكيم أسئلة عن المحيض والجماع، وإن الله لا يستحيي من الحق، فهذا أبوموسى الأشعري رضي الله عنه يأتي عائشة زوج النبي ﷺ، فيسألها: الرجل يُصيب أهله، ثم يكسل ولا ينزل؟ فقالت: إذا جاوز الختان الختانَ، فقد وجب الغسل!.

وهذه أم سليم رضي الله عنها دخلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة، فسألته عن الاحتلام!.. قالت: يا رسول الله، أرأيت المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل؟، قالت أم سلمة: تبًّا لك! فضحت النساء، قالت: إن الله لا يستحي من الحق، فقال رسول الله ﷺ: من رأى ذلك منكن فلتغتسل.

ولو شئت لأوردت من هذه الأسئلة الكثير، لكن هل وقع في السيرة المطهرة- وموضوعنا عن أسئلة الأطفال الجنسية- أسئلة من هذا القبيل على ألسنة الغلمان أو الطفل الذين لم يبلغوا؟ نعم، جاء في رواية «للموطأ» عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف، قال: «سألت عائشة زوج النبي ﷺ وهو ابن أختها من الرضاعة، وكان صبيًّا لم يبلغ الحلم: ما يوجب الغسل؟ فقالت: هل تدري ما مثلك يا أبا سلمة؟ مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ، فيصرخ معها، إذا جاوز الختانُ الختانَ، فقد وجب الغسل».

وقولها: مثل الفروج يعني أنه كان صبيًّا قبل البلوغ، فسأل عن مسائل الجماع الذي لا يعرفه ولم يبلغ حده.

والحديث يفيد أنه لو صدر السؤال المحرج في مثل هذه الأمور عن الصغير، فإن إعطاءه المعلومات الصحيحة الدقيقة، بالقدر الذي يناسب مداركه ولا يضره، أمر مشروع، ونهج تربوي صحيح.

متى يبدأ الطفل طرح أسئلته الجنسية؟

يؤكد كثير ممن يسمون علماء النفس والتربية أن حياة الطفل الجنسية أو شعوره باللذة الجنسية تبدأ منذ الولادة، وأن رضاع الطفل من أمه تصاحبه أو تدفعه إليه لذة جنسية كذا لمسة الأم وقبلة الأب... هكذا!

ولا ريب أن هذا محض خيال ومغالطة علمية وفكرية ونفسية، فقد يشعر الطفل بلذة لكنها ليست حتمًا لذة جنسية، لأنه ليس لها دور في هذه المرحلة من العمر، ولأنها تتنافى مع الفطرة والبراءة، وتصادم العلاقات العاطفية الإنسانية التي تقوم بين الآباء وأطفالهم، ثم ما الذي يؤكد أنها كذلك؟ وما مستندها العلمي؟ إن هي إلا تصورات هابطة وهلوسات مريضة، وينقضي العجب إذا علمت أن بطلها ومنشئها هو عالم النفس السويسري اليهودي «سيجموند فرويد» صاحب التفسير الجنسي للسلوك البشري المؤسس على فكرة حيوانية الإنسان.

نعم، تولد الغريزة الجنسية (الطاقة الجنسية)، مع الآدمي منذ ولادته شأن جميع الغرائز والدوافع الأخرى، وهذا ما تؤكده أبحاث علم النفس التربوي وتجاربه، لكنها تبقى كامنة، ثم تبدأ بالظهور بالتدريج وحسب السنن الإلهي، لتؤدي في نهاية الأمر وظيفتها الطبيعية ودورها الفطري في الحياة.

طبعًا لا يمكن أن ننظر إلى أطفالنا على أنهم صغار ولا يمتلكون مشاعر جنسية أو على الأقل ألا ننظر إليهم كنظرة آبائنا الأولين، فالمتغيرات الكثيرة المتسارعة يجب أن تؤخذ

مدرس التربية الإسلامية في الكويت

بعين الاعتبار، وينبغي أن نعلم أن طفل اليوم لم يعد كطفل الأمس، لأنه يقع تحت تأثير الإيحاءات والمهيجات الجنسية المباشرة، من خلال ما تعرضه القنوات الفضائية اليوم من أفلام ومسلسلات وإعلانات تجارية وحتى الأخبار والبرامج الرياضية لا تخلو منها، بل إن أفلام الكرتون وبرامج الأطفال الخاصة بهم تمتلئ بإيحاءات ومحرضات جنسية، تفتح ذهن الطفل، وتثير اهتمامه على اكتشاف هذا العالم والولوج إليه.

وهذا كله يضغط علينا بضرورة معرفة ما يتعلق بأسئلة الطفل الجنسية!

- يبدأ الطفل طرح أسئلته الجنسية غالبًا منذ الثالثة أو الرابعة من عمره، وهذا معروف، حيث تزيد أسئلة الطفل عن الحمل والولادة غالبًا، وخاصة إذا كانت أمه أو أخته حاملًا، وقد يكون السؤال عن الأعضاء الجنسية لديه أو عند المخالف له من الجنس، وعن سبب هذه الفروق والاختلافات، كما تزيد رغبة الطفل في الاستطلاع والفضول، وقد يتعدى الطفل أحيانًا مجرد السؤال إلى اللعب بأعضائه التناسلية أو حتى تفحص الأعضاء التناسلية للجنس الآخر سواء المشابه له في الجنس أو المختلف عنه، وهذه تصرفات عادية بريئة، تثير انتباه الطفل، ولا يجوز إساءة تفسيرها أو تضخيمها أو معاقبة الولد عليها، لكن يكتفى بزجره وتفهيمه، ليستقر في خلده أن هذه الأعضاء لها خصوصية، ولا يحق لأحد العبث بها، ومن الضروري غرس بعض المفهومات الشرعية كالحياء والستر والعورة والحلال والحرام ونحوه، وهذا قد يحميه من التحرش الجنسي من قبل الشاذين والمرضى نفسيًا ونحوهم.

وفي هذه المرحلة قد يسأل الطفل عن أعضاء الجسم بما فيها الأعضاء التناسلية، ومن المفضل هنا أن يعرف الطفل هذه الأعضاء بأسمائها الحقيقية مثلًا فيسمى له عضو الذكر بـ «القضيب» أو باسمه المستعمل على الألسنة، ولا يقال له «الحمامة» مثلًا: وتسمى «الخصيتين» باسمهما، وهكذا الشرج والثدي ونحو ذلك، فالمنهج العلمي يقتضي تسمية الأسماء بأسمائها، ولأن الجهل بأسماء هذه الأعضاء يعوقه عن التكيف الاجتماعي، ويوقعه في حرج في بعض الأحيان بسبب جهله بأسماء أعضائه التناسلية... الخ



ويجدر بنا أيضا أن نفهم الطفل أن الحديث عن هذه الأعضاء له خصوصيته، وأن الخوض فيه ينبغي ألا يتعدى نطاق الأسرة أو الأبوين أو المعلم في المدرسة داخل الفصل الدراسي طبعًا، وأن ينأى بنفسه عن الخوض فيه مع الأقران ونحوهم.

وبعد أن يتجاوز الطفل الخامسة من عمره يرى كثير من التربويين والخبراء أنه يمكن للوالدين أن يشرحا للطفل وظائف الأعضاء التناسلية، بغية مساعدته على أن يميز بين الذكر والأنثى وبين أعضاء الاثنين ودور كل منهما من الناحية الجنسية والحياتية، ولا أميل إلى هذا الرأي بتفاصيله، لأنه استعجال للشيء قبل أوانه، بل أجد فيه ضربًا من المغامرة، إلا أنه لا بأس من تلقين أو تفهيم الطفل بعض المعلومات الضرورية حول بعض وظائف الأعضاء التناسلية، في حال مبادرته بالسؤال عنها مع التأكيد على ضرورة أن تكون الإجابات علمية ودقيقة، لكن ينصح هنا ألا تتطوع في إدخال معلومات إضافية، لا تثير اهتمام الطفل أو لم يطلبها، ثم في مرحلة متقدمة أي إذا تجاوز الطفل التاسعة أو العاشرة من عمره أي ناهز الحلم يمكن أن يتعرف على بعض وظائف الأعضاء التناسلية بل يصبح ضروريًا لإعداد كل من الذكر أو الأنثى لولوج مرحلة البلوغ، ومساعدته لاستقبالها والتهيؤ لها والتكيف معها وقبول التغيرات النفسية والجسدية التي تطرأ عليه عادة، فلابد أن تعرف البنت مثلًا ما يتعلق بالحيض من ناحية بيولوجية وشرعية، وكذلك الذكر يعرف المني وخصائصه... إلخ.

الإجابة على الأسئلة الجنسية

قد تسأل: نعم، أنا مؤمن بأهمية التربية الجنسية، وعلى قناعة تامة بضرورة الإجابة عن أسئلة أطفالي، وتوفير المعلومات اللازمة لهم، لكن كيف سنزودهم بهذه المعلومات؟ وهل سيفهمون ما نقوله لهم؟ ألن يترك ذلك أضرارًا عليهم؟ وكيف نربيهم من الناحية الجنسية؟

أ- هل تنتظر من الطفل طرح أسئلته الجنسية؟

سبقت الإشارة إلى أن الطفل بطبعه سيطرح كثيرًا من الاسئلة الجنسية، وخاصة ما يتعلق بالفروق بين الجنسين والحمل ونحوه، فيقوم الأبوان بالإجابة عن أسئلته وإشباع حاجته الفطرية إلى المعرفة والاطلاع، لكن إذا افترضنا أن الولد لا يجرؤ على السؤال، لأسباب نفسية وتربوية واجتماعية، فهنا لابد من إثارته وتشجيعه على السؤال أو طرح أسئلة مباشرة عليه،لأنه لابد للطفل في أي مرحلة عمرية من قدر ما من الثقافة الجنسية الضرورية.

ب- لكل مرحلة معينة من العمر نوع وقدر من المعلومات

لكن هناك نوعا من المعلومات التي تتعلق بالحياة الجنسية وبقدر ينبغي ألا يقدم للطفل إلا في مرحلة معينة من العمر، فالكلام مثلا عن الاستمناء أو الحيض لطفل في السابعة أو الثامنة من عمره خطأ، ولا حاجة إليه، ولأنه سيشغل باله ويحتل حيزًا من تفكيره، لكن عندما يناهز الطفل البلوغ، أي تبلغ البنت الحادية عشرة من عمرها، ويبلغ الصبي الثالثة عشرة، فإنه لابد من تعليمه كل ما يتعلق بالبلوغ وعلاماته وما يطرأ عليه من تغيرات نفسية وجسدية.

ج- الإجابة على الأسئلة الجنسية ليست واحدة

الإجابة على الأسئلة الجنسية تتنوع وتختلف من حيث قدر المعلومة ونوعها والأسلوب والوسائل واللغة، باختلاف السن والجنس والبيئة والمستوى العقلي والنضج الاجتماعي، لكن في جميع الأحوال يجب أن تكون إجاباتنا واضحة بسيطة علمية.

د- اللغة المستخدمة في التربية الجنسية

اللغة التي تستخدمها في التربية الجنسية والرد على أسئلة الأطفال في هذا المجال، يجب أن تكون سهلة واضحة قصيرة تنزل إلى مستوى الطفل، مع الاستمرار بالإجابة على الأسئلة المصاحبة دون تهرب أو تضجر.

هـ - التدرج في الإجابة

من الضروري التدرج في الإجابة والتأسيس لها من خلال البناء المعرفي الهرمي، وقبل أن تعلم طفلك الحياة أو الثقافة الجنسية ينبغي أن تكون قد علمته وظيفته في الكون والحياة ومفهوم عمارة الأرض وضرورة التناسل وبقاء النوع، عندئذ ستتغير نظرته للجنس، واعتباره وسيلة لا غاية، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - في سنن البيهقي- «والله إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمة تسبح».

ومن ناحية أخرى لا تعط المعرفة كلها دفعة واحدة وخاصة المعرفة الجنسية، لئلا تشوش على الطفل، ويعجز عن ترتيب المعلومات والمفاهيم ترتيبًا سليمًا.

و- تصحيح الثقافة المشوهة

أحيانًا يتطلب تعليم الأطفال تصحيح معلوماتهم وتصوراتهم المشوهة أو المنحرفة للجنس والتي اكتسبوها عن طريق الأقران والرفاق غير الناضجين أو غير الأسوياء في بعض الحالات.

ز- لا تكذب على طفلك

لا تقدم للطفل إجابة أو معلومة غير صحيحة عن سؤاله، لأنه سيكتشف عاجلًا أو آجلًا خطأ المعلومة، وقد يعتبرها كذبًا عليه واستخفافًا بعقله أو يعتبرك جاهلًا ضحل المعرفة، وبالتالي يفقد ثقته بك والطفل لا ينسى وهو سريع الحفظ قوي الذاكرة، يقوم بتخزين المعلومات التي نقدمها له، ولذلك يجب التزام الصدق في الإجابة عن أسئلة الطفل، لكن لا يعني هذا بحال تقديم معلومة لا تناسب عمره، وقد تضره، وإن كانت صحيحة، فالمناسب في هذه الحالة هو إعطاء إجابات بسيطة أو تقديم معلومات عامة فقط، وتأجيل بعض المعلومات غير المناسبة لسنه ومستوى إدراكه ونضجه وإغفالها مؤقتًا، هذا، ولا يعدم الأب أو المربي هنا الأسلوب الحكيم لتلافي الخوض فيها أو الإجابة عنها، ومن الممكن أن يعد الأب ابنه بأنه سيشرحها له في وقت آخر أو ريثما يبحث عن مسألته في المراجع العلمية مثلًا أو يقوم بالانسحاب بطريقة لبقة لا تثير فضول الطفل وشكوكه.

ح- التربية بالأمثلة القريبة

لكي يفهم الطفل الحقائق المرتبطة بالجنس والتكاثر لا بأس بالاستعانة بتقديم أمثلة من عالم الحيوان المشابه في الحياة الجنسية للإنسان، وهو عالم قريب مألوف للطفل كالقطط والدجاج والبهائم ونحوها.

ط- الحوار مع الطفل

من الأهمية بمكان الحوار والتواصل والتفاعل مع الطفل، لأنها وسيلة أساسية لاكتشاف عالمه الخاص وما يدور في خلده وما يقع في دائرة اهتمامه وما يثير تفكيره، وبالتالي تقديم المعرفة لأطفالنا والإرشاد والعلاج في حال اكتشافنا مشكلات نفسية أو سلوكية أو معرفية عندهم، وهذا يتطلب منا أن نسمع لأطفالنا ولأسئلتهم المباشرة وغير المباشرة، ونجيبهم بكل صراحة ووضوح ودقة، كما يجب علينا احترام أفكارهم وتصوراتهم ولغتهم، التي قد ينقصها أحيانًا التورية والتجمل واللياقة الاجتماعية، وعدم السخرية بها أو التعنيف عليها.

مرحلة المراهقة

في هذه المرحلة يظهر أو يشتد ميل المراهق إلى الجنس الآخر، ويبدأ يشغل باله، ويستغرق تفكيره وتعتبر سن المراهقة وما قبلها، (من ١٢ إلى ١٥) المرحلة المناسبة التي ينبغي أن يقوم فيها الآباء والمربون بالشرح التفصيلي لما يحدث من تغيرات جسدية ونفسية، حتى لا يتعرض الطفل لمعرفة خاطئة واستغلال جسدي وجنسي من قبل بعض الكبار المنحرفين أو الأقران أحيانًا أو من قبل الشاذين جنسيًا وعصابات الانحراف والجريمة، خاصة في البيئات التي تتفشى فيها المثلية والشذوذ الجنسي.

الأمور التي تجب معرفتها في هذه المرحلة

- خروج المني من المراهق بالاستمناء أو الاحتلام، فيجب تعليمه أن خروج المني أمر طبيعي وفطري، ومن علامات البلوغ وأنه أصبح رجلًا ومكلفًا، ويتحمل المسؤولية التكليفية القانونية والشرعية والاجتماعية، وأنه لم يعد طفلًا أو ينظر إليه هكذا.

- كذلك معرفة الواجبات الشرعية وأحكام الطهارة والاستمناء والاغتسال والصلاة واحكام الاختلاط بالنساء والخلوة والنظر وبقية التكاليف، ويجب تعليمه ما يحرم على الجنب وما يباح له... إلخ.

- ومن الأمور المهمة في رأيي أن يتعلم المراهقون الفرق بين المني والمذي، إذ كثيرًا ما يعجز عن التمييز بينهما، ويسبب له هذا الجهل حرجًا شديدًا فيما يتعلق بالطهارة والاغتسال والصلاة وتلاوة القرآن.

- كذلك يجب أن تعرف الفتاة كل شيء عن العادة الشهرية والحيض من الجانب البيولوجي والصحي والشرعي.

- كما يلزم المراهقين أن يعرفوا كل شيء عن الأعضاء الجنسية والتناسلية ووظائفها، ولا بد أن يتعلم المراهقون الفرق بين العلاقة الجنسية في الحياة الزوجية وبين الزنا.

- وكذلك من المهم أن يطلع المراهقون على الأمراض التناسلية كالزهري والسيلان والإيدز وغيرها.

الختام

فإننا إذ نطرح هذه الموضوعات التي تتعلق بالتربية الجنسية، فإننا لا ندعو إلى تقليد المجتمعات الغربية في الحرية الجنسية وإطلاق الدوافع الجنسية، دون رقيب ولا حسيب، فهذا نموذج سيئ ثبت فشله وفساده، وأودى بالأمة الغربية إلى حياة بهيمية بل هم أضل سبيلًا، لكن لا نرضى أيضًا بأسلوب تربيتنا المنغلقة التي درجنا عليها، ولا النظر إلى الجنس نظرة دون أو ازدراء، أو أن الكلام فيه محظور، «وعيب وقلة أدب وهتك لستر الحياء»، فنعرض أطفالنا لخطر الثقافة الجنسية المشوهة!

حقوق المطلقات

نجاح عبدالقادر سرور

مما يلاحظ في عالمنا الإسلامي منذ سنوات ليست بالقليلة أن الاهتمام ببيان حقوق الأم، وبيان حقوق الزوجة، وبيان حقوق الفتاة والطفلة يأخذ حيزا كبيرا من اهتمام الكتاب ووسائل الاعلام، وقلما تجد ذلك إذا ما تعلق الأمر بالمطلقة!



الباحث في شرعنا الحنيف يجد القرآن والسنة يؤكدان حقوق المطلقات، وعدم التفريط فيها.

لقد اعتنت الشريعة المطهرة بالمطلقة، اعتنت بها في نفسها وفي مالها، وفي النفقة عليها وعلى أولادها، ومن هذه الحقوق:

١- أن تقضي عدة الطلاق في بيت زوجها، مع التزامه بالنفقة والسكن حتى تنقضي عدتها، صونا لها ولكرامتها، وحرصا على راحتها.. يقول الله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن...﴾(الطلاق:٦) وعلى الزوج ألا يخرجها من البيت، وألا يطردها منه كما تفعل الغالبية العظمى، وإنما تبقى في البيت حتى تنقضي العدة، يقول الله تعالى: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه...﴾ (الطلاق: ١).

ومعلوم أن العدة ثلاثة قروء، أي ثلاث حيضات للمرأة التي تحيض، يقول الله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء...﴾ (البقرة: ٢٢٨)، أما المرأة التي لا تحيض وهي الآيسة، فعدتها كعدة الصغيرة التي لم تصل الى سن الحيض ومدتها ثلاثة أشهر، لقوله تعالى ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن...﴾ (الطلاق: ٤)، وأما عدة الحامل، فتمامها وضع الحمل، لقوله تعالى: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن...﴾ (الطلاق: ٤).

وأما المطلقة التي لم يدخل بها زوجها، فلا عدة عليها، وذلك لقول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحًا جميلًا﴾ (الاحزاب: ٤٩).

٢- ومن حقوق المطلقة التي صانتها شريعة الإسلام وجوب نفقة العدة في ذمة الزوج، ويجب عليه الوفاء بها، كما تجب عليه نفقة الرضاع، لقوله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن...﴾ (الطلاق:٦)

٣- ومن حقوقها أن يفارقها بالحسنى، ويسرحها بإحسان، لقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان...﴾ (البقرة: ٢٢٩).

٤- ومن حقوقها أن يعطيها مؤخر الصداق كاملا، لقوله تعالى: ﴿... وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئا﴾ (البقرة: ٢٢٩) إلا إذا كانت الزوجة هي التي طلبت الطلاق فعليها أن تفتدي نفسها، وهو ما يسمى بالخلع، لقوله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ (البقرة ٢٢٩).

٥- ومن حقوقها ألا يفرق بينها وبين ولدها، فهي حاضنته الأولى، لقوله ﷺ: «من فرق بين الوالدة وولدها فرق الله بينه وبين الأحباء يوم القيامة».

٦- ومن حقوقها أن تقدر لها نفقة متعة، يقول الله تعالى: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقًا على المتقين﴾ (البقرة ٢٤١).

كل هذه الحقوق حفظتها الشريعة السمحة، واعتنت بها السنة المطهرة صيانة للمطلقة، وهي كما رأينا تحفظ وتصون كرامة المرأة، وترد إليها اعتبارها، فاتقوا الله في المطلقات، وتذكروا قول رسول الله ﷺ: «الله الله في النساء...» وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شاعر وكاتب إسلامي

قصة

البحث عن طفل!

يونس جلال

طرقات عنيفة انتبهتُ إليها بعد أن أغرقت عيني وتفكيري حول مسألة في برنامج تلفزيوني، خفضت صوت التلفاز قليلاً ثم ذهبت نحو الباب بخطى ثابتة كأني واثق أن كل شيء على ما يرام وأن هذه ليست سوى دقات عادية سيعقبها سكون مسائي يخيم على الأرجاء كل مساء.. فتحت الباب بكل جرأة معهودة من دون السؤال عن الطارق.. لأرى أمامي أختي الصغرى ذات العشر سنوات وقد أصبح وجهها شاحبًا وملامح الإعياء بادية عليها من كثرة الجري.

– ماذا بك؟ لماذا أنت منهكة هكذا؟

وفي كلام يطغى عليه الخوف والحيرة.

– لقد ضاع منا عبدالرحيم ونحن في الطريق إلى هنا.

– ضاع! كيف؟

أدركت وأنا أسألها أن المصيبة عظيمة والفاجعة الأعظم هي إن لم نجده وسط زحام المدينة الخانق، وتذكرت حينها صورة ابنة عمي فاطمة والتي لاشك أنها ستكون مكبودة ومكلومة خصوصًا أن هذا ولدها الوحيد.

– أين أمي؟ أين فاطمة؟

– إنهما قرب المنزل ينتظرانك.

أحسست فجأة في غمرتي هاته أن مسؤولية أخرى ستلقى علي، وقبل أن تكمل أختي الصغرى كلامها الممزوج بالخوف والبراءة ذهبت مسرعًا أختصر درج المنزل نحو الأسفل كصقر مكسور الجناحين يبحث عن بعض أشلائه المفقودة، وفي زمن قياسي معلوم وصلت إلى خارج الدار لأجد أمي في انتظاري وسط لهفة وحيرة رغم أنها من قبل كانت تحاول جاهدة مداراة خوفها وقلقها أمام الناس، أما ابنة عمي فقد نسيت كل شيء حتى نفسها لتغرق في بكاء تحول لاحقًا إلى صراخ يتعالى مع أصوات السيارات وحركة الناس بنظراتهم التي لا تكل... تجاهلت كل هذا بعد أن أمرتني أمي بالبحث عنه في الأرجاء القريبة لعله يجوبها عاجلًا أم آجلًا بحثًا



عنهم إن لم تدهسه سيارة أو يخطفه أحد، (لا قدر الله).

انطلقت بعد كلام أمي كأني طائر مأمور يخرج من قفصه الوهمي الجميل ليعود إليه إما بنصر أو هزيمة أو لا يعود أبدًا.

وفي محاولة لإخماد بركان الأم الموقود لحقت بابنة عمي فاطمة لمواساتها بعد أن أصبحت هائمة على وجهها في فزع تجوب أزقة الحي المجاورة وكأن الجنون المطبق استحوذ على عقلها.

– لا تقلقي سأبحث عنه، ارجعي الآن إلى المنزل.

لم تعرني أي انتباه وسط موجة الخوف التي اعترتها وعوض إجابتي دفعتني نحو الأمام بكل قوة آدمية، واندفع بها جسمي النحيل كأني هباء ضئيل وسط هواء المدينة البارد.

– أرجوك أحضر لي ابني.. أرجوك.. أريد ابني.

لم أستطع أن أتمادى في وقوفي أمامها نصاحًا ومواسيًا، خصوصًا بعد أن سمعت رجاءها المتكرر الذي يصور جليًا حنان الأم الأزلي، كان صوتها المبحوح هو الوحيد الذي دخل أذني عنوة دون كل الأصوات المحيطة بي، لم أكن أسمع سوى صوتها ولم أر حينها أمام عيني سوى صورة ابنها، تركتها بعد ذلك مذعنًا لأخوض في الشارع العريض وسط زحامه البشري الهائل وليمتلئ ذهني بوساوس كثيرة وأسئلة عديدة تبحث هي الأخرى عن أجوبة مفقودة.

– أين عبدالرحيم؟ في أي شارع هو؟ كيف سأجده؟

وفي خطوات سريعة بين المشي والجري بدأت البحث وسط الشوارع الصاخبة والواسعة كأني أبحث عن إبرة وسط كومة قش، كنت أرى صورته المبهمة تختفي شيئًا فشيئًا مع مرور الوقت كأنها صورة لطائر صغير يحلق بعيدًا إلى وجهة غير معروفة، وفي لحظة الغروب المشهود وقبل أن يعتريني اليأس رأيت طفلًا صغيرًا يتخلله الظلام قرب محطة البنزين، إنه يشبه عبدالرحيم كثيرًا، اقتربت قليلًا لأتيقن منه أكثر، وفجأة بدا لي ذلك الطفل الوحيد كأنه يبحث عن شخص ما، ليبدأ الأمل بعدها يغمرني شيئًا فشيئًا وتبدأ الوساوس الشيطانية بالانجلاء ولأقترب في سرعة جنونية نحوه إلى أن أصبح بيني وبينه أمتار معدودة، حينها فقط عرفت يقينًا أنه عبدالرحيم، وقبل أن أنادي عليه حمدت الله في نفسي كثيرًا فلولا ألطافه الخفية لأصبحنا جسدًا ينقصه عضو ولأصبحت ذكراه تطاردنا في منامنا ويقظتنا كل يوم وليلة.

باحث مغربي

من أعلام النساء.. بلقيس ملكة سبأ

نجاح إبراهيم منصور

تقع بلدة سبأ في بلاد اليمن، وكانت بها مملكة قوية عامرة، وفي زمن نبي الله سليمان عليه السلام، كانت هناك ملكة تسمى بلقيس هي التي تحكم مملكة سبأ، وقد حدثت قصة مثيرة بين بلقيس ملكة سبأ وبين نبي الله سليمان عليه السلام، وكان أهل سبأ في ذلك الوقت كفارا يعبدون الشمس من دون الله.

في أحد الأيام كان نبي الله سليمان يفحص أحوال جيشه، كان الله قد سخر له الجن والإنس والطير، وكان هناك هدهد يعمل في خدمة سليمان عليه السلام، في ذلك اليوم لم يجد سليمان عليه السلام الهدهد بين الجنود، فسأل سليمان عن الهدهد، وقال لابد أن أعاقب الهدهد بسبب غيابه، إلا إذا قدم عذرًا وسببًا لهذا الغياب، وعندما جاء الهدهد وعلم ما قاله سليمان عليه السلام أسرع إليه ليفسر له سبب غيابه، قال الهدهد لسليمان عليه السلام، لقد عرفت أخبارًا هامة عن مملكة تسمى سبأ، تحكمها ملكة تسمى بلقيس، وهذه المملكة تتمتع بالقوة والعمران، وتجلس هذه الملكة على كرسي فخم فيه كثير من الجواهر والزخارف (والكرسي الذي يجلس عليه الملوك يسمى العرش)، ثم أضاف الهدهد: ولقد علمت أيضًا أن ملكة سبأ وأهل سبأ أيضًا يعبدون الشمس من دون الله، وهذا يدل على ضلالهم، وبعد أن عرف سليمان أن الهدهد كان صادقًا استدعاه إليه وأمره أن يحمل رسالة إلى ملكة سبأ، وأن يلقي هذه الرسالة في مجلس الملكة دون أن تشعر به.

ونفذ الهدهد أوامر سليمان، ووصل الخطاب إلى بلقيس ملكة سبأ، فجمعت قومها وأخبرتهم الخبر، قالت لهم إنها جاءتها رسالة من ملك يسمى سليمان، وإن الرسالة تقول إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين، أي إن الرسالة تطلب من ملكة سبأ أن تأتي مع كبراء قومها إلى سليمان وأن تعلن إسلامها لله وخضوعها لحكم سليمان عليه السلام.

كانت بلقيس ملكة سبأ تتمتع بالذكاء والحكمة، فقررت ألا تتهور وترفض الرسالة، بل أرادت أن تعرف المزيد من المعلومات عن سليمان ومملكته، فأعدت هدية فخمة وأرسلتها مع عدد من رجالها إلى سليمان على أساس أن الهدية ربما ترضي سليمان فيتراجع عن مطالبته بإسلامها واستسلامها.

جاء الرجال يحملون الهدية الفخمة إلى سليمان، قال سليمان للوفد الذي أرسلته بلقيس يحمل الهدية إنه لا يحتاج إلى هدايا وأموال، لأن لديه أفضل منها وأكثر، وأنه لابد أن تأتي بلقيس وكبار قومها ليعلنوا إسلامهم واستسلامهم لسليمان، وإلا فإنه سيأتي إلى مملكة سبأ على رأس جيش قوي لا يستطيع أهل سبأ مواجهته.

رجع وفد بلقيس إليها، وأخبروها بما حدث، وحدثوها عن القوة الكبيرة والثراء العريق الذي يتمتع به سليمان فقررت أن تذهب بنفسها إلى سليمان على رأس وفد من كبار أهل سبأ.

أراد سليمان أن يقدم مفاجأة لبلقيس ملكة سبأ، كان العرش الذي تجلس عليه، أي الكرسي الذي تجلس عليه في قاعة الحكم، هو أغلى وأعظم الأشياء في مملكة سبأ، قرر سليمان أن يأتي بهذا الكرسي قبل أن تصل بلقيس إلى مملكة سليمان.

جمع سليمان بعض رجاله وجنوده من الإنس والجن والطير وقال لهم: من يستطيع أن يحضر كرسي الملكة بلقيس قبل وصولها.

قال عفريت من الجن أنا أستطيع أن أحضر هذا الكرسي قبل أن ينتهي هذا المجلس.

قال أحد الحاضرين- وكان من العلماء- أنا أستطيع أن أحضره قبل أن تغمض عينيك وتفتحها- أي في لحظة قصيرة جدًا.

أمره سليمان بأن ينفذ ذلك، فقام هذا الشخص بإحضار كرسي العرش من اليمن إلى فلسطين في برهة قصيرة جدًا.

عندما رأى سليمان كرسي العرش أمامه قال الحمد لله الذي سخر لي كل هؤلاء الجنود من العلماء والجن والطير.

ادخل سليمان تعديلات بسيطة على الكرسي حتى لا تكتشفه بلقيس بمجرد نظرة واحدة.

بعد فترة من الزمن وصلت بلقيس ومن معها، قال لها سليمان مشيرًا إلى كرسي العرش، هل عرشك مثل هذا العرش؟

نظرت بلقيس إلى الكرسي طويلًا، وأخذت تفحصه وقالت إنه يشبهه تمامًا، فكأنه هو نفسه.

كان سليمان قد أعد لبلقيس وأهلها مفاجأة أخرى، أمر سليمان الجن والإنس ببناء قصر عظيم داخل البحر، بحيث لا يربطه بالشاطئ إلا طريق واحد يمتد فوقه زجاج شفاف يظهر الماء والسمك من تحته، كما أمر أن تكون أرضية القصر من هذا الزجاج الشفاف أيضًا.

عندما وصلت بلقيس إلى القصر، طلب منها سليمان أن تدخل إلى القصر، فنظرت إلى أرض القصر والطريق إليه فظنت أنها مملوءة بالماء، ولم تكن تدري أن هذا زجاج صلب شفاف، عندئذ رفعت ثوبها عن ساقيها حتى لا يبتل بالماء، عندئذ ضحك سليمان وأخبرها أنه ليس ماء بل زجاج صلب شفاف، وأن عليها أن تمشي عليه دون أن تخاف أن تبتل ثيابها، عندئذ أدركت بلقيس أنها أمام نبي صادق وملك عظيم، فأعلنت إسلامها وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أديبة وكاتبة إسلامية

زيارات مفقودة ووجوه صامتة وجيران لا يعرفون بعضهم!!

مرض عصري اسمه «اختفاء صلة الجيرة»

شعبان محمود شعبان

تقاربت المسافات بين الجيران ولكن تباعدت القلوب، الأبواب تفصلها أمتار قليلة ولكن القلوب تفصلها مسافات شاسعة، فمعظم الناس أصبحوا يقطنون شققًا متجاورة لكنهم لا يعرفون بعضهم البعض، لا صلة ولا تزاور، وقد يرى الواحد فيهم الآخر فيقرئه السلام أو لا يفعل.

هل اختفاء «صلة الجيرة» هي مرض العصر؟

في الماضي كان الجيران كلهم كالأهل، ولقد كان مبدؤهم في اختيار مساكنهم «الجار قبل الدار»، بل إن الجار القريب أحيانًا أحسن من الأخ البعيد، وكان الناس في الماضي يتزاورون ويتواصلون باستمرار ويقفون مع بعضهم البعض في السراء والضراء، والترابط الاجتماعي كان قويًا جدًا بينهم، فالكل في الحارة الواحدة متعارفون ومتحابون ويقفون معًا كعائلة واحدة ضد أي شيء ولكن للأسف اليوم وبسبب كثرة المشاغل الحياتية والمسؤوليات أصبحت زيارات الجيران والعلاقات الاجتماعية قليلة نسبيًا وأصبحت تقتصر على نطاق ضيق جدًا مثل الأعياد أو الزواج أو الوفاة.

العمة خيرية «أم محمود» ٦٥ سنة تقول: الوضع الآن اختلف، في الماضي كان الوضع أفضل فلقد كنت أسكن في بيت شعبي بسيط في حارة وأعرف الجيران كلهم وأزورهم وأفرح لفرحهم وأحزن لحزنهم أزور مريضهم وأعين محتاجهم ونسأل عنهم إذا غابوا حتى إذا جاء خطيب لإحدى البنات فالسيدات في الحارة يتشاورن في أمره وكأن الأمر يهمهن كلهن، ونزور النفساء ونبارك بالمولود الجديد ونحمل لها «الحليب» و«الشوربة» وغير ذلك.

الحياة كانت بسيطة وحلوة ولكن الآن الجار أمام جاره لا يزوره ولا يسأل عنه ولا يهتم به، الناس قست قلوبها وتغيرت بحجة «الشغل».

ديننا الإسلامي الحنيف يحترم الجار ويوقره ولا يسمح بإيذائه مهما كان دينه أو جنسه أو لونه ومن حقوق جارنا علينا أن نزوره إذا مرض ونعينه إذا احتاج ونحافظ على أهله ونسأل عنه إذا غاب، ومن الأمور المهمة أيضًا عدم إيذاء الجار بأية صورة من الصور سواء بالإزعاج، خصوصًا في أوقات نومه وراحته، أو رفع البناء عليه وحجب الشمس والهواء عنه أو فتح النوافذ على بيته والإطلال منها على خصوصياته وكشف عوراته، أو ضرب أولاده أو طرح القمامة عند عتبة داره أو التجسس والتسمع عليه، ولقد قال تعالى عز من قائل في سورة الحجرات: ﴿ولا تجسسوا﴾.

ولكن ماذا إذا كان الجار نفسه مؤذيًا ومتطاولًا على غيره؟



الإجابة نجدها في هذا الحديث الشريف:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارًا يؤذيني، فقال له ﷺ: «أخرج متاعك فضعه على الطريق»، فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق، فجعل كل من مر به قال: ما لك؟ قال: جاري يؤذيني، فيقول: اللهم العنه، اللهم أخزه، قال: فقال الرجل: ارجع إلى منزلك، وقال: لا أؤذيك أبدًا. (قال أحمد شاكر: اسانيده صحيحه).

فالدرس المستفاد من ذلك أن الصبر على الجار المؤذي ومعاملته بفطنة وذكاء هي من الوسائل المناسبة لإصلاح حاله ورجوعه عن غلطه وأذاه لجيرانه.

وعلاقات الجيرة الآن لم تعد بنفس القوة التي كانت عليها من قبل لأسباب رئيسية، منها طراز المباني التي نسكن فيها الآن والتي جعلت من الجار أكبر مصدر إزعاج لجيرانه وبالتالي بث روح الكراهية في نفسه لجاره والحياة الحديثة بمشاغلها والعلاقات المادية البحتة أبعدت النفوس عن بعضها البعض، ليس الجيران فحسب بل حتى الأهل وأصبح البعض يروج لمقولة «صباح الخير يا جاري أنت في حالك وأنا في حالي» والآباء والأجداد بصراحة هم الذين يعرفون قيمة الجار أما الآن فالوضع اختلف، ولكن يبقى للجار حق وهو حق حسن الجوار وعدم الإيذاء ورعايته.

باحث تربوي

آفات في طريق الدعاة

عمر سالم المطوع

من توفيق الله للعبد أن يجعله داعية إليه، قال الله تعالى ﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحًا وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت: ٣٣)، قال الحسن البصري عن هذه الآية: «هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين».

لا يخفى عليك أخي الداعية فضل الدعوة إلى الله عز وجل وعظيم ثوابها، وكذلك أه ميتها وضرورتها لبناء المجتمع المسلم في ظل تلك الهجمات الشرسة التي تريدنا أن ننسلخ من قيم ديننا الحنيف، لذا احذر أن توقف مسيرتك في الدعوة إلى الله بحجة أن تكتفي بصلاح نفسك وأهلك، فوالله إن رضينا بذلك ليتسلل الفساد إلى منازلنا، وإلى الأجيال القادمة، والحمد لله، نحن نعيش في زمن باتت وسائل الدعوة إلى الله فيه كثيرة جدًا، بدءًا من الدعوة الفردية، إلى الشبكة العنكبوتية، إلى القنوات الفضائية، ولقد أثمر حضور الدعاة والعلماء في تلك الوسائل، وخاصة القنوات الفضائية أثرًا طيبًا مباركًا.

ولاشك أن الداعية أثناء ممارسته للعملية الدعوية بشكل خاص أو بشكل عام يتعرض لبعض الآفات والمنزلقات التي تؤدي به إلى الهلاك والعطب، لذا أحببت أن أشارك إخواني الدعاة إلى الله، وأضع بين أيديهم بعض تلك الآفات، حتى يحذروا منها، ولا تكون عائقًا لهم في مواصلة مسير الدعوة إلى الله، قال الشاعر:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

موت القلب

هي آفة خطيرة تصيب العلماء والدعاة ، قال الحسن البصري: «عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة» وقال الفضيل ابن عياض رحمه الله: «إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالمًا تلعب به الدنيا»، قال يحيى بن معاذ: «إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا».

فاحذر أخي الداعية من هذا الداء العضال الذي بدأ يتفشى في كثير من الدعاة، فأصبحت كلماتهم جامدة لا حياة فيها وانكبابهم على الدنيا أصبح منفرًا للمخلصين والمحبين لهم، ومن أمثلة ذلك أنهم قبل أن يلقوا المحاضرة يسألون عن المكافأة المادية، ويحزنون إن لم يتم حجز مقاعد لهم في الدرجة الأولى وغيرها من الأمثلة المزعجة. يروى أن الأستاذ عمر التلمساني ألقى محاضرة في إحدى الدول العربية، وبعد انتهاء المحاضرة أتى مسؤول تنسيق المحاضرات ليعطي الأستاذ مبلغا من المال نظير محاضرته، فأبى الأستاذ أن يأخذ المبلغ وقال لو أعلم أنكم تعطون مالًا لمن يدعو إلى الله لما أتيت وألقيت المحاضرة، فرد عليه مسؤول التنسيق: ولكن كل المحاضرين يأخذون تلك المكافآت! فقال له الأستاذ عمر: ولكني لست من هؤلاء إنما أنا عبد على باب الله، قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافقًا عليمًا قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

لا تترك ميدانك الدعوي

لقد افتقدنا في الآونة الأخيرة الداعية الميداني، فلقد ركز كثير من الدعاة على الظهور الإعلامي وتركوا الدعوة في الاحياء التي يعيشون فيها، فلا تجد لهم أثرًا حتى على أقاربهم، فالداعية الهمام الصادق الذي ما إن يحل في مكان حتى تجد نسمات الدعوة إلى الله تنطلق في المحيط الذي هو فيه، والمساجد تعمر بالمصلين، وجموع الشباب تعود إلى الله، فهو أينما حل وارتحل يترك أثرًا طيبًا، فهو الأب المربي القدوة لأبنائه، وهوالذي يخالط الناس ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم ويتحين الأوقات المناسبة ليدعوهم إلى الله، وهو الموظف المثابر الذي ينصح زملاءه ويساعدهم، فهو مؤثر بمن حوله بحاله ومقاله، وكما قيل «إن دعوة الحال أبلغ من دعوة المقال»، وقال سفيان الثوري رحمه الله: «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل».

غيبة العلماء والدعاة

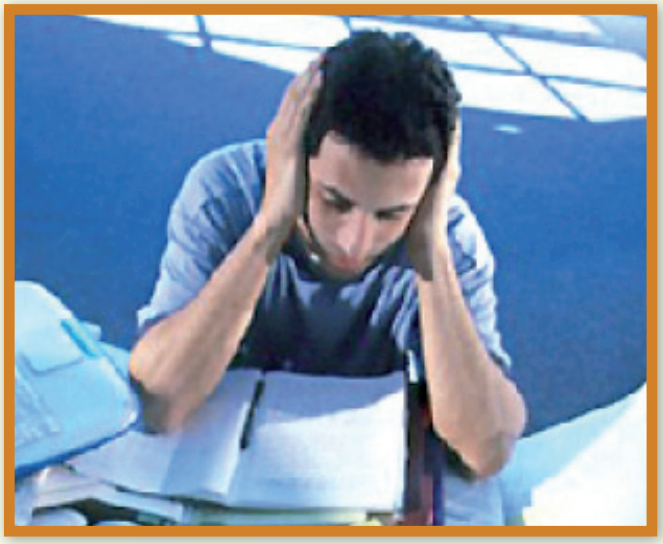
ومما يحزن المرء في هذه الأيام ما نراه من قدح الدعاة والعلماء بعضهم في بعض، في الجرائد والمجلات، حتى إن طلبة العلم تجرأوا في ذلك، وأصبحت مجالسهم مليئة بتجريح العلماء والدعاة والمؤسسات والجمعيات الخيرية، قال النبي ﷺ «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره، قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» (رواه مسلم)، وقال النبي ﷺ «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا» (رواه الترمذي)، وقال الحافظ ابن عساكر، رحمه الله، «واعلم بأن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالسلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب»، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «وغيبة العلماء ليست كغيبة عامة الناس، لأنّ العلماء لهم من الفضل والتقدير والاحترام ما يليق بحالهم، ولأن غيبة العلماء تؤدي إلى احتقارهم وسقوطهم من أعين الناس، وبالتالي إلى احتقار ما يقولون من شريعة الله وعدم اعتبارها، وحينئذ تضيع الشريعة بسبب غيبة العلماء، ويلجأ الناس إلى جهال يفتون بغير علم»، ومن جميل ما قاله الإمام البنا في ذلك، وهو يوصي الداعية في الله: «تجنب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات ولا تتكلم إلا بخير».

داعية كويتي

الاكتئاب بين الدين وعلم النفس

بشرى شاكر

الاكتئاب أو مرض العصر، أصبح أكثر الأمراض النفسية انتشارًا بين الأشخاص في عصرنا هذا، ويعد أحد أبرز أسباب الأمراض العضوية أيضًا، قد يكون سبب الاكتئاب عضويًا مثل مرض مزمن مثلاً، أو مرض لم يفلح العلاج معه، أو استعمال بعض الأدوية لعلاجه فينجم عنها الإحساس بالكآبة، كما أن تناول المشروبات الكحولية التي يظن بعض الناس ممن يحسون بالحزن والاكتئاب أنها تخرجهم من جوهم الحزين، سبب لزيادة حالة الاكتئاب، وإن الكيماوية الموجودة فيها تتفاعل في الكبد لتجعل الإنسان أكثر قابلية للكآبة، ولعل من الملاحظة البسيطة للأشخاص الذين يتناولون هاته المشروبات يمكن أن نفهم ذلك، حيث تتغير تصرفاتهم من الضحك إلى الضحك الهستيري ثم البكاء، وهناك أدوية كما أسلفنا، تقوم بنفس الشيء وتكون سببًا لزيادة الاكتئاب والغريب أن معظمها تعطى لمعالجة حالات الاكتئاب!



للاكتئاب عوامل نفسية بحتة، فقد يكون فقد إنسان عزيز سببًا في إصابتنا بهذا المرض، بمعنى آخر عدم قدرتنا على القيام بما يسمى في علم النفس بالحداد- deuuil- أي عدم اجتياز مرحلة الصدمة لمرحلة التقبل وإعلان الحداد على ما فات، وهناك عوامل نفسية أخرى مثل الأرق والتوتر بالعمل والمشكلات العائلية وأحيانًا مشكلات بعيدة زمنًا مثل مشكلات الطفولة.

وعمومًا الاكتئاب أو مايعرف لدى البعض بالكآبة، هو إحساس الشخص المصاب بالحزن الشديد والتشاؤم والفراغ، حيث تخلو أيامه من أي منبع للسرور أو المتعة، فيحس بنوع من الخمول يترجم بغياب أي حافز حيوي وبانطواء على الذات، ويحس الشخص أنه لكي يقوم بأي عمل اعتيادي يجب أن يقوم بمجهود كبير جدًا وإن كان العمل سهلا وبسيطًا وكل يوم يمضي تزداد صعوبة القيام بالأعمال اليومية العادية، مما يحدث ضمورًا في الفكر ويؤدي إلى شل الدماغ والخلايا العصبية إذا لم يتدارك الإنسان أو أهله الأمر، وغالبًا ما يحس الإنسان المكتئب بألم في مفاصله وبالصداع النفصي وقد يصاب بقرحة المعدة أيضا ولا يستطيع النوم ويصاب بالأرق.

وقد يصل الأمر بالإنسان المكتئب إلى التفكير بالانتحار وأحيانًا كثيرة يقدم على هذا الفعل، وتبدأ هذه الأفكار حينما يبدأ بالإحساس بضيق شديد وأنه لا يمكن أن يكون إنسانًا ناجحًا وأنه لا شيء على ما يرام ومهما فعل فسيظل كما هو، فينفذ صبره وأيضًا قدرته على التحمل فيلجأ للتخلص من حياته لأنها أصبحت تشكل عبئًا لم يعد يحتمله، وقد يلجأ العقل للتخلص من الإحساس بالاكتئاب فيكون الجنون، وهو نوع آخر من الهروب من حالة الكآبة والحزن والضيق الشديد إلى عالم اللاوعي.

الحزن الشديد هو أبرز مظاهر بداية الاكتئاب وهو السمة التي ترافق المكتئب في كل مراحله، وعادة ما يكون للاكتئاب سبب وجيه فينتهي الاكتئاب بانتهاء العلة، ولكن أحيانًا أخرى يكون ذلك من دون سبب مسبق أو غير معروف على الأقل، ومن علاماته أن يقوم الشخص متجهمًا منذ الصباح متعبًا وحزينًا.

العلاج بالعقاقير لا يؤدي غالبًا إلى المفعول المطلوب، فقد يحدث عن تناولها نوع الإدمان فيزيد الطين بلة أو تكون وقتية ويعود الشخص لحالته الأولى، والعلاج النفسي أنجح بكثير ولكنه يكون أفضل إذا اقترن بعلاج ديني قويم، فالإسلام جاء شاملاً جامعًا ولم يغفل عن أي إحساس إنساني، وقد جاء ذكر الحزن في مواقع كثيرة من القرآن، فنجد مثلاً في سورة النحل، قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء﴾، ويقول

كاتبة مغربية

في سورة هود: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك﴾.

والعلاج من الحزن أساسه الإيمان بالقدر خيره وشره الذي يقتضي أساسًا الإيمان المطلق بالله تعالى، قال سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾، وقال أيضًا في سورة المائدة: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

والإيمان بالقدر يخفف من الحزن على ما فات أو ما أصابنا أو ما سيصيبنا أو الخوف من المستقبل ومن الغد، إذ قال سبحانه وتعالى في سورة الحديد: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾.

فلو علمنا أن ما يصيب الأرض وما يصيب أنفسنا في لوح محفوظ من قبل أن تخلق الأرض والأنفس، لوثقنا أنه ما أصابنا ما كان ليخطئنا وما أخطأنا ما كان ليصيبنا، هكذا تخف حدة الحزن على الفقدان أو على الإصابة، ونقول تخف ولا تختفي لأن الحزن إحساس نفسي طبيعي ولا يمكن أن تكون هناك فرحة بدون أن نعرف ملامح الحزن، وإنما كثرة الحزن وشدته هي التي تقلب الأمر الى كآبة واكتئاب.

وقد يكون الضيق والحاجة سببًا في الشعور بالحزن الذي يتحول إلى اكتئاب، وهنا نرى أن الإسلام أكد على ضرورة التكافل الاجتماعي ودعا المسلمين إلى فك ضيقة بعضهم البعض، إذ قال رسولنا الكريم ﷺ «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله، عز وجل، في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (رواه أحمد) فيا له من فضل أن نستظل يوم القيامة ونتقي لفح جهنم، والعياذ بالله، وكذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾.

كما أن الله أخبر المؤمنين: «أنه لا يوجد عسر إلا ومعه يسر، فقال سبحانه وتعالى في سورة الشرح: ﴿فإن مع العسر يسرا. إن مع العسر يسرا﴾، العسر واحد ومعرف واليسر اثنين وغير معرف بمعنى تكرار اليسر مرتين لعسر واحد، ومعناه أن مع كل عسر يصيبنا يسرين ملتصقين به، فلا يقفل الله بابًا حتى يفتح بابين، يكونان أمامنا في ذات لحظة إقفال الباب الأول المعروف أي العسر والحمد لله رب العالمين.

حينما نفكر بهذه الطريقة ونعيش راضين قنوعين بما يصيبنا صابرين مؤمنين، فإن الحزن لن يتحول إلى اكتئاب كما أن للترابط الأسري دورًا كبيرًا في معالجة الحالات التي قد تتحول إلى اكتئاب، ولذلك نصح الإسلام بتكوين أسرة مؤمنة مستقرة، إذ قال تعالى في سورة النحل: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا﴾ وقال أيضا في سورة الروم ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ فحيث يتواجد السكن يرحل الحزن والغم والنكد، فالسكن استقرار للروح ومتعة للقلب، ولذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون بيوت المؤمنين سكنًا لهم وأن يزيدوها استقرارا وراحة بالمودة والرحمة التي تشيع الاطمئنان والحب وتشيع الأفراح وتبعد الحزن والتشاؤم.



ولعل من أهم أسباب استقرار المجتمعات أيضًا معاملات الناس وسلوكاتهم تجاه بعضهم البعض، فباللين والحلم والقول الحسن نبعد الشيطان الذي ينفث السم بين الناس، إذ أمرنا أن نحسن في كل شيء بدءًا بالقول، فقال سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغُ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا﴾.

كما يساعد ذكر الله النفس البشرية على التخلص من كل خوف أو حزن أو اكتئاب ويجعلها تطمئن وتسكن، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

ومن حديثه عليه أفضل الصلوات والسلام: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا ومن هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب» (صححه ابن باز)

فالذكر إذن يجلي الهموم ويبعد الضيق وينهي الأحزان وعكسه يؤدي إلىحياة ضنكة حزينة وخالية من أي رغبة في الاستمرار، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٤)

فمن آمن بالله واتقاه وتوكل عليه لا يصيبه حزن أو كمد، وقال تعالى في سورة الزمر: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾.

فلنتوكل على الله ونعيش الحياة مؤمنين به وبقدره، متقين مهتدين، متسامحين وصبورين فبذلك فقط نتجنب مرض العصر، والذي هو الاكتئاب.

المدرسة التنكزية

المدرسة التنكزية في بيت المقدس واحدة من أشهر المدارس المقدسية وأحلاها وهي نموذج رفيع للمدارس الإسلامية، ومنها تخرج عدد كبير من علماء بيت المقدس، قال مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ) في وصفها: «إنها مدرسة عظيمة ليس في المدارس أتقن من بنائها». (الأنس الجليل ٢/ ٨٧).



تركي محمد النصر

نبذة تاريخية

تقع مدينة القدس على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق، ومحيط المدينة صخري قاحل، لا سهل فيه، ولا بحيرة ولا ينابيع، وهي ليست على بحر ولا على طريق تجاري، ومع هذا كلّه فإنك تجد فيها خيرات الأرض كلها، بل تجد فيها المنتجات الزراعية الصيفية في فصل الشتاء.

ويرجع تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، وهي بذلك تعدّ واحدة من أقدم مدن العالم، وتدلّ الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها على العمق التاريخي للمدينة المباركة.

ويُعتبر عصر المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧م) في القدس من أكثر العصور ازدهارا؛ حيث إنّ المماليك اهتموا بالقدس اهتمامهم بالحرم الشريف في مكّة، وسُمِّيَ عصرهم فيها بالعصر الأبيض، وذلك لكثرة ما قاموا به من عمارة وترميم في المدينة المباركة، وربما يكون النّاصر محمد بن قلاوون (ت: ٧٤١هـ) الذي أولى للقدس اهتمامًا كبيرًا، وأقام فيها أعمالاً عمرانيّة لا مثيل لها، أكثر اسم يُذكر في هذه النقوش.

ولقد اشتهر عهده رحمه الله بإنشاء الأبنية الكثيرة والمآثر الحضاريّة المختلفة، فشهدت المدينة المباركة على يديه ويدي نائبه أمير الشام تنكز الناصري حركة عمرانية لا مثيل لها في العهد المملوكي، ومن هذه المنشآت رباط الكرد سنة ٦٩٣هـ، والمدرسة الدويداريّة سنة ٦٩٥هـ، والتربة الأوحديّة سنة ٦٩٧هـ، والمدرسة السلاميّة الموصليّة سنة ٧٠٠هـ، وزاوية المغاربة سنة ٧٠٣هـ، وجامع قلعة القدس سنة ٧١٠هـ، والمدرسة الكريميّة سنة ٧١٨هـ، والمدرسة الأمنيّة سنة ٧٣٠هـ، والمدرسة الملكيّة المالكيّة سنة ٧٤٠هـ.

وربما كان الأبرز من أعمال الأمير تنكز تلك المدرسة التي مازالت تُعرف باسم «المدرسة التنكزية» نسبة له، حيث بناها ضمن مشروع ثقافيّ يشمل علوم عصر ذلك الزّمان.



تأسيسها

أسس هذه المدرسة أمير الشام سيف الدين تنكز بن عبدالله النّاصري، ووقفها سنة (٧٢٩هـ . ١٣٢٨م)، كما يبدو في نقش كتابيّ على واجهتها الخارجيّة، فوق الباب الشمالي، ونصُّه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذا المكان المبارك راجيًا ثواب الله وعفوه المقر الكريم، السيفي تنكز الملكي النّاصري، عفا الله عنه وأثابه، وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبعماية».

موقعها ووصفها

تقع المدرسة التنكزيّة بين باب السلسلة شمالا وحائط البراق المحتل جنوبا، ويقع جزء منها داخل الرواق الغربي للمسجد الأقصى، وجزء خارجه، فالداخل إلى المسجد الأقصى من باب السلسلة يشاهد المدرسة التنكزيّة عن يمينه.

وهي من المدارس الشهيرة في القدس، ومبناها الذي لا يزال قائمًا حتى اليوم يقدم أفضل الأمثلة على المدرسة ذات التخطيط المتميّز في المدينة المباركة.

وتطلّ واجهة المدرسة الشماليّة على ساحة صغيرة بباب السلسلة، وواجهتها الشرقيّة تطلّ على رواق المسجد الأقصى، والواجهة

إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الجنوبيّة تشرف على حائط البراق، والواجهة الغربيّة على المباني المجاورة لها، وقد تجلّى الفن المعماري المملوكي بصورة رائعة في بناء المدرسة الذي حفل بالزخارف والمقرنصات التي تزيّن بوابتها العالية والأحجار الملوَّنة.

تتألف المدرسة من أجنحة عدّة، وتشتمل، بالإضافة إلى المدرسة العامة، على دار للحديث، وخانقاه للصوفيّة، ورباط للعجائز من النساء، فالمدرسة تشغل الطابق الأرضي من المبنى، أما الخانقاه ففوق رواق الحرم، كما كان فوق سطح المدرسة بيت كبير طوله خمسة وأربعون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا مخصص لرباط النساء.

ويغلق على هذه المدرسة باب كبير بمصراعين من خشب الجوز وصفائح النحاس الأصفر ببوابة معقودة بالحجر النحيت الأبيض والأسود، وبها طرز مذهَّب مكتوب فيه اسم الواقف، وتشتمل هذه المدرسة المذكورة على أربعة أواوين معقودة بالكلس والحجر، في واحد منها شباك حديد مطل على حارة المغاربة، وجدرانها وأرضها من الرخام الملوَّن.

وفي وسط هذه المدرسة المذكورة بركة مثمَّنة يجري بها الماء من قناة العروب، ولها مكان للطهارة يشتمل على خمسة بيوت مبنية بالحجارة والكلس وأحدها



المدرسة من أشهر منارات القدس العلمية حيث تضم داراً للحديث وللقرآن ومدرسة عامة

مستحم، وفي كل بيت منها جرن حجر، يجري إليه الماء من قناة العروب المذكورة.

وجميع أواوين هذه المدرسة المذكورة مبلطة بالبلاط الأبيض، وحائط هذه المدرسة القلبي مبني على أقباء رومية، يتطرق إليها من حارة المغاربة بباب خاص.

وتعتبر المدرسة التنكزية من حيث بنيانها الهندسي من الروائع المملوكية، وقد أوقف عليها الأمير «تنكز» وعلى ملحقاتها الأخرى ضمن مشروعه الثقافي منشآت أخرى مثل سوق القطانين وحمَّامَي العين والشّفاء وخان تنكز بالقدس القديمة.

التاريخ العلمي للمدرسة

كانت القدس في العصر المملوكي تعتبر مدينة البحث العلمي، ومدينة الدارسين، ومن أشهر مناراتها العلميّة المدرسة التنكزية التي تضم دارًا للحديث، ودارًا للقرآن، ومدرسة عامّة، وقد قامت هذه المدرسة بدور رائد في الحركة العلميّة في بيت المقدس.

وتولى مشيختها والتدريس فيها عدد من العلماء، وكان بعضهم يدرس بالمدرسة الصلاحيَّة والمعظميَّة، وذلك إلى جانب التدريس بالتنكزية.

وتم تحديد الدراسة في مدرسة الحديث بأربع سنوات، وكان واقفها يشترط أن يكون المدرس حافظًا لكتاب الله تعالى، عالماً بمذهب الإمام أبي حنيفة، وأن يكون إمامًا في الصلوات الخمس، كما اشترط أن يكون شيخ الحديث عالي الرواية مقصودًا بالسماع عليه حسن الضبط، كما اشتَرطَ أن يكون طلابها من أهل الخير، وتم تقسيمهم إلى طبقة المبتدئين، وطبقة المتوسطين، وطبقة المنتهين، وأن يواظبوا على دروسهم.

أمّا طالب دار الحديث فعليه أن يقرأ في الدرس الديني من صحيح البخاري، ثم من صحيح مسلم، وأن يحفظ كل يوم حديثا واحدا، ويعرضه على شيخ الحديث.

من أشهر من تولّى مشيخة المدرسة ودرَّس فيها

١. القاضي علاءالدين بن منصور المقدسي، (ت: ٧٤٨هـ، ١٣٤٧م).

٢. الشيخ صلاح الدين أبوسعيد العلائي، (ت: ٧٦١هـ، ١٣٥٩م).

٣. الشيخ شهاب الدين محمود الأسدي المقدسي، الذي تولّى مشيخة التنكزيّة بعد وفاة العلائي سنة ٧٦٢هـ ١٣٥٩م.

٤. الحافظ جمال الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال المقدسي الشافعي، (ت: ٧٦٥هـ، ١٣٦٣م)، صاحب كتاب «مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام»، والذي يعد من المصادر الرئيسية لدراسة تاريخ القدس، درَّس، رحمه الله، بالتنكزية بعد وفاة العلائي واستمر مشتغلاً بالتدريس حتى وفاته.

٥- الشيخ شمس الدين بن النقيب، (ت: ٨٧٧هـ، ١٤٧٢م).

٦- الشيخ محمود بن القاضي أحمد الديري، الذي عُيِّنَ بها قارئا سنة

(٩٧١هـ).

٧- الشيخ محمد بن حافظ السروري المقدسي بن غانم، (ت: ١٠٨٩هـ ١٦٧٨م).

واستمرت المدرسة تؤدي دورها حتى أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ثم اتُّخذت مركزا للقضاء والنوّاب، وديوانا للقضاة، ودارا للسكن السلطاني في عهد السلطان قايتباي، (ت: ٩١٠هـ)، ثمَّ عادت لتقوم بدورها الفكري في أواخر القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ثم حوِّلت إلى محكمة شرعيَّة في العصر العثماني، ثم اتخِذت مقرا للمؤتمر الإسلامي، ثم مقرا للمعهد الأقصى العلمي، ثم مدرسة لتعليم الفقه الإسلامي.

خاتمة

ظلت هذه المنارة تنشر العلم على أنها مدرسة لتعليم الفقه الإسلامي حتى دنستها يد الغدر وأطفأت نورها، وبدأت المصائب والنكبات تتوالى عليها، ففي سنة ١٩٦٩م قام الجيش الصهيوني باقتحامها واحتلالها والمرابطة فيها، ومنعوا أيَّ أحد من الدخول إليها أو الاقتراب منها، حيث أصبحت ثكنة عسكرية تنصب على أسطحها المتاريس والرشاشات والأسلحة.



وفي سنة ١٩٩٦م وبسبب موقعها المطل على ساحات المسجد الأقصى استخدم الصهاينة سطحها لارتكاب ما يُعرف بمجزرة النفق، حيث قام الصهاينة بحفر نفق تحت المدرسة وأطلقوا عليه اسم «نفق الحشمونائيم».

وفي سنة ٢٠٠٦م قام الصهاينة بإعلان النفق كنيسًا يهوديًا، وفي سنة ٢٠٠٧م عبث الصهاينة بأوقافها فوضعوا أيديهم على حمام العين- أحد أوقافها- القريب منها لتحويله إلى كنيس يهودي وأطلقوا عليه اسم «أوهيل يتسحاق».

ثم واصل المحتلون استهدافهم للمدرسة، فافتتحوا ما أطلقوا عليه اسم «متحف قافلة الأجيال»، وهو مكون من سبع غرف يعرض فيها تاريخ القدس من وجهة نظر صهيونية، بواسطة وسائل إيضاح وعروض الصوت والضوء، وقد أُنفقت عليه مبالغ خيالية لإظهاره بتلك الصورة، في خطوة ملحوظة لمسح الفكر العالمي وتشويه الثقافة، إذ يقع هذا المتحف خلف المدرسة التنكزية مباشرة، ويشكل اتصالاً لأَنَفَاق الحائط الغربي وتهديدًا لمحيط المسجد الأقصى ككل.

وما زالت رشاشات جنود الاحتلال مصوّبة من فوق هذه المدرسة نحو ساحات الحرم القدسي الشريف، تنذر بعمليات قتل وتدمير أخرى.

هذه هي التنكزيّة

صرح علمي مميز يتمتع بماض رفيع شهد له المؤرخون والكُتَّاب، وأحد أبنيّة ومعالم المسجد الأقصى المبارك، وأجمل مدارسه، وجزء لا يتجزأ منه.

حُوِّلَت هذه المنارة الثقافيّة إلى مقرٍّ لحرس الحدود الصهاينة والجيش الإسرائيلي، ومازالت رشاشاتهم مصوّبة من فوقها نحو المصلين والمرابطين داخل المسجد الأقصى تُنذر بمجازر مرتقبة، وخطر يحاك تحت الأقصى وفي محيطه وملاصقًا به.

حوَّل الصهاينة مسجدها إلى كنيس يهودي ومحرابها إلى مكبٍّ للنفايات، وقواعدها إلى كنيس قنطرة، وجدرانها إلى معرض لقافلة الأجيال اليهودية، وساحاتها إلى حائط بكاءٍ، ومازلنا نرتقب.

المصادر:

١- السلوك لمعرفة الملوك، لتقي الدين المقريزي، ت: ٨٤٥هـ.
٢- تحفة النُّظّار في غرائب الأمصار (رحلة ابن بطوطة).
٣- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين الحنبلي، ت: ٩٢٧هـ.
٤- بيت المقدس، لنافذ أبوحسنة.
٥- دليل المسجد الأقصى المبارك.
٦- المسجد الأقصى.. الحقيقة والتاريخ لعيسى القدُّومي.
٧- بيت المقدس والمسجد الأقصى لمحمد محمد حسن شُرَّاب.

الخمور وتأثيرها على صحة الإنسان

د. يحيى سنبل

من رحمة الله بعباده أنه- جل شأنه- أحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ومن هذه الخبائث الخمور بجميع أنواعها ومسمياتها والمشروبات الكحولية الأخرى، وجدير بالذكر أن كل الخمور من الناحية العلمية يطلق عليها «كحول Alcoholic» كما يطلق على مدمن الخمور كلمة كحولي وهو السكير، ويطلق على إدمان الخمور وما يترتب عليها من تسمم واغتيال للعقل الكحولية أو الغولية «Alcoholism».

تعاطي الخمور الذي يمثل مشكلة كبيرة في الدول الغربية، ولايرى الغربيون حرجًا في تعاطيها، بدأ ينتشر في مجتمعاتنا العربية، خصوصًا في الأفراح في المدن والقرى، وفي طبقات اجتماعية لم يكن يخطر ببالها قديمًا أن تتعاطى هذه السموم، فهل يراد بنا أن نصبح مثل الأمريكان الذين انتشرت فيهم الخمور لدرجة أن ٩٠ ٪ منهم يشربون الخمر في فترة من فترات حياتهم، و٣٠-٤٠٪ من الرجال حديثي السن لديهم مشكلات من الخمور، وإدمان الخمر الذي يمثل مشكلة طيلة العمر يعاني منه ٥-١٠٪ من الرجال، و٣-٥ ٪ من النساء.

والخمور تؤدي إلى مشكلات طبية ونفسية واجتماعية، فهي تدمر صحة الإنسان، وتصيبه بالأمراض النفسية، وتمزق الأسرة، وتجلب الخراب والدمار، وقد يصل الأمر إلى إيداع مدمن الخمور في مستشفى عام أو مستشفى للأمراض العقلية.

الإيثانول ethanol هو المكون النشط في جميع أنواع الخمور، ويتم امتصاص الخمور (الكحول) كما هي من المعدة والأمعاء الدقيقة، ويمكن رصد الخمور



في الدم خلال خمس دقائق من تعاطيها، لكنها تصل إلى أعلى تركيز في الدم في خلال نصف ساعة إلى ساعة ونصف الساعة، مع العلم أن الماء يسهل امتصاص الكحول، أما اللبن والأطعمة الدهنية فإنها تعيق امتصاصه، وعلى النقيض من الرأي السائد بين مدمني الخمور فإن محتوى فيتامينات (ب) في البيرة والمشروبات الأخرى منخفض بدرجة تجعله ذا قيمة غذائية منخفضة.

هذه الخمور عندما يدمنها الإنسان وتتمكن منه فإنها تدمر أجهزة الجسم المختلفة، ولعل أهم هذه الأجهزة الجهاز العصبي، هذا الجهاز الذي يسيطر على أجهزة الجسم يصاب بالخلل والاضطراب، حيث يحدث اعتلال الأعصاب المتعدد، والتحلل المخيخي، وضمور المخ، واعتلال العصب البصري، وغير ذلك، مما يجعل المريض يعاني من هلاوس ورعشة وهذيان، وقد يدخل في غيبوبة، إنه يفقد عقله الذي كرمه الله به، وقد يصل به الأمر إلى حالة من العته الكحولي Alcahalic dementia .

كما يصاب الكبد بالتليف، والفشل الكبدي، وتصاب العضلات بالاعتلال بما في ذلك عضلة القلب، ويحدث هبوط القلب الذي لا يستجيب للعلاج.

كما أن مدمن الخمر بدلًا من أن يستيقظ من نومه مرتاحًا، هادئًا، فإنه يستيقظ في حالة من الغثيان والقيء، كما يعاني من عدم ارتياح البطن وقرحة المعدة، وقد يصل الأمر إلى القيء الدموي، كما يصاب البنكرياس بالالتهابات الحادة والمزمنة.

إن أبلغ وصف لهذه الخمور هو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ (المائدة: ٩٠-٩١).

هذه هي الخمور، وهذه بعض أضرارها، وقد لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة: «عاصرها، ومعتصرها- أي طالب عصرها- وشاربها وحاملها والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له». (رواه الترمذي وابن ماجة).

طبيب بشري



الأمير الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني

(١٣١٢-١٣٩٤هـ، ١٨٩٤-١٩٧٤م)

التحرير

هو الشيخ الجليل علي بن عبدالله بن قاسم بن محمد بن ثاني، ينتهي نسبه إلى مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم العدناني.

فهو ينتمي إلى سلسلة متينة من النسب العربي الصريح، وينحدر من سلالة عربية تقية، ومن فرع كريم من فروع بني تميم العدنانيين، فهو سليل المجد والعلياء، ووريث آباء وأجداد خيار نجباء شهروا بحسن فعالهم، ونقاء أنسابهم. فأسرة آل ثاني تزعمت القبائل القطرية منذ القرن التاسع عشر، واستطاعت أن تبني إمارة عربية مستقلة في عهد الشيخ محمد بن ثاني.

تسلم والده الشيخ عبدالله. ولد سنة ١٢٧١هـ. الحكم سنة ١٣٣١هـ، ١٩١٣م، وتنازل عنه لابنه الشيخ علي سنة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م، بعد ٣٧ سنة وهي أطول مدة حكمها حاكم من آل ثاني.



ولد الشيخ علي بن عبدالله في الدوحة بقطر سنة ١٣١٢هـ ١٨٩٤م، وهذه المرحلة كانت من أشد مراحل التاريخ القطري اضطرابًا، حيث التنازع بين الأتراك والإنجليز الذي وقعت البلاد فريسة له، فأنهك البلاد، ووقف سدًا أمام تقدمها وتطورها، وكان الشيخ قاسم بن محمد حاكمًا للبلاد في هذه الظروف الصعبة التي ولد فيها حفيده الشيخ علي بن عبدالله رحمهما الله.

تزوج الشيخ علي غير مرة ورُزِق أحد عشر من الذكور، أكبرهم قاسم، وأصغرهم الوليد، كما رزق بثلاث بنات.

نشأ الشيخ علي في كنف أسرته الحاكمة التي وليت شؤون السلطة في قطر في أواسط القرن التاسع عشر، وتربى الشيخ علي في أحضان جده الشيخ قاسم بن محمد وأمضى عنده العقدين الأولين من عمره، حيث تعلم منه السيادة والشجاعة والكرم والحنكة والتدين والشاعرية، فشب الحفيد على الفروسية والشجاعة والجلد، ونشأ محافظًا على شعائر الدين، مواظبًا على الصلاة، متعهدًا القرآن الكريم بالحفظ والتلاوة.

برزت شخصية والده الشيخ عبدالله بن قاسم لتكون ثاني الشخصيات التي تركت بصماتها الواضحة في نشأته الأولى، فجمع الشيخ علي بين خصال الجد والأب، ونشأ على ما ينشأ عليه أبناء الملوك آنذاك من التمسك بأصول الشريعة، والتحصن بالفضائل الإسلامية والأخلاق الحميدة.

كما تأثر الشيخ علي بشخصيتين نجديتين مهمتين كانتا تقيمان في قطر هذه الأثناء.. هما

١- العلامة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع، الذي قاد الحركة العلمية في البلاد على مدى ربع قرن من الزمان، ما بين (١٣٣٤هـ إلى ١٣٥٧هـ)، وكان من ثمار تأثر الشيخ علي به أن عينه مستشارًا خاصًا له أثناء توليه الحكم.

٢- العلامة الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين، شاعر نجد حيث كان وثيق الصلة بالشيخ علي ورفيقه ونديمه، فتعلم منه الشعر والأدب.

وهكذا كانت المعالم الرئيسية في نشأة الشيخ علي دينية علمية أدبية صالحة ممتزجة بخبرة جده وأبيه، وأهمها البصر بأصول الحكم والتمرس بشؤون الحياة.

اتجاهه العلمي

اتجه الشيخ علي إلى طلب العلم منذ نعومة أظفاره فالتحق بالكتاتيب، وحصّل جملة من العلوم كالقرآن الكريم، والفقه الإسلامي على المذهب الحنبلي، والسيرة النبوية، ومبادئ اللغة العربية، ومبادئ الحساب، وكان من أبرز شيوخه في هذا الطور

١- الشيخ محمد الجابر، وهو أحد العلماء الأوائل في قطر، وقاضيها سنة ١٣٥٨هـ.

٢- الشيخ أحمد بن درهم، الذي أمسك بزمام القضاء في قطر أربعًا وعشرين سنة.

٣- الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، مدير المدرسة الأثرية التي تخرج منها الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني بعد أن تلقى على شيخه ابن مانع شتى العلوم كالعقيدة والفقه والتفسير، وغيرها.

اهتمامه بالعلم والعلماء

تنامى اتجاه الشيخ علي العلمي عندما

ولي شؤون البلاد، فأضحى راعي العلم والعلماء، وأفسح للعلم مجالاً رحبًا في مجالسه، بل كانت مجالسه العلمية من أهم مظاهر الحياة العلمية آنذاك، وجرت العادة على عقد هذه المجالس التي يشهدها لفيف من العلماء والأدباء والمثقفين.

كان المجلس يستهل بالاستماع لآيات من القرآن الكريم، وقراءة لبعض الأحاديث النبوية الشريفة، ثم يتحول الجلساء في الاستماع إلى محاضرة أو مناقشة في التوحيد، أوالفقه، أو التاريخ، أو الأدب، وكان الشيخ علي يشارك في النقاش الدائر مطالعًا الحضور برأيه الحصيف، ونقده العلمي، وتوجيهه المفيد، كما كان الشيخ محمد بن مانع يتبوأ الصدارة في النقاش.

هذا وقد قرب الشيخ علي منه عددًا من العلماء مثل:

١- الشيخ عبدالله الأنصاري، رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، رحمه الله.

٣- الشيخ محمد بن نصيف، رحمه الله.

٤- الشيخ زهير الشاويش، حفظه الله.

ووسّع الشيخ علي من اهتمامه بمجالس العلم والعلماء، ومن الأمثلة على ذلك

١- تنظيم مجالس خاصة بالأدب في كل مساء، يحضرها عشرات الشعراء والأدباء.

٢- تنظيم مجالس الفقه والتاريخ في قصره ودعوة النخبة من العلماء للمشاركة فيها.

عقيدته ومذهبه

كانت أسرة آل ثاني من أشد أنصار الدعوة السلفية في منطقة الخليج، وقد عُرف الشيخان قاسم بن محمد وابنه عبدالله بميولهما السلفية الشديدة، وكانا في الوقت نفسه من أشد المتحمسين لنشر المذهب الحنبلي في البلاد، فنشأ الشيخ علي معتنقًا لعقيدة السلف ومتمذهبًا بالمذهب الحنبلي، وظل طوال حياته مخلصًا لهما، وليس أدل على ذلك من حماسه المنقطع لنشر عشرات الأصول العقدية والفقهية



الأمير مع الشيخ زهير الشاويش

التي تؤيد هذه الوجهة.. ومن أهمها

١- كتب الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله.

٢- كتب العلامة ابن الجوزي، رحمه الله.

٣- كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله.

٤- كتب العلامة ابن القيم، رحمه الله.

وغيرها كثير من كتب التراث الإسلامي.. الأمر الذي أدى إلى وصفه بالأمير العالم.

قال فيه الشيخ محب الدين الخطيب: «الأمير العالم العامل الملتزم لسنة السلف في سيرته وسريرته وروابطه بإخوانه المسلمين» (سمط النجوم العوالي ٣/١).

ووصفه الشيخ ابن مانع بقوله: «يكره كتب أهل البدع المحتوية على الشرك والدعوة إليه، والتجهّم والاعتزال، ولا يسمح بإدخالها في مكاتبه» (ديوان ابن درّاج القسطلي).

وعلى الرغم من تمسكه، رحمه الله، بالدعوة السلفية واعتزازه بحنبليته، إلا أنه لم يكن متعصبًا منغلقًا، بل كان عقله رحبًا يقبل الحوار.

توليه الحكم وتنازله عنه

في سنة (١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م) تولّى الشيخ علي مقاليد حكم قطر بعد أن تنازل له عن الحكم والده الشيخ عبدالله بن قاسم، وكان آنذاك في الخامسة والخمسين من عمره، وجلس في المجلس الذي حضره أعيان الأسرة لتحرير وثيقة بهذا الأمر في ١٣٦٨/١٠/٢٥هـ الموافق ١٩٤٩/٨/٢٠م، فكانت سنة مفصلية تحولت فيها قطر ودخلت مرحلة جديدة من التطور والنماء.

استمر الشيخ علي في سدة الحكم اثني عشر عامًا انتعشت فيها البلاد، وفاض الخير، وظهرت البركة وعمّ الأمن.

ونتيجة لزهده في الدنيا ورغبته في الانقطاع للعبادة، وتمشيًا مع بعض الصراعات والظروف المحيطة قرر الشيخ علي أن يتنازل عن الحكم لابنه الشيخ أحمد بن علي آل ثاني، على أن يكون الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني خليفة له، وتم ذلك في يوم الأربعاء ٤ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ الموافق ١٩٦٠/١٠/٢٤م، وأوصاهما الشيخ بتقوى الله، بعد أن قاد السفينة إلى بر الأمان، وجنّبها الفتن.

وفاته

تفرّغ الشيخ علي، رحمه الله، بعد نزوله عن الحكم لأعمال الخير التي كان يقوم عليها، فقد جدّ في إحياء عشرات الآثار الفقهية والعقدية والحديثية والأدبية ونشرها (وقفًا) على حسابه.

تنقل الشيخ في آخر سنوات حياته بين الدوحة ومكة ولبنان وسويسرا، وكان يقضي جل وقته في بيته في بيروت، ويعود في الشتاء إلى الدوحة، ويسافر في رمضان إلى مكة المكرمة، وبعدها إلى سويسرا للعلاج، حيث إن الشيخ كان يعاني من مرض في القلب، ثم عاد الشيخ إلى بيروت واستقر بها آخر أيامه.

وبعد حياة علمية وعملية حافلة، وبعد عقود من العمل والكفاح الجادَين، وبعد مسير عطاء استمرت ثمانين عامًا، توفي الشيخ ضحى يوم السبت ١٣ شعبان ١٣٩٤هـ الموافق ١٩٧٤/٨/٣١م، في بيروت، وجرى غسله وتكفينه فيها، ثم نُقل جثمانه جوًّا إلى الدوحة، حيث كان في استقباله ابن أخيه الشيخ خليفة بن حمد أمير البلاد آنذاك. وشيّعه أبناء الأسرة الحاكمة والشعب القطري، وصلى عليه قاضي قطر العلامة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود.

المصادر

١- الأمير الراشد الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني، لمحمد محمود الدروبي.

٢- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) على الشبكة العنكبوتية.



فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

الوصية الواجبة

فتوى رقم «٥٤٤٣»

توفيت فتحية عن بنتين، وابن، وبنت (متوفاة) خلال حياة والدتها (فتحية)، وهذه البنت اسمها «نوال» عندها من الأولاد ابنان وبنت ولها زوج.

والسؤال هل ترث «نوال» من والدتها مع أنها توفيت خلال حياة والدتها أم لا؟ وما نصيبها الشرعي؟ أفتونا مأجورين، والتركة عبارة عن منزل مساحته ١٠٠متر، وكم مقدار الأسهم الشرعية؟ الرجاء التوضيح مع الشكر.

بموجب قانون الأحوال الشخصية المصري يستحق أولاد هذه البنت حصة أمهم من أمها على فرض وفاة أمهم بعد أمها لا قبلها على ألا يزيد ذلك على ثلث التركة، وألا تكون جدتهم قد وهبتهم في حياتها أو أوصت لهم بعد موتها بما يعادل حصتهم في الوصية الواجبة، ويقسم ذلك بينهم للذكر مثل حظ الانثيين على أنه وصية واجبة.

الصلاة على سجادة فيها تصاوير

فتوى رقم «٥٤٥٤»

ما حكم الصلاة على السجادة التي فيها صور المساجد والقباب التي على القبور والمنارات وأمثالها؟

تكره الصلاة على بساط أو سجاد فيه صور واضحة تشغل بال المصلي عن الصلاة، أما إذا كانت الصور أو الرسوم على البساط أو السجاد لا تشوش عليه صلاته فلا تكره الصلاة عليها.

مسابقة تزيد فيها أجرة المكالمة

فتوى رقم «٥٤٨٠»

قمت بالكتابة إليكم حتى أتبين مدى شرعية هذا العمل التجاري، وهو أن تقوم بالاتصال الدولي بجهة معينة لتجيب عن بعض الأسئلة، وإن كانت إجابتك صحيحة فلك الحق في دخول مسابقة أخرى وهي السحب من المجموعة التي أجابت صحيحًا، وقد تفوز بتذكرة إلى جهة معينة والدخول في مسابقة لربح مليون ريال، هذه إحدى الطرق (الأموال تأتي من سعر المكالمات للمشاركين في المسابقة وسعر المكالمة للدقيقة الواحدة أعلى من المتعارف عليه).

أما عن الطريقة التي أنا بصدد القيام بها، فهي تعتمد على الطريقة السابقة نفسها، علمًا بأن سعر المكالمات الدولية للدقيقة قد يضاعف ولكن بعلم ودراية الشخص المتصل

يجوز الاشتراك في المسابقة المستفتى عنها إذا تحقق وجود الشرطين التاليين:

١-ألا يدفع المتسابق شيئًا من قيمة جوائز المسابقة.

٢-إذا ربح المتسابق شيئًا في أي مرحلة فإنه لا يخسره، ولا يخسر شيئًا وإن أخطأ في الإجابة التي تلي ذلك، وإلا لم يجز الاشتراك في هذه المسابقة، والله وأعلم.

زراعة الشعر للمرأة

فتوى رقم «٥٤٩١»

زراعة الشعر حلال أم حرام؟

يجوز عند الحاجة للرجل وللمرأة زراعة الشعر كنوع من أنواع العلاج. والله أعلم.

أداء الشهادة على ما سمع ولم يره

فتوى رقم «٥٥٠١»

ما حكم الشهادة إذا جاءت على شيء لم يسمع، ولكن المشهود له هو الذي أبلغ الشاهد أن يشهد له بالشهادة.

الشهادة على الحقوق بين الناس لا يجوز أن يقوم بها الشاهد إلا إذا كان عالمًا بالشيء به ومتأكدًا من صحة ما يشهد به تأكدًا كاملًا، وإلا كان آثما في شهادته، وترد شهادته إذا علم القاضي بعدم تأكده منها



ويعاقبه عليها، وإذا طلب احد من المسلم أن يشهد له بأمر لم يعلم هو به من قبل ولم يشاهده بنفسه، فعليه الامتناع عن الشهادة به، وإلا كان شاهد زور، وشهادة الزور من اكبر الكبائر، فقد روي عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال» قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت» وفي رواية:«فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (رواه البخاري)، والله أعلم.

عدم الإفصاح عن سبب الموت

فتوى رقم «٥٥٠٢»

نحن مجموعة من الأطباء، نقوم بعلاج مرضى مصابين بمرض الإيدز وكم تعلمون مدى حساسية هذا المرض في مجتمعنا الذي نعيش فيه وانعكاساته السلبية على سمعة العائلة والفرد، ومن أجل المحافظة على خصوصية المريض وعلى سمعة العائلة، فإننا نضطر لعدم الإفصاح عن سبب الوفاة الحقيقي في شهادة الوفاة، والاكتفاء بكتابة سبب عام لا يوحي بأن سبب الوفاة هو مرض الإيدز، وقد يكون في هذا إخلال بالإحصاءات العامة لوزارة الصحة، ويكون في هذا نوع من الكذب والتدليس، فهل عملنا هذا جائز أم لا.

مادام نظام الدولة يوجب أن يقدم الطبيب المختص شهادة وفاة لمن فارقته الحياة تتضمن سبب الوفاة، فإن الطبيب يجب عليه في كل الأحوال أن يدون في الوثيقة الصادرة منه ما رآه وما علمه عن سبب الوفاة، لأنها شهادة، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ (البقرة: الآية ٢٨٣).

ولا بأس بأن يجعل ذلك في تقرير سري لا يطلع عليه غير السلطات المسؤولة في الدولة، إذا كانت الأنظمة تسمح بذلك.

معالجة مريض بمرض خطير يحتمل شفاؤه

فتوى رقم «٥٥١٠»

لدي طفل حديث الولادة جدًا وهو مريض بأمراض عديدة خطيرة كما هو مبين في التقرير الطبي المرفق، ويحتاج إلى عدة عمليات جراحية، ولذلك فأنا في حيرة من أمري: هل أوافق على إجراء تلك العمليات له مع قلة نسبة النجاح فيها؟ أم لا أوافق وأتركه لقدر الله عز وجل، وهل أنا في الحالتين أو إحداهما أكون مقصرًا في حقه؟ وما الذي يجب علي العمل به ليرتاح قلبي؟

على المستفتي أن يعالج ابنه المذكور بالعلاجات العادية دون اللجوء إلى إجراء العمليات الخطيرة التي نسبة نجاحها محدودة ويكل أمره إلى الله تعالى ولا يسأل عن أكثر من ذلك.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي) بشأن خطاب الضمان

بعد النظر فيما أعد في خطاب الضمان من بحوث ودراسات وبعد المداولات والمناقشات المستفيضة التي تبين منها:

أولًا: خطاب الضمان بأنواعه الابتدائي والانتهائي لا يخلو إما أن يكون بغطاء أو بدونه، فإن كان بدون غطاء، فهو ضم ذمة الضامن إلى ذمة غيره فيما يلزم حالًا أو مآلًا، وهذه هي حقيقة ما يعرف في الفقه الإسلامي باسم الضمان أو الكفالة وان كان خطاب الضمان بغطاء فالعلاقة بين طالب خطاب الضمان وبين مصدره هي الوكالة، والوكالة تصح بأجر أو بدونه مع بقاء علاقة الكفالة لصالح المستفيد (المكفول له)

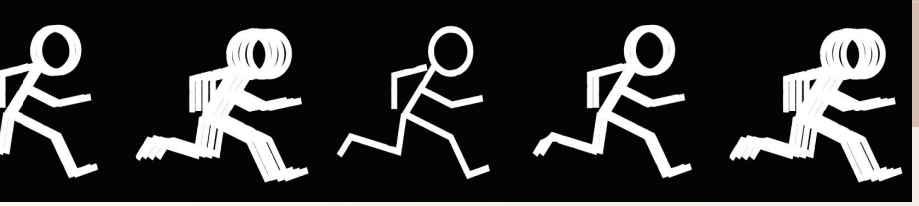
ثانيًا: الكفالة هي عقد تبرع يقصد به الإرفاق والإحسان.

وقد قرر الفقهاء عدم جواز أخذ العوض على الكفالة، لأنه في حالة أداء الكفيل مبلغ الضمان يشبه القرض الذي جر نفعًا على المقروض، وذلك ممنوع شرعا

قرر ما يلي:

أولًا: خطاب الضمان لا يجوز أخذ الأجر عليه لقاء عملية الضمان – التي يراعى فيها عادة مبلغ الضمان ومدته – سواء أكان بغطاء أم بدونه.

ثانيًا: المصاريف الإدارية لإصدار خطاب الضمان بنوعيه جائزة شرعًا، مع مراعاة عدم الزيادة على أجر المثل، وفي حالة تقديم غطاء كلي أو جزئي، يجوز أن يراعى في تقدير المصاريف لإصدار خطاب الضمان ما قد تتطلبه المهمة الفعلية لأداء ذلك الغطاء.



إعداد: خالد خلاوي

أمل يصحبه عمل

الأمل الحقيقي هو الشعور الإيجابي تجاه ما يجري لنا وما نواجهه من مشاكل وتحديات، ويجب أن يصحب هذا الشعور عمل دؤوب يكون هو الطريق إلى النجاح والتميز، أما غير ذلك فهي مجرد أماني وأحلام لا ينبني عليها شيء، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: إن المجد والنجاح والإنتاج تظل أحلامًا لذيذة في نفوس أصحابها وما تتحول حقائق حية إلا إذا نفخ فيها العاملون من روحهم ووصلوها بما في الدنيا من حس وحركة.

وقد حكى الرسول ﷺ لصحابته قصة رجل قتل تسعة وتسعين نَفْسًا، وأراد أن يتوب إلى الله تعالى فسأل أحد العباد الزهاد: هل تجوز لي التوبة؟

فأجابه ذلك العابد: لا. فاغتاظ الرجل وقتله وأكمل به المائة، وبعد أن قتله زادت حيرته وندمه، فسأل عالمًا صالحًا: هل لي من توبة؟

فقال له: نعم. تجوز لك التوبة، ولكن عليك أن تترك القرية التي تقيم فيها لسوء أهلها وتذهب إلى قرية أخرى أهلها صالحون، لكي تعبد الله معهم.

فخرج الرجل مهاجرًا من قريته إلى القرية الصالحة، وكله أمل أن يتقبل الله توبته، لكنه مات في الطريق قبل أن يصل إلى القرية الصالحة، فنزلت ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، واختلفوا فيما بينهم أيهم يأخذه، فأوحى الله إليهم أن يقيسوا المسافة التي مات عندها الرجل، فإن كان قريبًا إلى القرية الصالحة كتب في سجلات ملائكة الرحمة، وإلا فهو من نصيب ملائكة العذاب، ثم أوحى الله سبحانه إلى الأرض التي بينه وبين القرية الصالحة أن تَقَارَبِي، وإلى الأخرى أن تَبَاعَدِي، فكان الرجل من نصيب ملائكة الرحمة، وقبل الله توبته، لأنه هاجر راجيًا رحمته سبحانه، وطامعًا في مغفرته ورحمته (القصة أصلها في الصحيحين).

لقد كان للقاتل أمل في التوبة ولكنها بحاجة إلى العمل لتتحقق وهو الذهاب إلى القرية الصالحة، وهكذا يوجه الأمل مسيرة الحياة توجيهًا إيجابيًا ويبعث في النفس السرور والعزيمة الصادقة على التغيير والعمل والإنجاز.

قال الشاعر:

لا خير في اليأس، كُلُّ الخير في الأمل

أَصْلُ الشجاعة والإقدام في الرَّجُل

وفي القرآن الكريم نجد أن الرجاء في الله عز وجل والأمل في عفوه ومغفرته مرتبط بالعمل، قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾ (الكهف ١١٠).

وقال رسول الله ﷺ: «حسن الظن من حسن العبادة» (رواه أحمد).

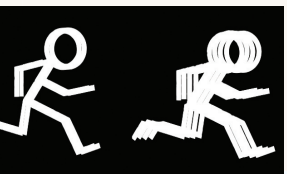
وقال ﷺ أيضًا باعثًا الأمل في كل مسلم: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة (نخلة صغيرة)، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسَها فليَغرسْها» (رواه أحمد).

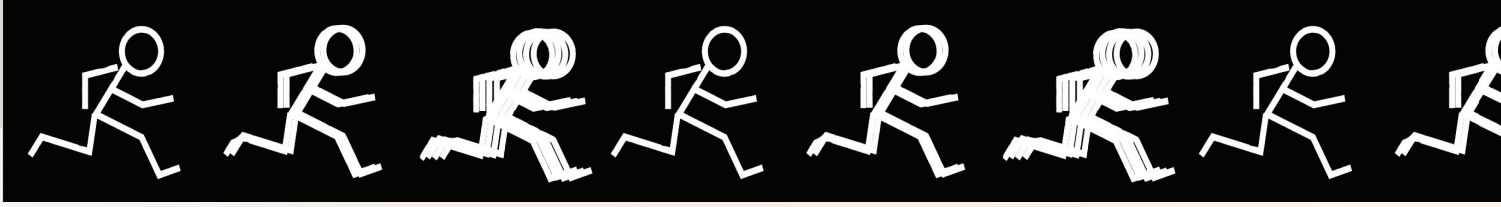
والأمل والتفاؤل قرينان وعكسهما اليأس والتشاؤم، سئل برنارد شو: من المتفائل ومن المتشائم؟ فقال: المتفائل هو الذي يرى نورًا، وكل ما حوله ظلام، والمتشائم هو الذي يرى ظلامًا، وكل ما حوله نور.

ويقول أنور الجندي رحمه الله: علينا ألا نغالي في الاتجاه نحو التفاؤل أو التشاؤم، فالتشاؤم يصدر عن ضعف الثقة في النفس والمبالغة في الخوف من الفشل، فعلينا أن نتجاوزه إلى التفاؤل وعلينا ألا نغالي في التفاؤل أيضًا بل وعلينا أن نكون على ثقة في الله فلا نخاف المستقبل ولا نرهبه.

والأمل كان دافع العظماء والمخترعين في تحقيق إنجازاتهم العظيمة، بعد عدد من المحاولات الفاشلة، وكان لاختراع المصباح الكهربائي قصة مؤثرة في حياة إدسون، ففي أحد الأيام مرضت والدته مرضًا شديدًا، وتطلب الأمر إجراء عملية جراحية لها، إلا أن الطبيب لم يتمكن من إجراء العملية ليلًا نظرًا لعدم وجود الضوء الكافي، واضطر للانتظار للصباح، ومن هنا تولد العزم والإصرار عند إدسون لكي يضيء الليل بضوء أقوى من ضوء الشموع، فانكب على تجاربه ومحاولاته العديدة من أجل تنفيذ فكرته حتى إنه خاض أكثر من ٩٠٠ تجربة في إطار







سعيه من أجل نجاح اختراعه، وبرغم ذلك لم ييأس، وقال عندما تكرر فشله في تجاربه «هذا عظيم.. لقد أثبتنا أن هذه أيضا وسيلة فاشلة في الوصول للاختراع الذي نحلم به»، وواصل عمله بمنتهى الهمة باذلاً المزيد من الجهد إلى أن كلل تعبه بالنجاح فتم اختراع المصباح الكهربائي في عام ١٨٨٧م.

وعن دور الأمل في إنجازاته كان إدسون يقول: الآمال العظيمة تصنع الأشخاص العظماء.

صور من حياة المتميزين

الأمل في حياة الرسول ﷺ

الأمل والرجاء في نصر الله وتوفيقه مهما ساءت الظروف وكثرت التحديات كانا من خلق الرسول ﷺ، فكان يواصل دعوة قومه ليلا ونهارًا بلا يأس مهما لاقى منهم من إيذاء، وكان ﷺ يشحذ همة أصحابه نحو المزيد من العمل وبذل المجهود وكله أمل وثقة في نصر الله تعالى.

يروى عن خباب بن الأرت أنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله، فقعد، وهو محمر وجهه، فقال: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله . زاد بيان الراوي . والذئب على غنمه» وفي رواية: «ولكنكم تستعجلون».

يقول صاحب الرحيق المختوم: وأمام هذه البشارات بالمستقبل المجيد المستنير في الدنيا، مع ما فيه من الرجاء الصالح الكبير البالغ إلى النهاية في الفوز بالجنة كان الصحابة يرون أن الاضطهادات التي تتوالى عليهم من كل جانب، والمصائب التي تحيط بهم من كل الأرجاء ليست إلا: «سحابة صيف عن قليل تقشع».

وكان رسول الله ﷺ نفسه يقوم بمثل هذه البشارات بين آونة وأخرى، فكان إذا وافى الموسم، وقام بين الناس في عُكاظ، ومَجَنَّة، وذي المَجَاز لتبليغ الرسالة، لم يكن يبشرهم بالجنة فحسب، بل يقول لهم بكل صراحة: «يأيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكًا في الجنة». وجاء جبريل عليه السلام للنبي ﷺ بعد رحلة الطائف الشاقة، وقال له: لقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين (اسم جبلين)، فقال ﷺ: «بل أرجو أن يُخرِجَ الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا» (متفق عليه)

كلمات في التميز

التفاؤل

الفرق بين نظرة الإسلام والنظرة التشاؤمية، هو أن الإسلام ينظر للحياة كما ينبغي أن تكون، أما التشاؤم فإنه ينظر للحياة كما هي.

علي أدهم

يجب أن يكون إحساسك إيجابيًا مهما كانت الظروف، ومهما كانت التحديات، ومهما كان المؤثر الخارجي.

إبراهيم الفقي

هناك من يتذمر لأن للورد شوكًا، وهناك من يتفاءل لأن فوق الشوك وردة.

جبران خليل جبران

إذا نظرت بعين التفاؤل إلى الوجود، لرأيت الجمال شائعًا في كل ذراته.

مصطفى السباعي

في القلب حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفة الله.

ابن القيم

المتفائل هو من يوجد الهدف من العقبات التي تعترضه.

فيلسوف

التفاؤل والأمل مثلهما مثل الضعف واليأس يمكن تعلمهما.

دنيال جولمان



إعداد: هالة محمد

آثار القدس غير يهودية



أعلن علماء آثار في القدس أنهم عثروا في المدينة المقدسة على قطعة من لوح من الصلصال عمره ٣٤٠٠ عام ونقشت عليه كتابات أكادية.

ويبلغ طول هذه القطعة سنتيمترين وعرضها ٢,٨ سم، وهي تحمل كتابة مسمارية بالأحرف الأكادية، اللغة التي كانت سائدة في التخاطب الدبلوماسي في تلك الحقبة.

وأكد العلماء أن هذا الاكتشاف يدل على أهمية المدينة منذ العصر البرونزي.

واكتشفت هذه القطعة في الشطر الشرقي من مدينة القدس، الذي احتلته إسرائيل في ١٩٦٧ وضمته إليها بعد ذلك في قرار لم يعترف به المجتمع الدولي، في منطقة تقع جنوب الحرم القدسي الذي يزعم اليهود أنه بني فوق الهيكل الذي دمر في سنة ٧٠ للميلاد.

وحال صغر حجم القطعة دون التمكن من فك جملة كاملة، غير أن واين هورويتز المسؤول عن فك المخطوطات في جامعة القدس العبرية رأى أن النوعية الممتازة للكتابة تؤكد أن « من خط هذه القطعة هو كاتب رفيع المستوى، ربما كان يعمل في خدمة ملك من ملوك القدس».

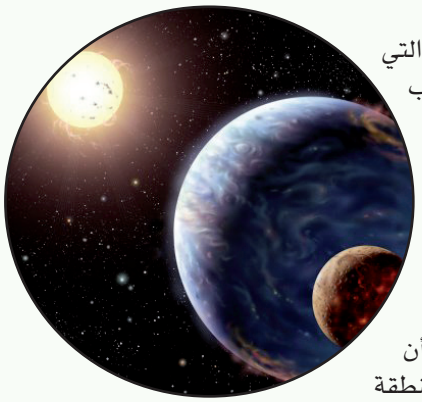
ويشتبه الباحثون في أن هذه القطعة كانت رسالة من ذلك الملك إلى فرعون مصر اخناتون.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، عثر في موقع تل العمارنة في مصر على قطع من النوع نفسه تعود إلى الحقبة ذاتها، تحمل نداءات للمساعدة وجهتها الأساطيل المصرية في سورية وفلسطين إلى الفرعون.

ويعلن علماء الآثار في القدس من حين إلى آخر عن اكتشاف قطع أثرية تعود إلى عهود مختلفة، فقد عثروا منتصف فبراير الماضي على حجر رخامي نادر حفرت عليه كتابة بالخط العربي يعود إلى القرن العاشر، ويعود النقش إلى عام ٩١٠، ويشير إلى منح الخليفة العباسي المقتدر قطعة أرض إلى أحد أقاربه.

كما أعلنوا في الشهر نفسه عن العثور على درب قديم كان يسلكه الحجاج المسيحيون ويعود إلى الحقبة البيزنطية قبل ١٥٠٠ سنة في قلب القدس.

الهزات الأرضية وجاذبية الشمس والقمر



جاذبية الشمس والقمر التي تمتد إلى الأرض، هي التي تسبب عملية المد والجزر في البحار والمحيطات، لكنها قد تسبب أيضا الهزات الأرضية التي تضرب أطرافًا من الكوكب الأرضي.

هذا ما يقوله علماء من جامعة كاليفورنيا، بعد أن حللوا الوقائع الجيولوجية لمنطقة «سان اندرسي» التي تمتد حدودها بين شمال أميركا والمحيط الباسفيكي.

وقد وجدوا أن هذه المنطقة تعرضت إلى عدد من الهزات الأرضية الخفيفة التي حدثت بفعل تأثير جاذبية الشمس والقمر.

اكتشاف كوكب عملاق

اكتشف علماء الفلك نجمًا عملاقًا تبلغ درجة سطوعه عشرة ملايين ضعف درجة سطوع الشمس.

وأكد الباحثون البريطانيون- تحت إشراف البروفيسور Aبول كروز من جامعة شيفيلد البريطانية- على أن هذا النجم الذي حقق رقمًا قياسيًا في درجة السطوع ليس فقط الأكثر سطوعًا بين النجوم التي تم اكتشافها حتى الآن، ولكنه أيضًا الأكبر كتلة حيث يمتلك كتلة تزيد عن حجم كتلة المجموعة النجمية التي تحيط بنا ٢٦٥ مرة.

وحيث إن النجم الذي أعطاه العلماء رمز «آر ١٣٦ إيه ١» يبعد عنا نحو عشرة مليارات مرة أكثر مما تبعد الشمس فإنه لا يظهر في السماء ليلًا.

وعثر الباحثون على هذا النجم العملاق باستخدام التلسكوب الأوروبي العملاق الموجود في تشيلي.

ونشر الباحثون دراستهم عن النجم العملاق في العدد الشهري لمجلة الجمعية الملكية البريطانية للأبحاث الفلكية.

وتستبعد النظرية الفلكية المعتمدة حاليًا وجود هذا النجم الهائل حيث كان حاجز ١٥٠ ضعف كتلة الشمس هو الحد الأقصى الذي يمكن أن يصل إليه نجم مستقر.



إنفجار لأشعة «إكس»

ذكر علماء الفلك أن انفجارًا قياسيًا لأشعة إكس وقع أوائل هذا الصيف كان ضخمًا للغاية حتى لقمر صناعي خاص مصمم لتسجيل تلك الأشياء.

وقال أستاذ علوم الفلك والطبيعة الفلكية في جامعة ولاية بنسلفانيا ديفيد بوروز: إن مرصد الفضاء «سويفت» التابع لوكالة الطيران والفضاء الأميركية (ناسا) أصيب «بعمى مؤقت» بسبب انفجار لأشعة إكس هو الأكثر بريقًا، مما وراء مجرة درب التبانة.

وذكر فيل إيفانس من جامعة ليسيستر البريطانية، وهو من مصممي البرمجيات، أن الانفجار أغلق البرمجيات الخاصة بتحليل البيانات لمرصد سويفت.

وأضاف «انطلقت الكثير جدًا من الوفوتونات على جهاز الاستشعار كل ثانية إلى حد أنه لم يكن بالإمكان إحصاؤها بسرعة كافية، إن ذلك يشبه محاولة استخدام مقياس الأمطار ودلو



لقياس معدل التدفق لموجة تسونامي».

وقال علماء: إن أشعة إكس قطعت حوالي خمسة مليارات سنة خلال الفضاء وتوجهت نحو قمر «سويفت» الصناعي في ٢١ يونيو الماضي، وكان من المرجح أن يأتي الانفجار «غير المتوقع وغير المسبوق» من انفجار أشعة غاما الناجمة عن انفجار نجم ضخم بينما كان يتحول إلى ثقب أسود.

وقال بوروز «انفجار أشعة إكس هذا هو أكثر مصادر الضوء إشراقًا حتى الآن والتي يجري مشاهدتها في الأطوال الموجية لأشعة إكس في الأبعاد الكونية».

طائرة شمسية تطير ليلاً!



من المخترعات الحديثة اختراع طائرة تعمل بالطاقة الشمسية وتطير ليلاً، ومن المقرر أن تقلع الطائرة في يوم مشمس بواسطة الطاقة الشمسية من مطار في سويسرا، وبعد إقلاعها ستأخذ الطائرة في شحن الخلايا الشمسية الموجودة في جناحيها بالطاقة، وتعمل على تخزين ما يكفي من الطاقة لكي تجعل المحركات الكهربائية تستمر في العمل حتى الفجر، ومن المقرر خلال عامين أن تنطلق الطائرة في أول رحلة يقودها طيار عبر المحيط الأطلسي في عام ٢٠١٣م.

الإنسان الآلي خطر على الإنسان!

توصل علماء ألمان في دراسة ركزت على ما يمكن أن يحدث في حالة حصول تصادم بين الإنسان الآلي المجهز بآلات حادة والإنسان الطبيعي، وقد استخدم العلماء ذراعًا آلية لها آلات حادة مبرمجة على إصابة الأنسجة البشرية الرخوة على سبيل الاختبار، وفي بعض الحالات وجد العلماء أن الإنسان الآلي قادر على إحداث جروح مميتة إذا ما اعتدى على الإنسان الطبيعي.

من هنا وهناك

● ربط علماء أميركيون بين استخدام ربات المنازل للمواد المنظفة وبين الإصابة بسرطان الثدي.

وذكرت مجلة «الصحة البيئية» أن المواد المنظفة والمعطرة للهواء والأخرى المستخدمة لإزالة الرواسب المتعفنة في المنزل والمبيدات الحشرية قد تؤثر في مركبات كيميائية مضرة للغدة الصماء وقد تتسبب بسرطان الثدي.

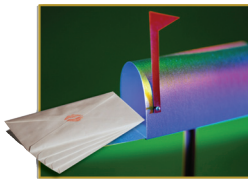
● تحاول معظم مراكز البحث العلمي التي تسعى إلى استخراج أنواع غير مكلفة من الوقود البيولوجي التركيز على النباتات غير المستخدمة في الاستهلاك البشري كغذاء، خاصة في المراحل الأولى من محاولات إنتاج هذا النوع من الوقود.

● أطلقت شركة «إل جي اليكترونيكس» جهاز الإسقاط الضوئي «سي.إف ٣.دي» الذي يعتبر أول جهاز ثلاثي الأبعاد في العالم مدعوم بتقنية الوضوح الكامل، ويأتي الجهاز الجديد مع محرك إسقاط مزدوج لخلق تأثير الصورة ثلاثية الأبعاد بدقة تصل إلى ١٠٨٠ بيكسلا، وبتردد ترموشن ١٢٠ هرتزا، ومن المتوقع أن يستقطب الجهاز الجديد الباحثين عن تجربة العرض المثالية في المنزل مع الأفلام المصورة بتقنية الأبعاد الثلاثية.

● تمكن علماء آثار من اكتشاف كنيسة بيزنطية قديمة عمرها ٩٠٠ سنة كانت مدفونة تحت أرض أنطاكيا المطلة على البحر المتوسط.

● تمكن المخترع المصري صبري عبده عطا الله الألفي من اختراع آلة تنتج طاقة وتعمل بدون أي وقود وتستمد طاقتها من الجاذبية الأرضية ولا تتعارض مع قوانين الديناميكا الحرارية.

● أعلنت وزارة الثقافة المصرية عن اكتشاف مقبرتين لرئيس كتبة الملك ونجله في الدولة الفرعونية القديمة منحوتتين في الصخر، يرجع تاريخهما لنحو ٤٣٠٠ عام.



الجمال آية

قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾.

إن المتأمل في آيات الله سبحانه وتعالى الكونية عبد تحققت في ذاته أسمى معاني العبودية، وهي النظر والتدبر والتفكر في عظمة الخالق وعظمة الصانع سبحانه وتعالى الذي أتقن كل شيء.

إن هذا التأمل ينمي في الفرد ملكة الإحساس بالجمال، وهذا الإحساس يعمق وينمي في الفرد نعمة الشكر لله العظيم المبدع للجمال.

إن تأثر النفس الإنسانية بالجمال فطرة فطر الله الناس عليها، وفي تنمية هذا الإحساس بالجمال عبادة فيها الشكر لله العظيم مبدع الجمال.

أحمد محمد شفيق

لحم الخنزير حرام.. لماذا؟!

النص القرآني جاء بتحريم لحم الخنزير في أربعة مواضع:

١- قوله تعالى: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (البقرة:١٧٣).

٢- قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع﴾ (المائدة: ٣).

٣- وقوله ﴿قُل لا أجد في ما أوحى إليّ محرّمًا على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقًا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ (الأنعام: ١٤٥).

٤- وقوله: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾ (النحل: ١١٥).

ويقول د.الطيب محمد نزار الدقر في بحثه:

الخنير حيوان لاحم عشبي تجتمع فيه الصفات السبعية والبهيمية، فهو آكل كل شيء، وهو نهم كانس كنس الحقل والزريبة، فيأكل القمامات والفضلات والنجاسات بشراهة ونهم، وهو مفترس يأكل الجرذ والفئران وغيرها كما يأكل الجيف حتى جيف أقرانه.

يقول الإمام الدميري: إن الخنزير شرس الطباع شديد الجماع شبق تكتنف حياته الجنسية الفوضى ولا يخصص لنفسه أنثى معينة.

ويروي د.هانس هايترش قصة طريفة جرت في أحد المشافي العسكرية حيث كانت هناك حظيرة للخنازير ملحقة بالمشفى وتعيش على النفايات والفضلات ويذبح أحدها كل شهر طعامًا للمرضى والعاملين في المشفى،

تعقيب على مقال «الحياة الزوجية في الإسلام»

لقد طالعت العدد رقم ٥٣٧ الصادر في جمادى الأولى/ مايو ٢٠١٠ من مجلتكم الغراء «الوعي الإسلامي» والتي أحرص على ضرورة الاطلاع على كل أعدادها لما لها من قيمة ثقافية ودينية رفيعة، وتوقفت عند موضوع بعنوان «الحياة الروحية في الإسلام» لعبدالفتاح العيسوي، حيث جاء على لسانه «أن الإنسان يتكون من عنصر مادي وعنصر روحي وأن العنصر الروحي هو المسؤول عن الخلق الذميم والبغض والحقد وغير ذلك»، في حين أن الإنسان يولد على الفطرة وأن كافة الجوانب الذميمة والأخلاق الفاسدة مكتسبة من البيئة، وهناك نظريات عدة أبدت هذا من زمن بعيد وإلا وفق ما يقرره الموضوع فإنه لا يمكن محاسبة المجرم على إجرامه.

كما جاء في الموضوع «إن التقدم التكنولوجي جاء بالدمار على العالم» وهذا غير صحيح فالدين الإسلامي يدعو إلى العلم والتقدم ﴿وقل رب زدني علمًا﴾﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا﴾ ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾، ولاشك أن التقدم العلمي سهل على البشرية صعوبات الحياة فقرب المسافات ومكن الإنسان أن يشق عنان السماء ويغوص في أعماق البحار كما اكتشف كثيرًا من أنواع العلاجات للأمراض الخطيرة.

وما ينتج عنه من أخطار إنما ترجع لسوء استخدام التكنولوجيا على يد مرضى النفوس.

ويبرهن الكاتب برأيي أحد العلماء غير المسلمين وهو انديركو نوامي ايفي وهو عالم يهودي معروف بعدائه للإسلام والمسلمين ويعمل استاذ للفسيولوجيا بجامعة شيكاغو حيث يقرر الكاتب على لسانه أن النواحي الروحية والأخلاقية من حياة الإنسان هي المسؤولة عن سلامته ورفاهيته وشعوره بالسعادة.

والعجيب أن الكاتب لم يجد في المنهج الإسلامي وفي علماء المسلمين ما يؤيد قوله وكأن الإسلام في حاجة أن تستكمل مناهجه علي يد غير المسلمين ونسي قول الحق: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾.

وقد جانب الصواب وبدلًا من أن يضيف مميزات للمنهج الإسلامي وصفه بالقصور والعجز الذي يستكمله من علماء غير المسلمين اليهود، ومن المدهش والغريب أن يدعم كلامه بأن هناك جمعية في سويسرا تدعى «جمعية التسلح الخلقي» تدعو إلى السمو الأخلاقي والديني ونسي الكاتب أن سويسرا قد سنت قانونًا يمنع إقامة المآذن وقد أثار هذا القانون معظم العواصم الإسلامية، كما قد حرمت ومنعت

وفي أحد الأيام تدافعت الخنازير على الفرن المملوء بالضمادات المضمخة بالقيح والمهيأة للحرق فالتهمتها.

وتوفيرًا للعلف قررت إدارة المستشفى من ثم أن يصبح نصف الضمادات المبللة بالقيح طعامًا للخنازير، وهكذا أصبحت دماء تلك الخنازير مفعمة بالسموم، ولنتصور الآن مرضي هذا المشفى وأكثرهم مصابون بنواسير كعقابيل للكسور الناجمة عن الطلقات النارية، إنهم يغذون بلحم خنزير مشبع بالسموم، فبدلًا من الشفاء يولد عندهم هذا اللحم هجمة جديدة من الالتهاب والتقيح.

هذا ويحمل الخنزير ٤٥٠ مرضًا وبائيًا، منها الزحار والأسكاريس والانسمام الوشيقي والديدان القنفذية والكبدية والمفلطحة وشوكية الرأس والدودة المسلحة الخنزيرية والشعيرات الحلزونية وغيرها.

أميرة سلمان محمد

ارتداء النقاب، فمن المشكوك فيه أن نستعير منها بعض الجوانب الأخلاقية التي تنقص الإسلام «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي» كان جديرا بالكاتب أن يستشهد بأئمة الفقهاء وعلماء المسلمين وهم ولله الحمد فوق الحصر، كما أنه في المملكة العربية السعودية ينعم المسلمون من كل فج بالحياة الروحية في ظل الحرمين الشريفين وخاصة في رمضان وهو ما يظهر بجلاء ويقرره علماء المسلمين وغير المسلمين.

وللأسف فالكاتب جانب الصواب إذ ينشر هذه الموضوعات في مجلة إسلامية وعريقة تخدم الإسلام والدعوة الإسلامية منذ أكثر من خمسين عامًا وتصدر من بلد عربي عريق ينفق أهلها ملايين الدولارات سنويًا في إقامة دور العبادات داخل وطنهم وخارجه لتدعيم الجوانب الروحية في الإسلام والتي تنبع من داخلهم وليسوا في حاجة إلى الاستنارة بغير المسلمين.

د.أحمد إبراهيم الجرزاوي

الآن حصحص الحق

يجري الله الحق على ألسنة الخلق حتى ولو لان أهل الحق أو ذلوا من الخلق، واليوم تعلن هيلين توماس اليهودية الأميركية أن أرض فلسطين ليست أرض اليهود والصهاينة وإنما أرض العرب من أبناء فلسطين، وقالت يجب على بني صهيون أن يرحلوا إلى بولندا من حيث أتوا، وهنا ثار عليها اللوبي الصهيوني بالولايات المتحدة، وعلى الفور وصفها المتحدث باسم البيت الأبيض بالكريهة البغيضة، ولم يرحم شيبتها وعنَّفها ونادها بالاعتذار لإسرائيل فورًا.

والسيدة الأخرى والتي لا تقل روعة هي اليهودية من الناصرة بفلسطين تالي فحيما، والتي أسلمت بعد الاعتداء على أسطول الحرية وقالت: أنا أعتقد أن الله اختارني وانتشلني من الصهيونية إلى طريق الهداية الإسلامية، ولقد عذبوها واعتقلوها في السجون الإسرائيلية.

وقالت: لقد فقدت الأمل في القيادات الإسلامية نظرًا لعدم تطبيقها للمبادئ الإسلامية.

انها نماذج مشرفة في ميدان الحق والإنسانية.

ناهد السيد شعبان

«البيوت العنكبوتية في مجتمعنا الإسلامي»

لماذا أصبح الكثير من بيوتنا المسلمة اليوم أشبه ببيت العنكبوت؟

سؤال يتبادر إلى ذهني وأنا أطالع كل يوم في الصحف تلك الجرائم التي ترتكب داخل الأسرة.

إما من الزوجة التي تنحرف وتخون فتقتل الزوج للتخلص منه.

وإما من الزوج الذي يقتل الزوجة انتقامًا لشرفه الضائع.

وإما من الأولاد العاقين الذين يعتدون على الأب أو الأم بالضرب أو القتل.

وإما من بنات المسلمين اللاتي ينحرفن فيجلبن العار لأهلهن.

جرائم نطالعها كل يوم حتى احتلت الجرائم الأسرية نسبة كبيرة من الحوادث اليومية.

فلماذا غاب الدين والإيمان والرحمة والمودة عن الأسرة المسلمة حتى صارت كبيت العنكبوت بل أهون وأضعف؟ ولماذا صارت المرأة المسلمة في بعض البيوت كالأرملة السوداء أو أنثى العنكبوت التي تقتل الزوج بمجرد أن تقضي منه وترها وتستغني عنه؟

ولماذا تهتكت العلاقات الأسرية ووصلت إلى هذا المستوى من الانحطاط الخلقي والاجتماعي في العديد من البيوت؟

إن البيوت والأسر التي تنتشر فيها الجرائم اليوم لأوهن من بيت العنكبوت، وإن غياب الدين عن بيوتنا وهدم النظام الأسري الإسلامي الذي يسعى الغرب إلى تحقيقه من خلال المؤتمرات العالمية للمرأة سيحول بيوت المسلمين إلى بيوت عنكبوتية هشة يتصارع فيها أفرادها وكأنهم في حلبة مصارعة، القوي يأكل الضعيف والزوجة تتربص بالزوج وربما تقتله، والأب يطرد الابن والابن يقتل الأم والأب والبنت تخرج من البيت والزوج يستغل الزوجة.. بعد أن غاب الدين عن هذه البيوت وانزوت الأخلاق والقيم جانبًا وسادت القيم المادية والنفعية.

محمد السيد عامر



إعداد: التحرير

معرفة حق الأديب

قال الشّافعي رحمه الله تعالى:

أَصبحت مُطّرَحًا في مَعْشَر جَهَلُوا
حـق الأديب فباعوًا الرّأس بالذّنبِ
والنّاسُ يَجمعُهم شـملٌ وبينَهُمُ
في العَقلِ فَرْقٌ وفي الآداب والحَسَبِ
كَمثلِ ما الذّهَبَ الإبريز يَشـرَكُهُ
في لونهِ الصُّفرُ والتّفضيلُ للذّهَـبِ
والعُودُ لو لم تَطِبْ منهُ روائحُـهُ
لمْ يَفْرِقِ النّاسُ بينَ العُودِ والحَطَبِ

(ديوان الإمام الشافعي)

متاع الغرور

من تفكر بعواقب الدنيا، أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر. ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه، ويتحقق ضرر حال ثم يغشاه! وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه، تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن، أعجب العجائب، سرورك بغرورك، وسهوك في لهوك، عما قد خبئ لك، تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم، لقد أراك مصرع غيرك مصرعك، وأبدى مضجع سواك- قبل الممات- مضجعك، وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

أفضلُ الأصحاب

حضّ أحدُ جُلَساء محمد بن حُمَيد الطوسي على قتل من وقع في قبضته من أعدائه، إلا أنه أدخله مجلسه وأطعمه وأكرمه، ولم يعاتبه على جُرُم ولا جناية، ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حَضّ الصاحبَ على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسّن لصاحبه أن يجازيَ الإحسان بضعفه، والإساءة بصفحه؛ إنّا إذا جازينا من أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أُتيح مِنَ الظفر؟ إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يُمْسِكَ إلا عن قولٍ سديد وأمرٍ رشيد، فإن ذلك أدوم للنّعمة، وأَجْمَعُ للأُلفة.

(نهاية الإرب في فنون الأدب للنويري).

أوّل الخلفاء

أبـوبـكـر الـصـدّيـق رضي الله عنه أوّل الخلفاء الراشدين، وأوّل مَنْ سُمي خليفة عند المسلمين، كان سيدًا من سادات قريش، ومن كبار موسريهم، وممـن حـرّم على نفسه الخمر في الجاهلية فلم يعاقرها، وفي الإسلام تحمّل الشدائد وبذل الأموال، وبويع بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ، وهو أوّل خليفة ولي وأبوه على قيد الحياة، وهو أوّل من فَرَضَت له رعيته العطاء، وهو أوّل مَنْ استخلف من الخلفاء.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري، معجم الأوائل)

وصية لقمان لابنه

قـال لـقـمـان لابـنـه: «يـا بُنيّ إنّـي موصيك بخصال إنْ تمَسّكت بهـنّ لـن تـزل سيّدًا، ابسط حلمك للقريب والـبـعـيـد، وأمـسـك جهلك عـن الـكـريم واللئيم، وصِلْ أقـربـاءك، وليكن إخوانك الذين إذا فارقوك وفارقتهم لم تعب بهم».

(الحلم، للحافظ ابن أبي الدنيا)

عجبت من الكذّاب

أوصى أحد الحكماء ولده فقال: «إياك والكذب فإنّه يزري بقائله وإن كان شريفًا في أصله، ويذله وإن كان عزيزًا في أهله»

وقال آخر: عجبت من الكذّاب لكذبه، فهو إنما يدل الناس على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة، والأخبار عنه متضادة، وإن قال حقًا لم يصدق، وإن أراد خيرًا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، الدال على فضيحته بمقاله، فما صحّ من صدقه نسب إلى غيره، وما صحّ من كذب غيره نُسب إليه.

ويقال: الكذب جماع النّفاق، وعماد مساوئ الأخلاق، عار لازم، وذل دائم، يخيف صاحبه من نفسه وهو آمن.

(أخبار العرب ٣/٦٤).

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد)

العاقل والقرائن الدالة عليه

قيل لبعض الحكماء:
بماذا يُعرف عقل الرجل؟
فقال: بقلة سقطه في الكلام وكثرة إصابته فيه.
فقيل له: وإن كان غائبًا؟
فقال: بإحدى ثلاث:
إما برسوله، وإما بكتابه، وإما بهديته
فإن رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه وصف نطق لسانه، وهديته عنوان همته. فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم على صاحبها.

(طرائف عربية)

الأمانة

روى الصيمري عن مليح بن وكيع عن أبيه قال: كنت عند أبي حنيفة فأتت امرأة بثوب خَزّ فقالت له: بِعه لي، فقال: «بكَم قِيل لك تبيعينه؟» قالت: بمائة، قال: «هو خير من مائة»، حتى قال: «كم تقولين؟» فزادت مائة حتى قالت: أربعمائة، قال: «هو خير»، فقالت: تهزأ بي؟ قال: «هاتي رجلًا». فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم.

(أخبار أبي حنيفة للصيرمي)

أشدّ النّاس حسرة يوم القيامة

«أَشَدُّ النّاس حسرةً يوم القيامة ثلاثةٌ:
١. مملوكٌ صالحٌ يَدْخُلُ الجنّةَ ومولاه يدخلُ النّار.
٢. ورجلٌ جَمعَ المالَ مِنْ حلٍّ وحَرَم، ومنعَ حقوقَ الله منه، فيموتُ فيدخُلُ النّار بسببه، فيأتي وارثُهُ فيجدهُ مجموعًا، فيبذلُهُ في محَالّه مِنْ أَوْجُه الخير؛ فيدْخُلُ الجَنّة، فالأَوّلُ جَمَعَهُ ودخَلَ به النّارَ، والثاني أَنْفَقَهُ ودخَلَ به دارَ القَرار.
٣. وعالمُ سُوءٍ يُنْجِي النّاسَ بِعلمِه وهو يصيرُ إلى النّار.

(القول العلي للسَفَّاريني)

زمزم

سميت زمزم لضم هاجر لها حين انفجرت وزمّها الماء.
وقيل بل من زمزمة جبريل وكلامه عليها.
وقيل هو اسم عَلم.
ولها ستة وأربعون اسمًا، منها المضنونة، وشراب الأبرار، وصافية، وميمونة، ومغذية، وطاهرة، وسقاية الحاج، وغيرها.
وذكر الأزرقي بسنده عن الضحّاك بن مزاحم أن الله تعالى يرفع المياه العذاب قبل يوم القيامة غير زمزم، وتغور المياه غير زمزم.

(تحفة الراكع والساجد بأحكام المساجد ص: ١١٩).

المَدْحُ والذّم

قال ابن حزم رحمه الله: «مَنْ حقق النّظر، وراضَ نفسهُ على السُّكون على الحَقائق- وإنْ آلَمَتْها في أَوّلِ صدمَة- كانَ اغتباطُه بذمّ النّاس إيّاه، وإنْ كانَ بحق وبلغَه مدحهم له، أسرى ذلكَ فيه العُجب، فأَفْسدَ بذلكَ فضَائله، وإنْ كانَ بباطلٍ فبلغَه فسرّه، فقدْ صَارَ مسرورًا بالكذب، وهذا نقصٌ شديد.
وأَمّا ذمّ الناس إيّاه، فإنْ كانَ بحقٍ فبلغَهُ، فربّما كانَ ذلكَ سببًا إلى تجنبه ما يُعابُ عليه، وهذا حظٌّ عظيم، لا يَزْهدُ فيه إلا ناقص، وإنْ كانَ بباطلٍ وبَلغَهُ فصَبرَ، اكتسبَ فضلًا زائدًا بالحلم والصبر، وكانَ مع ذلكَ غانمًا، لأنّهُ يأخذُ حسنات مَنْ ذمّهُ بالباطل، فيحظى بها في دارِ الجَزاء....».

(مداواة النُفوس لابن حزم)

نسيت ما لم ينسه أحد

قال هشام بن الكلبي: «حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، أما الذي حفظه: قال «كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتًا وحلفت ألا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام».
وأما الذي نسيه: قال: «ونظرت يومًا في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ ما دون القبضة، فأخذت ما فوق القبضة».

(الأذكياء١/ ٣٥)

الإبداع العلمي.. طريق نهضة الأمة

بالإبداع تنهض الأمم والشعوب لتلحق بركب الحضارة، ولعل من أبرز ما تتسم به لوحته هذا الحراك الذي يدفع باتجاه التقدم والتطور الحقيقي الفاعل بعيدًا عن الزيف والخداع والتضليل.

فكم هو جميلٌ حين يُثمن نتاج المبدع، ففي هذا إنصاف له من جهة، ومن جهة أخرى يكون بمثابة التشجيع والحافز له ولأقرانه، فيعيشون حينئذ حالة إبداعية تجعل كل واحد منهم يعمل ليقدم ما بوسعه حتى يستطيع أن يثبتَ في عالم أو سوق الإبداع، قال تعالى في محكم تنزيله ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ (الزمر:٩).

وما من شك أن الإبداع حالة يعيشها المبدع مفجرًا طاقاته وإمكاناته ليقذفها من بركان قدراته ومهاراته فيتدفق سيلها ليسقي وردًا يفوح بعطر ستذكره الأجيال طويلًا .. يسقي أيضًا أشجارًا تتكلل بثمار يانعة وشهية.

والإبداع هو نتاج ثقافة معرفية أو مخزون علمي يؤهل صاحبه كي يبرز ما لديه، ربما تخدمه ظروف معينة تمكنه من ذلك فتحقق له شهرة، لا يعني هذا أن كل مبدع هو محط أنظار أجهزة الإعلام، فكثير من المبدعين قد لا تصادفهم مثل تلك الظروف، وبالتالي تبقى إبداعاتهم في الأدراج إلى أن يأتي مَنْ يقدرها أو مَنْ يستطيع فهمها ويعمل بصدق لكشفها وإظهارها.

ولا يقتصر مفهوم الإبداع على الجديد الذي يقدم النفع والفائدة للبشرية، إنما يمتد أيضًا ليشمل البحث في مجالات مطروقة سابقًا، أو أنها طرحت يومًا على بساط البحث، كل ذلك ليقدمها بصورة أو بشكل يلحظ تقدم الزمن ونشأة حاجات جديدة.

وبوضوح أكثر فإن المبدع يستطيع أن يقنع الآخر بما حققه أو أنجزه ليقبل عليه، لا بل ألا يتوانى عن دعمه وتشجيعه لأنه وجد في نتاج المبدع ضالته المنشودة فيما يبحث عنه من أفكار وحلول وتقنيات وأساليب حديثة أو إنتاج فني وغيره من أعمال تكتسي ثوب الإبداع.

مبدعون كثيرون بينهم قواسم مشتركة يأتي في مقدمتها الصبر والتفاؤل والأمل، وكذلك المقدرة على معالجة المشكلات بطريقة لافتة تجعل جميع الجادين يرفعون قبعاتهم عاليا احترامًا وتقديرًا للمبدعين الحقيقيين.

ويقيني كبير بأن القارئ الكريم سيتوقف عند مفردة «الحقيقيين» لأن هناك أعدادًا من الموهومين الذين يظنون أن ما قدموه هو الإبداع من غير أن يدركوا أنه ليس أكثر من فشل لن يقودهم إلا إلى الإخفاق وعدم ثقة الغير بهم وبما يروجون له من أكاذيب أو حركات خسيسة وأساليب ملتوية لا تؤهل أصحابها إلا للنزول والهبوط السريع أو الدخول بقوة في أعماق حاويات النفايات، هذا إذا تمكنت فعلاً من استقبالهم واستيعابهم فيما لو كانت إبداعاتهم (خزعبلاتهم) تؤهلهم لمثل هذا الدخول، أي ربما يكونون خارج فضاءاتها، وهنا المشكلة الأكبر فهؤلاء حتمًا سيبقون عابثين في ساحاتنا الثقافية بشكل يقلق أو يعرقل مسيرة مبدعينا الذين يتسمون باحترام الوقت وبالصدق وبالتفاني في العمل الجاد والخيّر.

إن نظرة متأنية لحال وواقع الأنظمة الفاسدة توضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن الطفيليين هم أشد الناس عداوة للمبدعين وأن الأنظمة التي تبنتهم وقدموا خدماتهم وتنازلاتهم لها تسهم بدرجة كبيرة في إفراغ الساحة من المبدعين والعمل على إبقاء المزيفين الذين لا هم لهم غير طعن أو توجيه سهام الغدر نحو صدر كل مَنْ يحاول أن يفكر بالمضي في درب الإبداع لأن في هذا فضح لمكرهم وخداعهم.

وأركز في هذه النقطة على دور تلك الأنظمة في تهميش المبدعين، وربما ملاحقتهم أو مطاردتهم، فكثير من هؤلاء تعرض لذلك نتيجة اختراع قد يعرقل مصالح فئات معينة لا تسعى لغير تحقيق مكاسب نفعية وانتهازية، لأن هذه لن تبقى وستزول حتمًا إذا ما اخترع أو اكتشف أحدهم تقنية ما في وقت يعملون هم على استيرادها من الخارج بموجب صفقات تحت الطاولات يكون لهم حصص من عائداتها، أو أن هؤلاء لن يهدأ بالهم إذا ما اكتشف أحدهم محطة لإنتاج الطاقة والتي ينحصر إنتاجها وتوزيعها بأسيادهم..لن يرتاحوا أيضًا إذا كان هذا الجديد يخترق شبكة اتصالات منظومة عملت طويلاً على تبني ثقافة تدمير كل ما هو إبداعي وأصيل.

د.فاتح ممدوح عبدالحليم



نداء

إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية
من مجلة « الوعي الإسلامي » من الأعداد:



التواصل مع ادارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

جديد

إصدارات الوعي الإسلامي



دُرر المقالات الحصرية على صفحات « مجلة الوعي الإسلامي »
للعلامة الشيخ / عبد العزيز بن باز - رحمه الله
وهي ١٣ مقالة ممتعة في مواضيعها وأفكارها.